كتابي

الكتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية

حلمي مراد



ربيع : لوحة زيتية من روائع الفنان صلاح طاهر

كتابي

كتاب شهري لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر - صاحبه ورئيس تحريره: حلمي مراد

الكتاب الثامن والثمانون (السنة الثامنة)

الاشتراكات والأعداد السابقة : التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة)
تليفون : ٥٩٥٥٦

نوفمبر ١٩٦٠

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

مجموعة كتابى

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها سبعة وثمانون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد فى أول كل شهر .

مطبوعات كتابى

(الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية)

صدر منها اثنان وخمسون كتابا (ومجلدان خارج السلسلة يحتويان على الترجمة الكاملة لقصة « دكتور جيفاجو ») ، وتطلب قائمة بأسماء الكتب جميعا من الادارة .

الاشتراكات

◆ تطلب الاعداد السابقة من كل من المجموعتين من :

ادارة « كتابى » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة

• الاشتراكات عن ١٢ عددا من كتابى فى ج.ع.م والسودان والمملكة السعودية والاردن ولبنان وليبيا والعراق ١٤٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل ، وما عداها من البلاد العربية الأخرى والبلاد الأجنبية فالاشتراك السنوى ١٨٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل .

ولمن شاء أن ترسل له الاعداد بالبريد الجوى المسجل ، أن يدفع فرق الرسوم .

◆ ترسل قيمة الأعداد والاشتراكات فى مصر باذن بريد عادى . وللمشتركين فى البلاد الاخرى ان يرسلوا القيمة بشيك على أحد بنوك القاهرة ، او تحويلات مصرفية ، أو كوبونات بريد دولية فئة ٤٠ مليما ، على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر . علما بأن سعرها فى مصر ٣٧ مليما . ومن الممكن لمن فى السودان أن يرسل القيمة بحوالة بريدية .


رأيت وسمعت لك
فى اسطنبول
للمحرر

عزيزى القارىء ..

فى نهاية حديثى السابق اليك ، وقفنا معا بعد زيارتنـا لجناح « الحريم » بقصر سلاطين آل عثمان ، على وعد منى بأن انقل اليك حديثا طليا عن الحياة فى اجنحة الحريم ، لأميرة عاشت فى ذلك الجو وخبرت خباياه عن كثب !

والاميرة صاحبة الحديث هى صاحبة السـمو الاميرة « مصباح حيدر » صفرى كريمات « أمير مكة ، الشريف على حيدر » ، الذى كان مرشحا فى وقت ما لأن يعتلى عرش العراق ، أو سوريا ، أو الحجاز . ولعلك تذكر اننى قدمت لك فى العددين ٧٥ ، ٧٦ من (كتابى) فصولا من الـكتاب الذى كانت الاميرة مصباح قد اصدرته بالانجليزية بعنوان (ARABESQUE) وقد حوى الكتاب المـذكور كثيرا من الذكريات السياسية للاميرة عن البلاد العربية التى قضت فيها شطرا كبيرا من حياتها ، عاصرت خلاله وعرفت عـددا من الحكام ورجال السياسة البارزين ..

أما حديث سمو الأميرة الذى الخصه لك فيما يلى ، والذى نشرته لها مجلة « ليليبت » الانجليزية فى أحـد اعـدادها الاخيرة ، فيتناول جانبا آخر من ذكريات صباها وشبابها الباكر ، يناسب الموضوع الذى أثارته زيارتى واياك لجناح الحريم بقصر (سراجوغلو) فى العدد السابق .. فلقد ولدت الأميرة ونشأت فى أجنحة الحريم بقصر (شملوجه) بالقرب من البوسفور ، ومن ثم فحديثها التالى انما هو تسـجيل « تاريخى » له قيمته ، لانه حديث « شاهدة عيان » ، وليس

حديثا « روائيا » من تلك الاحاديث التى داب كتاب الغرب على اختلاقها وحشوها بقصص المغامرات الغرامية الخيالية ، والمجون الفاضح ، والمؤامرات الاسطورية لأمراء العشق الذين لايخرج الواحد منهم عن كونه شيخا من ذوى العباءة والخنجر ، واسع الثراء ، أزرق الدماء ، عارم الحيوية والقوة الجنسية الى درجة الفحولة .. الى آخر تلك الصورة المبالغ فيها لدنيا الحريم فى قصور ملوك الشرق وسلاطينه !



صاحبة السمو الأميرة
مصباح حيدر

ومما يزيد من قيمة المعلومات التى اوردتها الاميرة « مصباح حيدر » فى حديثها التالى عن « حقيقة الحياة فى (الحريم) ! » ان سموها على نصيب كبير من الثقافة الرفيعة ، فقد تلقت العلم فى صباها على يد مربين خاصين جلبهم لها والدها الشريف على حيدر من عواصم أوربا .. وهى تقول فى مقدمة حديثها انها قصدت منه تصحيح الافكار الخاطئة التى رسبتها الروايات الزائفة عن الشرق فى عقول الانجليز ، الذين تعيش اليوم بين ظهرانيهم ، (فى مدينة لندن) ، مع زوجها الضابط الهندى ..

« ايزابيل دن » صارت فى الحريم : « الاميرة فاطمة » !

• **وقد** بدأت الأميرة « مصباح » حديثها بداية شائقة حقا ، حين وصفت زواج أمها وأبيها ، أو بداية عهد أمها ـ الانجليزية ـ بدنيا الحريم .. بهذا التصوير الجذاب :

« ذعر السفير البريطانى ، فقد كانت الفتاة الانجليزية الشقراء الجالسة أمامه رائعة الجمال ، شاحبة الوجه ، بادية التوتر .. وعاد السفير يسألها ملحا ، عابس الوجه :

ـ هل تدركين انك اذا أصررت على الزواج من هذا الرجل ، فسوف تعيشين .. سوف تعيشين فى .. **الحريم** ؟

« فأومأت الفتاة بالايجاب ، دون أن تنطق بحرف ، ياله من سؤال سخيف ، ولكنه واضح . انها تعرف ذلك جيدا ، وتعرف انها .. عاشقة ! .. وأن ما من شىء يقوله ممثل صاحب الجلالة البريطانية فى القسطنطينية ، أو يفعله ، بمستطيع تغيير هذه الحقيقة !

« ولم يكن ثمة مزيد يقال فى هذا الصدد فى الواقع .. فنهض السفير ، ومد يده لزائرته ، ثم قال وهو يزن كلماته فى تؤدة : « اذن فليس فى وسعى سوى أن أتمنى لك يا « مس دن » أسعد الحظ وأوفر السعادة . »

« وبعد ساعة واحدة ، كانت « ايزابيل دن » ـ ابنة الكولونيل البريطانى ـ قد غدت زوجة ـ ثانية ! ـ لأمير عربى ، ينحدر من سلالة النبى محمد ! (١)

---

(١) تقول الأميرة فى حديثها أن زوجها الشريف على حيدر ينحدر من سلالة النبى محمد (صلعم) .

« و « ايزابيل دن » كانت أمى .. وان كنت عرفتها باسم « الاميرة فاطمـة » ، أو هكذا كان النسـاء فى بيتنا – فى الحريم – ينادينها على أية حال . »

الحياة فى « الحريم » .. بين الحقيقة والخيال !

• ثم تمضى الاميرة فى حديثهـا عن جو « الحـريم » بين الحقيقة والخيال ، فتقول ان مولد امرأة ونشأتها فى «الحريم» انما هو شىء لايسيغه عقل نساء الغرب ، فهو فى نظرهن امر كريه بغيض ، تعافه النفس .. أمر ينطوى على معان منافية للاخلاق .. تماما كما كانت المرأة الشرقية تنظر الى خروج زميلتها الغربية أمام الملأ بغير حجاب ، عارية الساقين .. أو الى اتخاذها العشاق ، وانجابها الاطفال غير الشرعيين !

.. لكن جو الحريم فى حقيقته أقل بكثير مما يصوره خيال الغربيين ، كما يتبين من هذا الوصف الذى تحدثنا به الاميرة مصباح عن « حريم » أبيها الشريف على حيدر ، اذ تقول :

« كان « حريم » أبى – (والحريم فى العربية لا يتجاوز معناه « جناح النساء ») – عبارة عن مبنى خشبى أبيض مكون من طابقين ، مشـيد على الطراز المعمـارى التركى ، المزين بالابراج والقباب والمنائر . وكان يقع فى حدائق قصر (شملوجة) – ومعناه قصر الصنوبر – وهو مقره الريفى القريب من البوسفور . وكان الطابق الارضى يتـكون من البهو الكبير ، وقاعة الاجتماعات – التى كانت تغص دائمـا بالزائرين ، والخدم ، والاطفـال – أما الطابق العلوى فكان يضم أجنحة متعددة ، نظمت بطريقة بارعة يستطيع معهـا كل فرد من أفراد العائلة ، أو الخـالات ، أو بنات وأبنـاء



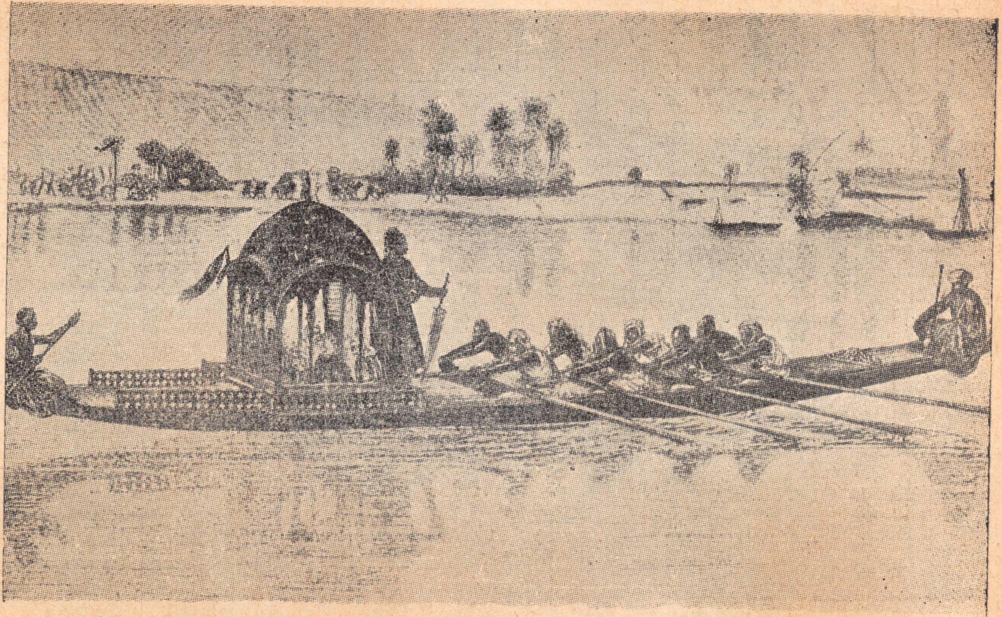
« .. تلك كانت فكرة جدتى عن سحر الشرق الأوسط وغموضه .. »

الاعمام ، ان يعيش مستقلا ، اذا رغب فى ذلك . لكنهم كان يندر أن يرغبوا فى هذا الاستقلال ، فقد كنا كلنا جماعة متحابة متآلفة ، يتراوح عددنا بين الستين والسبعين ، نصفنا من العبيد والجوارى .

وكانت أولئك الجوارى يشترين من أسواق النخاسة فى (المدينة) ، أو من ملتقى الطرق التى تسلكها القوافل الكبرى عابرة الصحراء . وكانت الجوارى فى العادة رائعات الحسن ، بينهن البيض ذوات العيون الكحيلة ، وبينهن الزنجيات القادمات من الحبشة ومن قلب افريقيا ..

« .. وكانت الجارية تشترى بنحو خمسمائة جنيه . وان كنت سمعت عن واحدة بلغ ثمنها رقما خياليا هو خمسة آلاف جنيه ! .. وكانت على جمال خارق ، وقد ابتاعها ثرى مصرى غيور ، ولم يلبث أن عقد زواجه عليها ، ولكن بلغ من غيرته عليها ان صار يغلق عليها الابواب والمنافذ . وبالرغم من ذلك فقد تمكنت من الفرار ، كى تتزوج من رجل آخر ، ولكن كان عليها أن تسعى للحصول على طلاق من زوجها أولا ، وهى مهمة لم تكن باليسيرة !

« .. وعند ما كان أبى يبتاع جارية ، كان يعتقها ويمنحها حريتها فورا ، فيصبح فى وسعها أن تتركنا فى أى وقت ، دون أن تخشى عقابا ما . وقد تزوج بعضهن فتركن الدار ، ثم عدن بعد شهور أو أعوام ومعهن أطفالهن ! .. فبالنسبة لهن كان البيت أشبه بولاية صغيرة للترفيه عنهن وتحقيق أقصى رغباتهن وحاجاتهن .. كان طعامهن وفيرا — وقد كان طاهينا أبرع طاه فى تركيا ! — وكن يشتركن فى مناقشات أفراد



نساء حريم أحد أمراء المصريين فى زورق فاخر يعبر بهن النيل ، وقد وقف حارسهن « الأغا » فى مقدمة الزورق .

العائلة ، ويتمتعن بحق توبيخ أطفالها ، بل وتوبيخ الكبار أحيانا . ولم تكن عقوبتهن ـ عند اللزوم ـ تتجاوز لسعة هادئة رصينة من لسان عمتنا الكبرى التى كانت تسهر على رعايتنا جميعا .. وبين حين وآخر « علقة » من الطراز العتيق كالتى كان الآباء فى انجلترا ـ فى العصر الفكتورى ـ يضربنها لبناتهم العنيدات !

نظام الأغوات .. وحكمته !

« ..ولما كانت العفة هى أغلى هبة تهبها العروس لزوجها، ولتأمين استمرار اخلاصها له ، لم تكن الزوجة فى «الحريم» ترى من الرجال غير أهلها وغير « الأغوات » ، وهم العبيد الذكور الذين كانت رجولتهم تستأصل منذ صباهم ، اما بواسطة والديهم ـ لتأهيلهم لهذه المهنة المرموقة التى كانوا يحسدون عليها ! ـ واما بواسطة تجار النخاسة ، وهو الأمر الأغلب ..

« وقد كانت هذه العملية تجرى لهم فى سن الصبا الباكر، وهو أمر بالغ الاهمية من الناحية النفسية . وقد سألت يوما أحد الاغوات فى « حريمنا » عن شعوره بصدد هذا الوضع « غير الطبيعى » ! .. فما كان منه الا ان هز كتفيه متسائلا بدوره فى دهشة : « أى وضع تعنين ؟ » .. ذلك انه لم يكن « متقبلا » وضعه ، فحسب ، بل كان مستمتعا به ، ولم يعرف يوما وضعا آخر سواه ! .. وكانت ذكرى العملية التى ازالت رجولته فى صباه الباكر ، باهتة الصورة فى ذاكرته ، ولم يكن يعنيه فى شىء أن يحاول بعثها أو استرجاعها !

« وكان الاغوات هم رؤساء « التشريفة » فى الحريم .. أو بمثابة « الميتر دوتيل » – كبير السقاة – الذى يرأس عددا كبيرا من الخدم والتابعين . وكانوا جميعا على قسط وافر من التعليم والثقافة ، وفى الاغلب على درجة كبيرة من التدين أيضا . ولكى يؤدوا مهام وظيفتهم كانوا يرتدون حللا رائعة من الحرير والدمقس المزركش ، تمتلىء بها خزائن ثيابهم . وكانت النساء فى الحريم شغوفات بهم شغفا « أخويا » ! .. وكن يعاملنهم باحترام عظيم . ولست أذكر سوى حالة واحدة تسبب فيها أحد الأغوات فى احداث اضطراب ، و « متاعب » !.. كان ذلك فى دار حريمنا ، وكان الأغا المذكور شابا طويل القامة ، وسيم الطلعة ، حالما، مرهف الاحساس .. فأحب جارية حسناء من قاطنات الدار ، حتى غدت علاقتهما الشاذة موضع حديث الجميع وتندرهم .

« .. وساء أبى هذا التعكير لصفو الجو الهادىء الذى يسود الدار ، فأرسل الأغا العاشق بعيدا الى (المدينة) . ولكن لم تنقض أسابيع ، حتى تلقينا رسالة من صديق يعيش بين (المدينة) و (شملوجة) ، يقول فيها ان الأغا العاشق قد عاد سيرا على قدميه عبر الصحراء ، صوب دار سيده !

« ماذا كان أمام أبى أن يفعل ؟ .. أرسل من فوره مالا يسر للعاشق ان يعود راكبا ، وصارح امى فى الوقت نفسه بأنه رغم غضبه لتمرد ذلك الأغا المفتون ، فان تفانيه فى التعلق بمحبوبته قد مس شغاف قلبه حقا ! .. فلما وصل

الأغا آخر الأمر – وهو فى حالة من المرض يرثى لها – رجا متوسلا أن يصفح أبى عنه ، ويقبله فى الدار .. خادما ! .. فعينه أبى مدرسا فى مدرسة للبنات ، ومنذ ذلك الحين صار واحدا من أشد افراد أسرة المدرسة اخلاصا وولاء . أما الجارية المعشوقة التى كانت هدفا لتلك العاطفة النادرة ، فانها نسيت عاشقها بمجرد طرده من حياتها !

المراسلات السرية بين الحريم و .. الرجال !

• ورغم أن نساء الحريم كن محجبات حجابا صارما ، فلم يكن يظهرن علانية بغير نقاب على وجوههن ، أو يسافرن الا داخل عربات مقفلة ، فان الذكيات منهن لم يكن يعدمن وسيلة للاتصال بالعالم الخارجى اتصالا « غير عابر » ! .. بل كن يجدن الوسائل للقيام برحلات متكررة الى المزارع والضياع الاخرى ، والى شواطىء البحر .. ولو حدث أن وقع نظر امرأة – من وراء « اليشمك » – على فتى راقتها طلعته ، كان من المستطاع ابلاغه اعجابها ، خلال لقاء مع الوسطاء بين اغصان كروم العنب ! .. وكان «تلغراف» الغابة هذا يتم عن طريق النسوة اللواتى يتنقلن بين البيوت حاملات البضائع والسلع المختلفة ، من الحلوى والحرير واللعب والسجاد .. الخ . وكان وصولهن الى أى «حريم» بمثابة الاشارة السحرية لكل امرأة ، سيدة كانت أو جارية، كى يجتمعن كلهن فى الردهة الكبرى ليسمعن أحدث الفضائح والشائعات التى عبرت الفيافى والبحار !.. وخلال المناقشات الصاخبة كان يحدث أن تفحص جارية ثوبا من الاقمشة

ثم ترده للبائعة مكتئبة ، بدعوى غلو ثمنه ، أو عدم ملاءمة لونه . وأثناء ارجاعه لصاحبته تومىء لها الجاريه ايماءة تفهم هذه منها أن ورقة بها رسالة ما قد دست بين ثنايا الثوب !

وكانت ثمة « معاهدة شرف » تقضى بأن جميع الرسائل التى من هذا القبيل يجب أن تسلم الى اصحابها ، من الطرفين ، ذهابا وايابا . وكان هذا البريد غير العادى يستغرق وقتا طويلا ، قد يبلغ الشهور ، ولكن متى سار هذا الغرام غير المشروع فى طريقه دون أن يصطدم بعقبات ، صار فى الامكان تدبير لقاء خفى بين العاشقين فى غرفة علوية من غرف السوق المحلية للبلدة .

وهكذا كان وصول قوافل البائعات الجائلات يترقب من قاطنات الحريم فى لهفة وشوق !

الرجل الذى تزوج من حماته !

• **وكانت** العادة الشائعة أن لا يرى الزوج وجه زوجته مكشوفا بغير نقاب الا أثناء حفلة الزفاف ، حين يخلوان احدهما الى الآخر لأول مرة ، لبضع دقائق . وعندئذ كان يستطيع العريس — لو كانت « الصدمة » فوق طاقته على الاحتمال — أن يلغى الزواج ويتنصل منه .. ولكن قلة من الازواج كانوا يجدون الجرأة على هذا التراجع !

وكان الزواج بتلك الطريقة يؤدى فى كثير من الاحيان الى مآزق محزنة ، بل مضحكة .. من ذلك ان عروسا كانت غير راغبة فى الزواج من رجل اختاره لها أهلها ، فلما جاءت ساعة الزفاف وأوقفوها خلف الستار التى تفصل بينها وبين



حوض السباحة فى جناح الحريم كما صوره رسام الصحيفة اللندنية « دييز دوينجز » فى عام ١٨٧٠

عريسها كى تنطق بالموافقة التى تتطلبها مراسم الزواج ، فتحت فمها لتعترض ، لكن أمها — التى كانت تعرف نواياها — سارعت بالاطباق على فمها بيدها ، ونطقت بعبارة القبول التقليدية بدلا من ابنتها !

غير أن الابنة المقهورة لم تشأ أن تستسلم للهزيمة ، فتحقق لأمها غايتها التى سلكت اليها سبيل الغصب والحيلة ، فما كان منها الا ان صارحت عريسها بأنه انما تزوج من أمها وليس منها ، لأن التى نطقت بالقبول هى حماته لا عروسه .. ومن ثم فهى ليست زوجة له ، طبقا للقانون !

وهكذا صار العريس المغلوب على أمره زوجا .. لحماته !

نظرات مختلسة .. من وراء الحواجز !

• **ولم يكن** زوار أبى الرسميون يمكنون من رؤية الحريم ، الا فيما ندر ، اذا كانوا معروفين للعائلة ، أو كانوا من الضيوف الاجانب ذوى الحيثية الهامة . وفى تلك المناسبات كانت توضع على طول أحد جوانب قاعة الاستقبال الكبرى حواجز مموهة بالذهب ، تطل النساء من خلال ثقوب دقيقة فيها على ما يجرى فى القاعة ، ويقضين فى هذا التلصص ساعات حافلة بالانفعالات والهمسات .

وذات يوم أقيمت فى الدار مأدبة لبعض الضباط الألمان . وبلغ الفضول بضابط شاب من المدعوين حدا موجعا أغراه بأن يتسلل من مكانه تدريجا حتى غدا على بعد متر واحد من مخبئنا وراء الحاجز .. ولعله لمح عندئذ عشرات من العيون الساحرة تحدق فيه ملهوفة ! .. على اى حال لقد شعرنا جميعا بالأسف من أجله حين اقترب منه أغا ضخم

الجسم فقاده بلطف - وان يكن فى حزم ! - عائدا به الى مكانه الاول فى وسط الحجرة !

لص .. فى جناح الحريم !

• **وقد** يتساءل المرء : اذا كان جو « الحريم » على هذه الدرجة من الاغراء للزوار الرسميين وللضيوف الاجانب ، فهل ترى كان كذلك بالنسبة لل .. للصوص مثلا ؟ .. لكنى لا أذكر فى الواقع سوى زائر واحد من فئة هؤلاء « الزوار غير الرسميين » ، وكان لصا تسلل الى حجرة نومى ذات ليلة من ليالى الصيف ، حين كانت النوافذ كلها مفتوحة . وكنت مستغرقة فى النوم حين دخل ، لكنى لم ألبث ان صحوت لأرى ظله ينزلق عبر الغرفة على قيد خطوة من فراشى .. فما كان منى الا ان صرخت مذعورة ، أستنجد بأمى .. واذ ذاك قفز هو قفزة فى الهواء ، ثم استدار وهرع يعدو نحو النافذة . ولم يحدث طيلة حياتى ان رأيت انسانا يختفى بمثل السرعة التى اختفى بها ذلك اللص من مخدعى . ورغم ان التوفيق لم يحالفه فى السرقة، فانه حالفه فى الفرار .. فانه لم يعتقل قط !

ولم يكن اللصوص يقعون فى قبضة السلطات يومئذ الا فيما ندر ، فان رجال الشرطة كانوا قليلين ، وكان أبى يكره دخولهم البيت . وكانت عقوبة مثل ذلك المتطفل الذى يضبط فى جناح الحريم تتفاوت حسب رغبة صاحب الحريم . ولو ترك الأمر لأبى فلربما كان يأذن بالافراج عن اللص وتركه يمضى لحال سبيله !.. بينما كان غيره من

الامراء يقررون معاقبة اللص بالسجن أمدا طويلا ، وربما يأمرون بتعذيبه ..

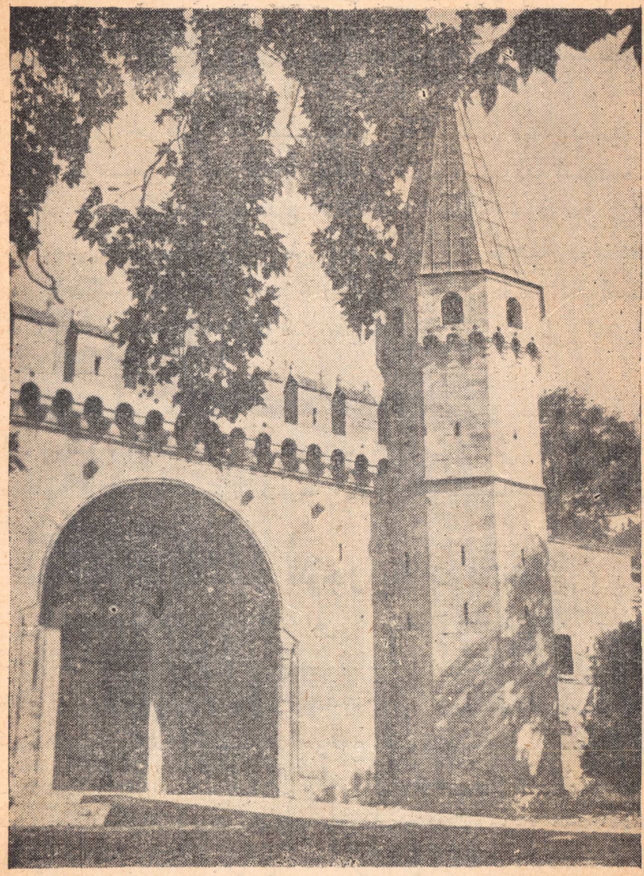
والواقع ان اللصوص كانوا دائما يتجنبون الحريم ، مهما كان ذلك الأمر يبدو غريبا من وجهة نظر الغربيين ، الذين تسيطر عليهم أفكار مبالغ فيها عن تهافت جوارى الحريم على الرجال ، من أية طبقة ! .. فالحقيقة انه فى تسعة وتسعين حالة من كل مائة ، لم تكن تتردد المرأة من قاطنات الحريم ـ سواء كانت سيدة أو جارية ـ فى أن تشى باللص الذى يتسلل الى مخدعها، وتحاول تسليمه فورا الى السلطان!

.. ذلك ان جناح الحريم لم يكن ـ كما هى الفكرة الشائعة ـ جنة تقطنها زرافات من الحسان الفاتنات المستعدات فى كل لحظة لأن يرخين نقابهن ويغوين أى غريب !

.. وانما الذى كان يحدث لأى شاب عاشق واسع الخيال والآمال يطرق باب هذه « الجنة » ، هو نفس رد الفعل الذى كان يقع لمن يقتحم مسكنا لأسرة من الطبقة المتوسطة فى انجلترا يضم عددا من الفتيات ذوات التربية القويمة !

.. وقد كانت نساء الحريم ذوات تربية قويمة بالفعل .. فلئن كانت معلوماتهن فى الجبر والجغرافيا ـ مثلا ـ ضعيفة ، فان المشرفين على تربيتهن كانوا يلقنونهن من فنون الحب ، والزواج ، ومعاملة الرجال ، نصيبا يفوق نصيب اخواتهن الغربيات المتحررات !

بل انهن كن يضربن بسهم وافر فى كثير من أبواب الثقافة والفنون ، الى درجة يفخرن بها . كن يعزفن على مختلف



مدخل جناح الحريم فى قصر سراجوغلو بأسطنبول

الآلات الموسيقية ، ويرقصن ، ويتقن بعضهن الغناء ، والتطريز ، و .. الخ

حتى فى حريم ذلك السلطان الخبيث « عبد الحميد » كانت الموسيقى تولى عناية عظيمة . فلقد تعاقد السلطان يومئذ مع شقيق الموسيقى الايطالى المشهور « دونيزيتى » كى يعطى دروسا خاصة لمن يتوسم فيهن موهبة موسيقية من قاطنات جناح الحريم ، (دون اغفال وضع الحراسة الكافية ، بواسطة الأغوات بطبيعة الحال ، على المدرس وتلميذأته الحسان !)

بل لقد أمر « عبد الحميد » بتأليف جوقة سيمفونية من الزوجات والجوارى الموهوبات ، فضلا عن تكوين فرقة « باليه » بلغت مستوى رفيعا ، حتى لو طبقت عليها مقاييس الفرق المحترفة !

مدى المنافسة على الرجال بين نساء الحريم !

• **وقد كانت** العلاقات بين النساء فى الحريم ، بعضهن مع البعض ، ودية لا تشوبها شائبة .. ففى جناح الحريم بدار أبى كانت المناقشات الحامية أمرا نادر الحدوث .. بل كان مجرد الكلام بصوت مرتفع نقيصة تقابل بالامتعاض وتقطيب الجبين . على ان الأمر فى القصور الكبرى لم يكن يخلو من منافسات عنيفة بين الزوجات وبين محظيات السيد .. وكانت أجمل نساء الحريم فى حالة عداءمستحكم . لكن هذا أمر شائع الحدوث فى كل أنحاء العالم !

ومن أمثلة المنافسة العنيفة على الرجال ، فى أجنحة الحريم ، ان احدى أرامل الشاه « كاجاه » ـ شاه ايران فى

وقت ما ـ كانت ماتزال فى ريعان شبابها حين مات زوجها الشاه ، فلم ترضيرا فى أن تتزوج من رجل آخر بعد وفاته . وانتظرت عبثا أن ترزق بطفل من زوجها الجديد ، فلما طال انتظارها عرضت نفسها على الاطباء .. وكم كانت دهشة الجميع حين قيل لها انها لن ترزق بأطفال البتة طيلة حياتها ، نتيجة لتناولها مشروبا من عشب خاص كانت غريمة شريرة من منافساتها فى الحريم قد دسته فى قدحها ذات يوم ، فأفسد عليها حياتها مدى العمر !

دور « الجنس » فى حياة نساء الحريم !

• **وقد** يكون من النواحى الجوهرية الجديرة بالايضاح ـ فى هذا الموضوع ـ والتى يثور بشأنها الجدل ويكثر التساؤل فى كل مناسبة ، معرفة نصيب المسائل الجنسية من الاهمية فى دنيا الحريم .. وهل هى تستأثر بالمكانة الاولى من الاعتبار فى ذلك المحيط ، كما يعتقد أكثر الناس ، أم ان مكانتها لا تزيد عن مثلها فى كل مجتمع يوجد فيه الرجل والمرأة ؟ !

وحقيقة الأمر فى هذا المجال ان الجنس لم يكن شيئا ينظر اليه بازدراء أو أنفة ، لكنه ـ من الناحية الاخرى ـ لم يكن هو المقوم الوحيد الذى يعيش عليه النساء فى الحريم . كان جزءا من حياتهن لا حياتهن كلها ! .. وكان النقاش حوله يدور فى صراحة تامة ودون أى مداراة ، شأنه شأن أى موضوع آخر من الموضوعات الهامة التى تدور حولها الأحاديث . **وخلاصة ما ينبغى أن يقال فى هذا الصدد ، ان**

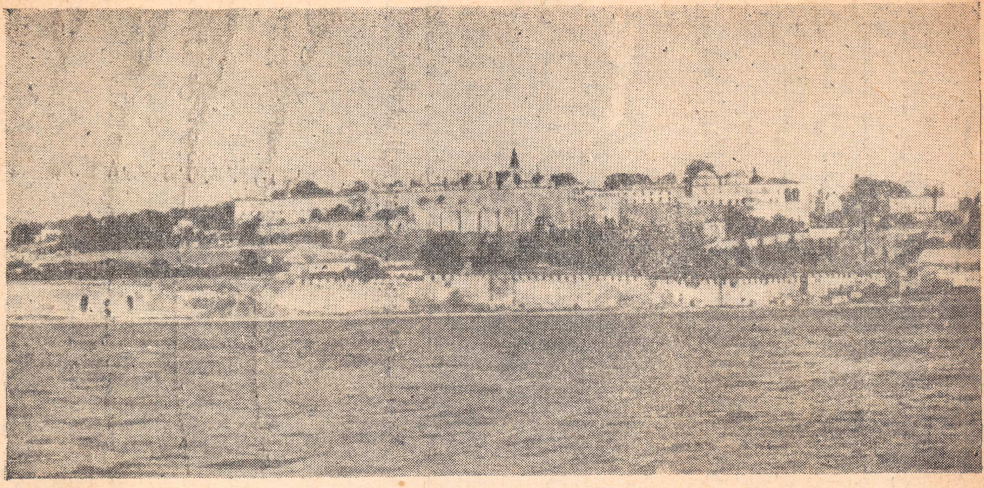
نفسية المرأة فى الحريم لم تكن نفسية العاهرة ، ولا نفسية الخليلة !

وقد كانت حياة النساء فى الحريم شائقة ممتعة ، مكرسة للرجل الذى يشملهن بحمايته ، فى بلد كانت الحماية فيه للمرأة تعنى الحياة ، والاستقلال يعنى الموت ، من الفقر أو المرض . وكان يستوى فى الاستمتاع بالحياة فى الحريم كل قاطناته من النساء ، سواء كن من المحظيات أو لم يكن . فالمحظية كانت تحصل على كل ما يمكن أن تشتهيه .. وغير المحظية كانت حرة فى أن تتزوج . وكانت الزيجات التى من هذا النوع تدبر بواسطة سيدتها أو سيدها بطبيعة الحال .. (وهذا أمر ليس نادر الحدوث حتى فى بريطانيا ، الى اليوم !)

فضيحة فى قصر الملك عبد الله !

• **على أن** الخطبة التى تسبق الزواج – كما يعرفها الغربيون – لم يكن لها وجود . والخطبة الوحيدة التى تحضرنى ذكراها كانت لها نتائج مدمرة :

كانت أمى – بحكم كونها انجليزية – قد أصرت على ضرورة عقد خطبة قبل زواج شقيقتى من ولى عهد الاردن الأمير طلال . ومن ثم تأجل تحرير العقد التقليدى الذى يربط الطرفين ويجعلهما فى حكم الزوجين وان لم يعيشا تحت سقف واحد انتظارا لاقامة حفل الزفاف . وقد كان من شأن تلك الزيجة أن توحد فرعى الاسرة الهاشمية اللذين فرقتهما الخلافات والاحقاد قرونا طويلة، فضلا عن انها كانت تحقق املا قديما للملك عبد الله ، والد العريس .



قصر سراجوغلو القديم فى اسطنبول ، مقر سلاطين تركيا القدامى وحريمهم ، كما يبدو من ضفة البوسفور .

وسر الملك بموافقة أبى و أمى على مشروع تلك الزيجة ، كما أسعده علمه بأن شعبه سوف يقابل النبأ بالترحيب ، فغادر بلده الى لندن فى زيارة رسمية لانجلترا . وتلقى الملك جورج الخامس ودوائر وزارة الخارجية البريطانية انباء تلك المصاهرة بترحيب مماثل ، وباركوها فى تصريحاتهم الخاصة التى ودعوا بها الملك عبد الله لدى مغادرته بلادهم عائدا الى وطنه .

غير أن تطورا هاما كان قد وقع فى فترة غياب الملك عن الاردن . ذلك أن الملكة كانت قد دبرت لابنها الامير الشاب طلال مغامرة غرامية مع ابنة أخيها ، وكانت قد آثرتها بالاختيار سرا كزوجة لابنها ولى العهد .

وفعل طلال ما طلب منه ، ونفذ الخطة التى رسمت له بحذافيرها .. فلما عاد الملك عبد الله الى عاصمة ملكه كانت الفضيحة ماتزال تتجاوب بأصدائها اروقة القصر !

وانهار مشروع تلك الزيجة الاولى .. ووجد الملك عبد الله نفسه فى مركز لا يحسد عليه . مركز لم تجد غضبته المضرية فى انقاذه من الحرج الذى جره عليه ، فقد كان عليه أن يوضح للملك جورج الخامس ، وللدبلوماسيين الاجانب ، أسباب العدول عن الزيجة المذكورة ! .. وانقضى زمن طويل قبل أن يفيق الملك من الصدمة ، التى ما كانت لتقع لو لم تصر أمى على عقد « خطبة » لأختى والامير طلال ، بدلا من العقد التقليدى المعروف فى البلاد الاسلامية باسم «عقد النكاح» .

نبوغ نساء الشرق فى التأثير على الرجال !

• **ورغم** قصور نصيب نساء العرب من التحرر ، بالقياس

الى نصيب اخواتهن فى بلاد الغرب ، فانهن يمارسن نفوذا على رجالهن يفوق نفوذ نساء اوربا على رجالها ! .. وقد توصلت نساء العرب الى هدفهن بطرق وأساليب اتقنتها المرأة منذ عهد حواء ! .. وحين تكون المرأة ذكية أو جميلة ، او كليهما ، تنفسح امامها فرص عظيمة لتحقيق مآربها وآمالها العريضة !.. وكم من جارية تزوجت ــ بوسائلها الخاصة ــ رجلا من أسرة واسعة الثراء والنفوذ ، فرفعتها زيجتها الى مرتبة الاميرات ! (ويمكن مقارنة هؤلاء النساء بمثيلاتهن فى انجلترا من طبقة مغنيات « الكورس » وممثلات المسرح ، اللواتى اقتحمن طريقهن ــ خلال القرن التاسع عشر ــ الى قصور الطبقات الارستقراطية العريقة ! .. بل لعل الاميرات العربيات جاوزن اولئك فى الثراء والترف !)

وقد كان النساء فى الحريم طبقات ، أدناها طبقة الخادمات الأجيرات . وبسبب نفور امى ــ نفورا يبلغ درجة الفزع ــ من استخدام العبيد والجوارى ، فانها كانت تلجأ الى استخدام خادمات من هذا الطراز ، وقد جلبت بالفعل عددا كبيرا منهن الى حريم الدار .. لكنها لم تفلح فى التغلب على روح الاحتقار التى كانت بقية نساء الحريم ينظرن بها الى اولئك الاجيرات ، وهن يتباهين بالقول ــ لتبرير شعورهن بالازدراء ــ « اننا ، نحن ، من أفراد الأسرة .. أما هن ، فلا شىء ! »

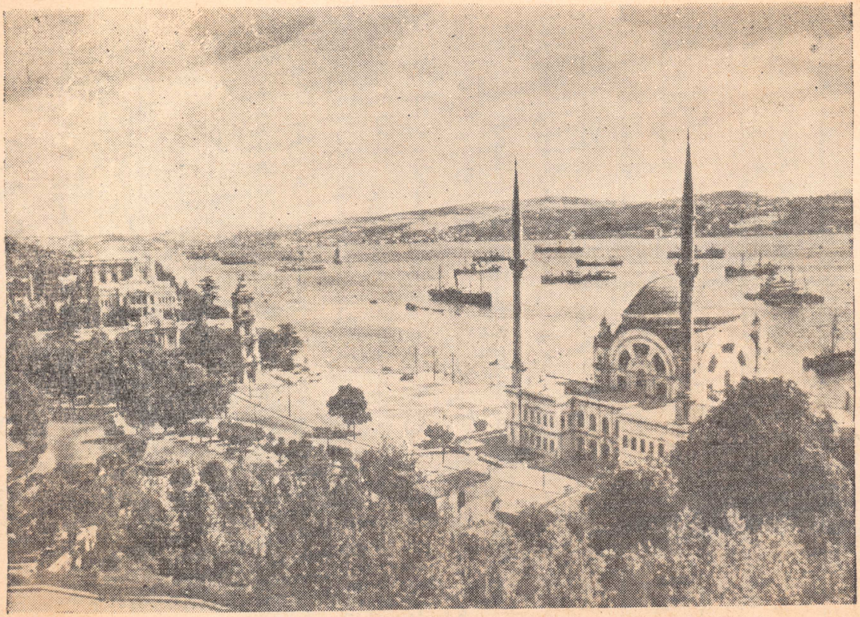
وقد كان لأولئك الأجيرات ــ فى عملهن ــ نظام وروتين صارمان ، كما كان محظورا عليهن الاختلاط الاجتماعى ، الا فى أضيق الحدود .. فى حين كان برنامج اليوم بالنسبة للجارية أكثر مرونة وتنوعا : كان البيت يستيقظ فى السابعة صباحا ..

وكان عدد وجبات الطعام ، التى تبدأ بالافطار ، ست وجبات كل يوم . وهى وجبات فاخرة من مطبخ له تقاليده التى يفخر بها ، وكان رئيس الطهاة الذى يشرف عليه هو « عثمان أغا » ، الذى كان يعتبر أبرع طاه فى تركيا كلها يومئذ . وكان يذبح خروفا كل يوم ، ويطلب تموين مطبخه بمئات الارطال ، دون أن يسأله أحد يوما عن مصيرها — اذ لم يكن هناك من يجرؤ على محاسبته ! — فقد كانت سمعته فوق مستوى الشبهات .. وقد بلغ من شهرته باتقان الاطعمة ان أبى كثيرا ما كان يقول ان الزائرين يأتون ليستمتعوا بأطباق « عثمان أغا » الشهية ، مثلما كانت تدفعهم الى الزيارة رغبتهم فى رؤيته هو (أبى) !

وكان من الأمور التى يعتز بها « عثمان اغا » انه أخذ على نفسه عهدا أو « ميثاق شرف » بأن لا يغير ألوان الطعام التى تتألف منها وجبة من الوجبات ، عند حضور زائر هام ، أيا كانت شخصيته ، ولو كان السلطان نفسه ! .. وكانت أطباقه « ديمقراطية » و « ارستقراطية » فى وقت معا .. وبين أوقات الطعام كانت تنظم لنساء الحريم وصلات غنائية ، و دروس فى الرقص ، وربما مباراة فى التنس !

الحمام التركى ..

• **وكانت** الفرصة تتاح لقاطنات الحريم كى يذهبن الى أقرب مدينة — مرة أو مرتين كل شهر — كى يبتعن حاجياتهن من الحوانيت .. ويومئذ كانت المرأة منهن تقضى ساعة أو أكثر من ساعات العصارى فى الحمام التركى . وكان لنا فى حريمنا حمام تركى فخم ، فى الطابق الارضى ، يتألف من



بقعة ساحرة من ضفة البوسفور

أربع حجرات فسيحة ، تفصلها الواحدة عن الاخرى أبواب مزدوجة مبطنة ، عازلة للصوت والحزارة والبرودة على السواء . فكانت الحجرة الاولى باردة الجو ، ارضها من الرخام ، نسير فوقها بقباقيب خشبية . والحجرة الثانية أكثر منها دفئا . أما الثالثة ، التى كنا ندلك فيها بالصابون ، فكانت شديدة الحرارة الى درجة لا تكاد تحتمل . وكانت ثمة آلة ضخمة ــ لم أفحصها أو أتأمل طريقة تشغيلها قط ــ تتحكم فى البخار بكيفية غامضة . وأخيرا كانت هناك الحجرة الرابعة ، وكانت فى درجة برودة الاولى .

وأثناء الحمام كان يتتابع علينا مدد لاينتهى من أقداح القهوة ، و « الشربات » ، وكانت ثرثرتنا لا تكاد تنقطع !.. وكانت فترة الحمام بمثابة فترة فراغ ، تطول لساعتين أو أكثر . وكانت أمى تحبها وتهتم بها ، لكنها كانت تثير فزع النسوة العربيات المنتميات الى « المدرسة القديمة » ، باصرارها على أن تستعمل فى حمامها « بانيو » انجليزى الطراز ، عصريا ، ضخما ، أحدث عند وصوله من اسطنبول ضجة لا زلت اذكرها !

وكانت المحافظة على مستوى النظافة والنظام اللازمين فى جناح الحريم تقتضى جهودا كبيرة وعملا كثيرا .. لكن أحدا لم يكن يبخل أو يقصر فى بذل تلك الجهود ، فكان المبنى يبدو دائما مشرقا ، بهيجا ، مجدد الهواء .

اسرار الحياة الجنسية فى الحريم

• وفى طفولتى ، لم أعرف سوى النزر اليسير عن الحياة

«الجنسية» لغيرى من الحريم . على أنى ، فيما يختص بأبى ، كنت أعلم أن له زوجتين ، ولكنه كان يعيش مع واحدة منهما فقط ، هى أمى . أما الأخرى – وكانت تدعى « صبيحة هانم » – فكانت تعيش مع ابنتها واولادها الاربعة فى دار مستقلة على بعد نحو ربع ميل من دارنا . وكانت تحظى بدورها بقسط وافر من الاحترام . ولم يكن ثمة عداء أو بغضاء بين الزوجتين .

ويهمنى هنا أن أبدد خرافة شائعة فى بلاد الغرب بصدد الطاقة الجنسية لأرباب الحريم من الرجال . والحقيقة التى لا شك فيها أن تلك الطاقة لم تكن تتجاوز كثيرا طاقة الرجل الاوربى .. وكل ما عدا ذلك من أقاويل انما يدخل فى باب الاساطير .. الاساطير التى كانت تضفى على كل سلطان أو أمير حيوية خارقة للطبيعة ! .. وهى حيوية كانت فى بعض الاحيان أبعد ما تكون عن الحقيقة .. بل أن بعض السلاطين والأمراء الذين اقتنوا حريما جرارا عامرا بالجوارى والفانيات الاجنبيات ، كانوا هم أنفسهم فاقدى القدرة الجنسية ! .. وهم باقتناء ذلك العدد من النساء انما كانوا يموهون على الناس جميعا ، ما عدا أنفسهم !.. وحين تجتمع مائة أمرأة فى صعيد واحد ، يصعب عليهن أن يكتمن سرا !.. ووسط ذلك الخليط العجاج من النسوة كان يولد أطفال لهذه وتلك ، ولكن من الذى كان يجرؤ أن يتساءل عن والد اولئك الاطفال ؟

هل كان « الحريم » .. عبودية ؟

• **وحين** بلغت الثامنة عشرة ، التحقت بالجامعة الامريكية فى بيروت ، لكنى لم أنج من حملة الظنون والريب التى شنتها

أسرتى على . غير انى ـ لدهشتهم ـ خرجت من تلك البيئة المتحررة دون أن يمسنى ضر ..

واليوم ، فى عام ١٩٥٩ ، تبدو لى ضاحية (بارك لين) بانجلترا ـ حيث أعيش ـ وكأن بينها و بين طفولتى فى « الحريم » ألف عام فى حساب الزمان ، و عشرة آلاف ميل من أبعاد المكان !

لكننى حين أنظر الى ـ أو أقرأ عن ـ العقد والمتاعب التى تعانيها نساء الغرب اليوم .. والكفاح الذى يبذلنه من أجل المساواة بالرجال .. وخوفهن من الافتقار الى الأمن .. وتعرضهن المفاجىء لما خلقه الرجال من مشكلات العالم المتطاحن المتصارع .. وما ينقصهن من عناصر الانوثة والدلال .. فمن الذى يستطيع أن يقول ان « الحريم » كان مرادفا للتعاسة والعبودية ؟ !

البتة .. فما كان الحريم فى نظرى ـ وفى نظر الآلاف من الفتيات العرب ـ الا مرادفا لـ ... للبيت !

البيت الذى تتمثل فيه الدعة .. والأمن ! »

***

وبعد هذا الحديث الممتع ـ الحافل بالذكريات، والحقائق التاريخية الرصينة ـ الذى نقلته اليك عن سمو الأميرة العربية « مصباح حيدر » .. أتركك فى هذا الجو العبق ـ فى صحبة «حريم السلطان» ! ـ على أن نعود فنلتقى لنستأنف جولتنا ، فى العدد القادم بمشيئة الله .

حلمى مراد



نماذج من النساء :

ڤيكى !

(القدر ينتقم لامرأة)

للقصصى الأمريكى المعاصر : إرسكين كالدويل

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

عزيزى القارىء :

• **موضوع** الشبح الذى يقفز من أعماق الماضى ، ليخيم على حياة المرأة المتزوجة ، ويهددها بزلة انزلقت فيها يوما ، ليس بالموضوع الجديد .. ولكن الجديد هو الاسلوب الذى عالجه به القصصى الامريكى « ارسكين كالدويل » فى هذه القصة .

و « كالدويل » من أشهر كتاب القصة القصيرة والرواية الطويلة فى أمريكا ، ولكن النقاد والقراء أجمعوا على ان القصص القصيرة هى أروع انتاجه كله ، فقد بلغ فيها شأوا يجعله ندا لتشيكوف وزولا . وهو فى كتاباته ــ بوجه عام ــ يحاول أن يغوص فى أعماق المرأة التى تحب ، فيكشف عن أعمق عواطفها وانفعالاتها ، ويفضح مايستتر بين جوانحها من شهوات ومخاوف وآمال .. وقصة « فيكى » ــ التى نقدمها لك فى الصفحات التالية ــ من أبدع الامثلة على ذلك .

فتعال نقرأها معا ، ثم .. نتركك لتحكم عليها !

---

(١)

• **كان** الجليد قد بدأ يتساقط فى عصر ذلك اليوم ، بعد أن ظلت السحب القاتمة تتتابع على الوادى ــ منذ الصباح ــ مقبلة من الشمال . وما أن هبط الليل ــ حوالى الساعة الخامسة ــ حتى كان سمك الجليد على الأرض المقرورة قد بلغ عدة بوصات .

وفى الساعة السادسة ــ عندما ارتدى « جيف » معطفه الثقيل والقالوشين اللذين يقيان حذاءيه البلل ، وغادر البيت ذاهبا الى العمل ــ كان نثار الجليد الناعم يهب فى دوامات

على البقاع الفضاء والشوارع غير المرصوفة .. وفى مثل هذه الليلة من ليالى الشتاء ـ فى شهر يناير ـ كان التل الذى تبنى عليه المنازل الصغيرة صفا بعد صف ، يتعرض للرياح الجائحة ، ويبدو فى الظلام مقفرا منعزلا . اذ لم تكن الاضواء قد أدخلت على شوارعه ، ولا كانت أعمدة الإشارة قد أقيمت بعد .. ولم يكن قد عمر بالسكان من منازله سوى عدد قليل .

وكان « جيف » و « فيكى » ـ اللذان تزوجا منذ شهر ـ من أوائل الذين ابتاعوا منازل فى الضاحية الجديدة، التى كانت على حوالى نصف ميل شرقى أطراف مدينة (كليرمور) .. على انهما كانا فى شبه عزلة . فمع قلة عدد المساكن التى اكتملت وبيعت ، كان أقرب الجيران اليهما على مسافة أربع مجموعات من المنازل تقريبا .

ولم يكن قد مضى كثير على الساعة السابعة ـ من ذلك المساء ـ عندما فتحت فيكى باب المطبخ ، وتأملت الجليد المنهمر فى الخارج، بعد أن فرغت من غسل الاطباق وتجفيفها وترتيبها . **ولاول مرة ـ منذ انتقلا الى البيت ـ أحست بخوف من الظلام الذى كان يحيط بها** .. فلم يكن ثمة ضوء يرى فى أى مكان ، ولو وهج ينعكس من البلدة القابعة فى أسفل التل ، فيبعث الطمأنينة فى النفس .. وكان الصوت الوحيد المسموع، هو صفير الريح فى خصاص نوافذ البيت . وكان الجليد قد كف عن التساقط تقريبا ـ فى تلك الاثناء ـ ومع ذلك فقد لاح ان الليل كان يزداد برودة فى تلك الدقيقة،

فارتجفت « فيكى » فى تيار الهواء الشديد البرودة ، الذى كان يندفع من قمة التل .

وأطفأت نور المطبخ ـ بعد أن أحكمت اغلاق الباب ـ ثم ذهبت الى غرفة النوم ، فى نهاية البهو .

***

وكانت الليلة من الليالى التى لابد من أن تنامها « فيكى » وحيدة ، وقد كانت تكره مجرد التفكير فيها منذ استيقظت فى ذلك الصباح ، و « جيف » الى جوارها فى الفراش الدافىء .. اذ ان «جيف» وشريكه « هارى باس » كانا يتناوبان السهر فى محطة البنزين ، التى يديرانها على الطريق الخلوى ، فى الطرف الغربى للمدينة ، وكانت نوبة « جيف » فى تلك الليلة .. ولقد اعتاد « جيف » أن يقول انه اذا اطرد تحسن المشروع ، فلن يلبث أن يتمكن و «هارى باس » من استئجار مدير ليلى للمحطة ، فلا يعود أى منهما مضطرا الى قضاء الليل بعيدا عن البيت .

وخلعت فيكى ثيابها ، ومشطت شعرها بعد أن أسدلت الستائر ـ فى عناية ـ على النوافذ .. وكانت قد فرغت من ارتداء « البيجاما » ، وغلالة الحمام الدافئة ، عندما انبعث رنين جرس الباب فى دوى مزعج .. **وكانت تلك أول مرة يقرب فيها امرؤ بابها بعد الغروب، طيلة الشهر الذى قضياه فى البيت الجديد** .. وكانت ترهف السمع الى صدى الرنين ـ وهى خائفة مفزوعة ـ عندما دوى من جديد ، فاذا دويه فى هذه المرة أكثر ازعاجا !

وكانت أول فكرة واتتها بعد ذلك ، هى أن تتصل تليفونيا بجيف فى محطة البنزين ، وترجوه أن يأتى الى الدار بأسرع ما فى وسعه . ولكنها لم تلبث أن تذكرت أن التليفون لم يكن قد أقيم بالدار بعد ! .. وكان الامر الوحيد الذى وسعها أن تفكر فيه ـ بعد ذلك ـ هو أن تفتح احدى النوافذ ، وتصرخ بأعلى ماتستطيع ، طلبا للنجدة . ولكنها تبينت أن من المحتمل أن لايسمعها أحد على هذا البعد ، وفى ليلة كهذه .. ولم تكن فى البيت بندقية ما ، من أى نوع ، فقد قال « جيف » ان وجود مسدس أو بندقية عامرة بالطلقات ، فى أى مكان فى البيت ، كفيل بأن يزيد من احتمال وقوع الحوادث .

وفتحت فيكى باب المخدع ، وأضاءت جميع أنوار البهو والمدخل ، حتى اذا بلغت الباب الامامى للدار ، أضاءت المصباح المثبت فوقه فى الخارج . ولم تكن ثمة وسيلة تمكنها من أن ترى من كان خارج الباب ، دون أن تفتح الباب ذاته .. وفى ترددها ازاء ماينبغى أن تفعل ، ظلت واقفة ممسكة أنفاسها ، وهى تأمل أن يمل الشخص الذى كان بالباب طول الانتظار فى البرد ، فينصرف .. وكان الصوت الوحيد الذى استطاعت أن تسمعه هو صفير الريح !

وفيما هى واقفة تنصت فى اصغاء ، شرع الجرس يرسل رنات قصيرة ، ملحاحة ، تنم عن ضيق ، فتساءلت فى صوت مثقل بالخوف : « من الطارق ؟ » . ولم تتلق جوابا ، وانما سمعت طرقات متتابعة على الباب ، فقالت فى صوت أكثر ارتفاعا من قبل : « لن أفتح الباب حتى أعرف من تكون ! » .

فتوالت على الباب عدة ركلات عنيفة . وقال شخص بادى الضيق : « افتحى يافيكى ! »

كان صوت رجل ، وقد بدا لها مألوفا . وداخلها يقين من انه ولا بد شخص من المعارف، اذ انه ناداها باسمها مجردا . بيد انها لم تؤت أقارب يقيمـون فى (كليرمور) ، وما كان بوسعها أن تتصور أحدا ممن عرفتهم مع « جيف » ، يأتى فى مثل هذه الساعة من الليل . ولقد جاء « هارى باس » مرة ، عندما دعاه « جيف » ليرى المنزل الجديد .. ولكنها لم تعثر فى ذهنها على سبب يدعوه الى المجىء فى هذه المرة . فلقد كان « هارى باس » متزوجا ، وكان أبا لعدة أطفـال صغار ، وقد أنبأها « جيف » بأنه اعتاد أن يمكث فى داره فى الليل ، عندما لايكون منوبا فى العمل فى محطة البنزين .

***

وعاد الرجل يقول ، وقد ارتفع صـوته وتبدت فيه لهجة آمرة : « هل سمعتنى يا فيكى ؟ .. أسرعى وافتحى الباب !» . فقالت له : « ليس بوسـعى أن افتح البـاب مالم أعرف من تكون ، وما الذى تبتغيه » . فصاح يستحثها : « هيا افتحى يا فيكى ، فانى اتجمد فى وقفتى هنا ، فى مهب الريح الباردة » .. ولكنها عادت تسأله : « ومن أنت ؟ »

ـ انك تعرفيننى يا فيكى !

وصاحت متسائلة : « أأنت هارى باس ؟ » . وبادر مجيبا : « يقينا يا فيكى ، أنا بعينه » .

ـ هل أوفدك « جيف » من أجل شيء ؟

ـ أصبت .. فافتحى الباب يا فيكى !

واذ كانت تعرف انها لن تكاد تفتح الباب حتى تعز عليها فرصة محاولة صد أى امرىء عن الدخول الى البيت ، فقد راحت تسائل نفسها عما دعا « جيف » الى أن يوفد « هارى باس » لكى يأتيه بأى شيء يكون قد نسيه ، بدلا من أن يأتى بنفسه . ومن ثم فقد ظلت مترددة .. لو ان الوقت كان نهارا ، لما ترددت فى أن تفتح الباب ، برغم انها وحيدة فى الدار . أما والوقت ليل ، وهى فى مثل ما اعتراها من خوف ، فقد راحت تفكر فى كل الامور الرهيبة التى قد تجرى لها .

وعادت تتساءل ، وهى تحاول أن تستقر فى تفكيرها على ما ينبغى أن تفعل : « ولماذا ارسلك جيف الى هنا الليلة ؟ » . فقال فى هدوء : « لا بأس يا فيكى .. لا تستبقيني طويلا فى البرد . افتحى الباب وسوف انبئك ! »

وبدا لها فى هذه المرة مطمئنا ، مقنعا ، برغم انها ظلت موجسة مما كانت تفعل ، اذ أدارت المفتاح فى القفل ، وهى تشد غلالة الحمام باحكام فوق صدرها بيدها الأخرى .. ثم خطت الى الوراء .

ودفع الباب بعنف فى اللحظة التى فتح قفله فيها، فاندفعت لفحة من هواء مثلوج . ودخل « كلينت » .. وأسرع يغلق الباب بالمفتاح خلفه ، وهو يضحك اذ راحت تحملق فيه مذهولة . وكان ثمة ثلج عالق بقبعته ومعطفه السميك، فرأت الندف البيضاء اللامعة وقد شرعت تذوب فى دفء البيت .

***

وقال وهو واقف يرقبها ، وظهره الى البـاب : « هالو فيكى ! .. ما اراك مشدوهة الى هذا الحد لرؤيتى ؟ .. بل يلوح أنك تودين أن تقولى شيئا ما ، ولـكنك لاتعرفين كيف تعبرين عنه ! »

ـ كنت أحسب انك قد غادرت البلدة .

ـ اننى غادرتها حقا ، ولكنى عدت اليها . فانى أعود دائما لكى أراك !

وقالت والخوف يملأ جوانحها ، وهى تبتعد عنه ببطء ، وقد أخذت شفتاها ترتجفان : « وماذا تفعل هنا يا كلينت ؟ .. لماذا كـذبت على ؟ .. لماذا قلت انك هارى باس ؟ » . فضحك لقولها بطريقته الخالية من أى حرج، وقال : « لم أقل اننى هارى باس، ولكنك أنت التى قلتها يا فيكى . ألاتذكرين؟ .. ثم ، ألست آسفة اذ قلت اننى كذبت عليك ؟ »

وخلع قبعته فنفض الثلج الذائب عنها ، ثم خلع معطفه الرمادى الثقيل ، وألقى بهما معا على مقعد . فسـألته وهى تزداد ابتعـادا عنه : « ما الذى جئت الى هنا من أجله ؟ .. ما الذى تريد ؟ »

ـ لا تسرفى فى تعجلك القـاء كثير من الأسئلـة يا فيكى ، فلسوف ينفسح أمامك الوقت لتكتشفى أى شىء لا تعرفينـه حتى الآن . أمامك ليلة بطولها لذلك . ولكن واقع الامر هو أنك تعرفين فعلا كل ماهنالك، بدون حاجة الى أسئلة . أليس كذلك يا فيكى ؟

ـ كيف توصلت الى المكان الذى أقيم فيه ؟

ـ بقدر لعين من الجهد اللعين ! .. ومع ذلك فليس هذا كل ما اكتشفت ، **بل اننى قضيت أسبوعا أراقب « جيف » وأقفو أثره أينما ذهب ، وأدرس كل شىء عن عاداته ،** حتى يتسنى لى أن أعرف متى يذهب الى العمل ليلا ، وفى أى وقت يعود الى هنا فى الصباح ، وما يشبه هذا من أمور هامة .. ومن الطبيعى أنك حين تتعقبين رجلا فى جيئاته ورواحه ـ بهذه الطريقة ـ لابد أن تتبينى أين يحتفظ بزوجته . أليس كذلك يا فيكى ؟ .. هه ؟

فقالت له وهى تهز رأسها فى حزم : « ليس لك أن تأتى الى هنا يا كلينت ! » . فضحك منها قائلا : « ربما كان هذا رأيك ، ولكنى هنا مع ذلك ، فهونى عليك الامر يا فيكى ، ولا تبدى كل هذا الانزعاج فى تصرفاتك ، فليس ثمة ما تحتاجين الى أن تنزعجى من أجله .. انك تعرفيننى ، فكونى طبيعية ! » . وقالت مغضبة : « لن تمكث فى هذا البيت دقيقة أخرى . اننى جادة فى قولى يا كلينت ! أتسمعنى ؟.. انصرف فورا ! »

ـ انك لا تتكلمين كما اعتدت أن تتكلمى يا فيكى ، فماذا دهاك ؟ .. لقد اعتدت أن تتوسلى الى أن لا أخرج . هل تذكرين ذلك ؟

ـ كان هذا فى الماضى يا كلينت .

ـ هو ذلك حقا .. ونحن الآن فى الحاضر ، والحاضر أفضل من الماضى دائما .

ـ عندما تزوجت « جيف » ...

ـ انك لتعرفين تماما ما قلته لك عندما ذكرت انك ترغبين فى الزواج منه .. فهذا شىء يحسن بك ان لا تنسيه.

وشدت غلالة الحمام حول جسمها بمزيد من الاحكام ، وقالت : « وماذا ؟ .. ما الذى تعتزم أن تفعل ؟ » . فدس كلينت يده فى جيبه ، وهو متجهم عابس ، وأخرج مسدسا صغيرا . فقالت : « ما الذى تعتزم أن تفعله بهذا يا كلينت ؟ »

ـ مهلا ، لا تذعرى وتنفعلى بهذا الشكل يا فيكى ! .. تمالكى نفسك ، وكونى عاقلة ، فكل ما عليك هو أن تفعلى ما أخبرك به ، وانك لمن الذكاء بحيث يسهل عليك ذلك . انك لتذكرين ما قلته لك حين مضيت فى طريقك وتزوجته ، بعد أن أخبرتك بما سيترتب على ذلك . ما أحسبك تنسين ، فان فتاة ذكية مثلك لا تنسى . **لقد أنبأتك من البداية اننى أريدك لتكونى فتاتى الخاصة ، وانك ستظلين فتاتى الخاصة مهما يكن ما يحدث !** .. لايمكن أن تنسى هذا قط يا فيكى . لقد اخبرتك بأننى سأظل أراك فى أى وقت أحب أن أراك .. تماما كما كان الشأن منذ التقينا لأول مرة لدى « ايلسى » . فلم يخلق بعد من يستطيع أن يمنعنى من أن أرى فتاتى الخاصة . أما اذا كنت لا تزالين غير مؤمنة بذلك ، فسوف أقوله لك مرة اخرى .. مرةواحدة ، ويحسن بكأن تتذكريه من الآن فصاعدا .. لان هذا هو ما سيجرى دائما !

***

ونظرت اليه فيكى غير هيابة ، وقالت : « اننى الآن متزوجة من جيف ، ولن أرتضى أن تكون لى أية علاقة بك من جديد يا كلينت . وانك لتعرف ما قد يفعله بك جيف ، لو اننى اخبرته بهذا ! »

وازدادت الخطوط التى رسمها العبوس على وجه كلينت حدة ، ونقل المسدس الى يده اليسرى ، وقال : « لن تقولى له شيئا .. لانك لا تحبين أن أحدثه عنك . **فمن المؤكد الذى لا شك فيه أنك لم تخبريه بشىء عن دار « ايلسى » ..** ثم ، ألا ترين أن عينيه خليقتان بأن تجحظا اذا هو اكتشف هذا ؟! »

فقالت ورأسها يتحرك الى الامام والى الخلف ، وهى ترقبه فى توسل : « ما كنت هناك الا لاسبوعين . وانك لتعرف أن هذا هو الحق يا كلينت ، لاننى لم ألبث أن التقيت بك هناك لاول مرة .. ولم امكث بالدار بعد ذلك لانك قلت لى أنك كنت راغبا فى أن أغادر ذلك المكان ، وأن أعيش معك فى مكان آخر . هذه هى الحقيقة الصادقة .. أليس كذلك ياكلينت؟ »

ـ بلى ، بالتأكيد .. وبعد أن انتشلتك من هناك ، وفعلت كل الذى فعلت من أجلك ، ماذا فعلت أنت ؟.. لقد ذهبت معه وتزوجته . ما رأيك فى صدق هذا ؟ .. هه ؟

ـ لقد أحببت « جيف » .. وسأظل أحبه دائما !

ـ ياله من قول !.. والآن ، سأقول لك شيئا لكى تعيه على الدوام : سأظل اراك وازورك . ولك أن تكتبى هذا فى دفترك الصغير ، حتى لا تنسيه !

ـ ارجوك يا كلينت ! .. أرجوك ! ان « جيف » واياى ..

ـ انما يعنينى أنا واياك يا فيكى ، كما قلت تماما . وليس يعنينى ما تفعلين عندما لا أكون هنا . ولكن .. عندما أكون هنا ، فأنت لى وحدى !

ـ لست خائفة . لسوف انبىء « جيف » .. لسوف ..

وتقدم خطوة ، فصفعها على وجهها بيده صفعة جعلتها تترنح الى الخلف ، ثم تقع على الاريكة . ولم تعد ترى فى الحجرة سوى اضواء مهتزة ، اذ تدافعت الدموع الى عينيها . وشرعت تبكى فى ضعف ، بينما كان يقول : « بضع صفعات أخرى كهذه ، تكفل أن يظل فمك مغلقا باحكام . والآن ، اذهبى الى المطبخ ، واعدى لى شيئا آكله . لقد طالما أحببت طهوك ، وقد مضى على شهر وأنا مشوق اليه . هيا وافعلى ماقلت ! »

وظلت مستلقية على الاريكة تبكى ، حتى انحنى عليها وجذبها فأقامها على قدميها . ثم ثبت المسدس فى ظهرها ، وراح يدفعها فى البهو نحو المطبخ . وقال : « هيا اشتغلى وأعدى لى حوالى اربع بيضات وبعضا من لحم الخنزير السمين ، أو من لحم الفخذ ، كما اعتدت أن تفعلى من قبل . وسيروق لى هذا تماما ! » . واذ بقيت فيكى ساكنة بلا حراك ، فى وقفتها الى جوار مائدة الطهو ـ وقد اتكأت عليها حتى لا تقع ـ تقدم كلينت منها ، وصفع وجهها براحة يده ، قائلا : « هل يساعدك هذا على أن تصبحى أقدر على السمع ؟ »

وأحضرت البيض وهى تبكى فى عجز ، وشرعت تمزجه بعضه ببعض فى الوعاء . ولم تصدر عن أحدهما كلمة الى أن نضج البيض واللحم السمين ووضعا فى طبق على المائدة ، أمام

كلينت . واشار اليها أن تجلس الى المائدة ، ثم شرع يأكل فى نهم . وما لبث أن قال ، وهو يتأملها عبر المائدة : « والآن ، هذا وقت مناسب لكى أصحح بعض الامور فى عقلك يا فيكى ! .. اكبحى هذا البكاء وانصتى الى ! .. لقد قلت لك انك اذا مضيت فيما كنت ماضية فيه وتزوجت « جيف » ، فان هذا لن يغير من الامر شيئا ـ بالنسبة لى ـ على مر الزمن ، لاننى كنت عازما على أن أظل أراك فى أى وقت أحب . وانك لتذكرين هذا .. كما اننى لم أعدل عن عزمى منذ ذلك الحين ، فلا يزال الامر على ما كان عليـه . وهـذا هو السر فى اننى هنا الليلة ، وفى اننى سأظل آتى لاراك ، لامد طويل . فاذا كنت ذكية ، وكنت تدركين كل شىء عن الموقف ، فسـوف تعقلين لسانك . **أما اذا شئت أن تتصرفى تصرف الغبية ، فسـوف أروى له كل شىء . أتفهمين ؟ .. هه ؟ »**

وتطلعت اليه وهى تمسـح الدموع عن عينيها ، ولكنها لم تحر جوابا . فأطلق ضحكة قصيرة ، وقال : « أحسبك قد أدركت الفكرة ، لانك تعرفين اننى لا اغرر بك حين أقول اننى سأخبره بكل شىء عن بيت « ايلسى » . سأقول له كل شىء بسرعة لا تدرين معها للامر اولا من آخر . وانت تعرفين ما سوف يصيبك بعد ذلك ، عند ما يكتشف حقيقة بيت « ايلسى » ! .. فاذا هو لم يضربك حتى يحيل نور النهار ظلاما فى عينيك لانك أخفيت الامر عنه ، فانه سيفعل ما هو قريب من ذلك ، وستظلين ترين النجوم فى أوج الظهيرة بقية عمرك . وانك لتعـرفين تمام المعرفة انه ليس الرجل الـذى يعيش مع امرأة

اعتادت أن تكون فى بيت « ايلسى » ! .. لسوف يلقى بك خارج داره ، كما يرمى تفاحة معطوبة .. بل بأسرع مما يرميها ! »

***

وتحركت فيكى بانفعال عنيف ، ثم قالت بصوت بدا كما لو انها كانت تحدث نفسها فقط : « لن ارتضى – مقابل أى شىء فى الدنيا – أن يصيب « جيف » واياى أى شىء .. أبدا ما أحببت شخصا من قبل – طيلة حياتى – كما احببته ! .. لا أحد يدرى مدى قيمة هذا الحب لدى . وانى لأعلم ان « جيف » يحبنى كذلك ، بل اننى متأكدة من هذا . **ولو انه عرف عنى شيئا مما كنت تقول ، فانه لن يتغلب على الصدمة قط . هكذا هو !..** لست أدرى ما الذى قد يفعله، ولكنه لن يعود كما كان اطلاقا . ولست اريد أن يمس بسوء الى هذا الحد . ان « جيف » يثق فى ، لانه يعرف اننى أحبه واننى اريد أن أخلص له . ولكنه لن يثق فى مرة أخرى ، اذا هو اكتشف يوما .. هذا الامر ! »

ودفع كلينت مقعده عن المائدة ، وأخرج علبة سجائره ، فقدم سيجارة لفيكى ، ولكنها هزت رأسها رافضة . فقال : « هذه احدى العادات السيئة التى مازلت بمنجاة منها يا فيكى » . وأشعل عود ثقاب فأشعل به سيجارته ، وهو يرقبها فى تفكير . ولم يلبث أن قال : « لقد رحت افكر فى الامر ، وأنا جالس هنا . ان أذكى ماتستطيعين أن تفعليه يا فيكى ، هو أن تحمليه على أن يؤمن على حياته .. بمبلغ كبير ! »

فبادرت متسائلة : « ما الذى تعنيه ؟ »

ـ فكرى قليلا ، ولن يلبث ما أعنيه أن يتجلى لك .

وغطت وجهها بيديها .. كانت تعرف انها اذا أخبرت «جيف» بأمر الاسبوعين اللذين قضتهما فى بيت « ايلسى » ، ولو استطاعت أن تشرح له الامر من ناحيتها ، فسوف يؤدى هذا الى عين ما يحدث لو أن كلينت هو الذى أخبره .. **كانت قد ذهبت الى هناك لانها كانت وحيدة وجائعة وخائرة الهمة ، بعد أن أضناها البحث عن عمل ، يوما بعد يوم .** وكانت « ايلسى » قد قالت لها أن بوسعها أن تحصل على غرفة خاصة بها ، وعلى ثلاث وجبات فى اليوم ، وان تستريح ما طابت لها الراحة .. ولقد مكثت هناك اسبوعا قبل أن يطلبها أحد .. وكان هذا « الاحد » هو كلينت . ثم اصبح يزورها فى كل ليلة ، لاسبوع كامل ، قال لها بعده انه يريدها على أن تهجر بيت « ايلسى » وأن تقيم معه . فعاشت معه ـ فى حجرة استأجرها فوق متجر بدال ـ أكثر من شهر ، وهى تطهو وجباتهما على موقد يشتعل بالبترول ، وتغسل ثيابهما وتكويها فى الحمام . ثم أصبح كلينت قلقا مضطربا ، وهجر البلدة لمدة اسبوع .

وفى خلال ذلك الاسبوع ، وفى أصيل ذات يوم ـ بينما كانت عائدة من «السينما» الى البيت ـ رأت «جيف» لاول مرة ، وتحدث اليها ـ فى الطريق ـ بضع دقائق .. وكانت من الانفعال بحيث انها لا تذكر شيئا مما قال . **بيد انها عرفت بعد ذلك ، انه لم يعد بوسعها أن تستكمل سعادتها مع أى امرىء آخر اطلاقا !..** وعند ما رجع كلينت ، أخبرته

لفورها بأمر « جيف » ، وبأنه عرض عليهـا الزواج ، فكان جوابه ان لها أن تمضى فى طريقها ، وأن تتزوج « جيف » اذا أرادت ، ولكنه سيظل يراها سـواء كانت متزوجة أو غير متزوجة ! .. ولقد ظننت انه انما كان يمزح ، وانه قد نسى كل ذلك .

***

ورفعت يديها عن وجهها ، وحدقت فى « كلينت » عبر المائدة ، وقالت : « كلينت ، هل تعد بأنك .. بعد هذه المرة .. لن تأتى الى هنا ثانية ؟ .. هل تقدم لى هذا الصنيع يا كلينت ؟ » . وحملق فيها ، دون أن يختلج فى وجهه شىء ، وكأنه لم يسمع كلمة مما قالتـه . فعادت تتوسـل اليه : « أرجوك يا كلينت ! عدنى ! .. أرجوك ! »

واجتذب نفسا أخيرا من السيجارة ، ثم سحقها فى الطبق الذى كان أمامه ، وقال وقد تراقصت على وجهه ابتسامة واهنة : « لنأخذ المسائل نقطة فنقطة يا فيكى ، اذ أن هـذا أقرب الى الصواب .. لنتجنب أن نعقد المسائل فى هـذا النوع من الحديث ، بل لنحرص على تبسيط الامور ! .. نقطة فنقطة ! فلست أحب أن أراك منزعجة ، تتخبطين فى أمور متشابكة ! .. بسطى الامور يا فيكى ! »

ووقف وهو يتناول المسدس من فوق المائدة ، وأشار لها نحو البهو . وغادرت فيكى المطبخ وهى تنظر الى الامام ، وذهبت الى غرفة النوم . وتبعها كلينت ـ بعد أن أطفأ انوار المطبخ والبهو ـ الى داخل المخدع ، ثم أغلق الباب .

وعبر الحجرة الى المائدة الصغيرة التي كانت بجوار السرير، فوضع عليها المسدس ، وقال : «هل ترين هذا ؟» . فأومأت فيكى برأسها .. وقال بشدة : « اذن فدعيه مكانه ، وابعدى يديك عنه . ولو انك تحركت نحوه ، فستنطلق رصاصة من المحتمل أن تصيب شخصا ما ، لانه معبأ بالرصاص .. واذا أصيب شخص ، فمن المحتمل أن يكون هذا الشخص أنت . أفهمت ؟ هه ؟ »

ونكست فيكى رأسها ، وهى تجلس على السرير !

(٢)

• **استيقظت** فيكى ، ففتحت عينيها فى بطء على الغرفة السابحة فى الضوء الباهر ، ويداها لا تزالان متقلصتين فى حالة عصبية . وظلت راقدة تتأمل صورة « جيف » على الجدار ، وتسائل نفسها عما انقضى من وقت وهى نائمة ، والخوف يملأ جوانحها مما عسى أن يجرى لها قبل أن ينتهى الليل .

وسرعان ما استكملت يقظتها ، وتذكرت بجلاء كل ماجرى قبل ذلك فى المساء ، فاذا بها تجمد فى مكانها فى خوف وتوتر . ولما كانت تعرف كيف يغدو « كلينت » مستهترا وقاسيا اذا ماغضب ، فقد حاولت أن لاتفكر فيما قد يحدث بعدذلك .. فما كان بوسعها أن تنسى الفترة التى قضتها معه فى غرفتهما فوق متجر البدال ، عندما كتم أنفاسها يوما بيديه الهائلتين حتى أوشكت أن تموت ، لأنها أغضبته . ولقد قال لها بعد

ذلك أنه أسف لما فعل ، وانه لن يعود الى هذا العنف ؛ ولكنها ــ مع ذلك ــ أدركت أنها ستظل فى خوف منه ما عاشت !

وأخذت « فيكى » تنصت للدقات الواهنة المنبعثة من الساعة القائمة على المنضدة المجاورة للسرير ، وهى فى خوف من أن توقظ كلينت ان كان نائما حقا ، وليس مصطنعا النوم . وكما كانت تفعل اذا ماتمنت شيئا وهى صغيرة ــ على ماكانت تتذكر ــ راحت تتخيل أن دقات الساعة الرتيبة كانت تقول مرارا وتكرارا أن « جيف » لن يلبث أن يحضر .. وبعد برهة ، رفعت رأسها عن الوسادة ببطء ، حتى استطاعت أن تتبين الوقت . ثم أسلمت رأسها ثانية الى الوسادة ، و « كلينت » لا يزال مستقيما ، كما لو مستغرقا فى النوم .

وكانت قد تبينت لاول وهلة أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل بكثير ، وأنها قد نامت ساعتين أو ثلاثا .. وكانت الريح قد كفت عن العزيف والهبوب أثناء نومها ، وسادت خارج البيت ، تلك السكينة الوادعة التى تعقب سقوط الثلج .

ولم تستطع أن تمنع نفسها ــ وهى مستلقية على السرير ــ عن التفكير فيما سيكون عليه منظر قمة التل من جمال ، عندما يفيض ضوء النهار فى الصباح ، وكيف أن الشمس عند شروقها ستكشف عن لآلىء لامعة فى كل مكان . ولسوف تكون ثمة ركامات خفيفة حول البيت ، كما أن أكوام الحصى الكئيبة ، والشوارع غير الممهدة ، ستكتسى ببساط أبيض لامع من الجليد . وقد تكون فى الساحة الخلفية آثار أقدام متعرجة خلفتها الارانب ، كما أنه قد تكون ثمة عصافير

ترفرف حول باب المطبخ ــ خلال الصباح ــ بحثا عن شيء تقتات به .. وفى الجيرة ، سيصنع الاطفال تمثالا ضخما لرجل من الثلج ، وسيظل قائما أياما قبل أن ينصهر نهائيا فى حرارة الشمس .

***

وفجأة ، خيل اليها أنها تسمع دقات الساعة تزداد ارتفاعا والحاحا ، وكأنها تحاول ان تذكرها بالحاضر .. ولم يكن كلينت قد تحرك طيلة هذا الوقت ، ولا سمعت « فيكى » أتفه صوت لتنفسه . ولم يكن من سبيل الى معرفة ما اذا كان مستيقظا أو نائما ، ما لم تستدر بجسمها حتى يتسنى لها أن ترى وجهه . واذا لم يكن يصطنع النوم ، فقدخشيت أن توقظه أضأل حركة منها .

واشتد تقبض يديها الباردتين .. وظلت راقدة وذهنها يجرى من فكرة يائسة الى أخرى ، وهى تحاول أن تهتدى الى طريقة ما للهبوط عن السرير ومغادرة الحجرة والانطلاق من البيت جريا قبل أن يتمكن من منعها . وكانت كلما واتتها فكرة ، أدركت ــ فى الحال تقريبا ــ ان « كلينت » خليق بأن يلحق بها قبل ان تبلغ دار أقرب الجيران ، لو انها نجحت فى الوصول الى الباب الامامى . وأدركت بعد ذلك ــ وقد فكرت فى كل وسيلة ممكنة للفرار ــ انه من المستحيل تماما أن تنجو من كلينت ، **اللهم الا اذا توصلت الى المسدس ، وهددته بأن تطلق الرصاص عليه اذا هو لم يبرح البيت ، أو يدعها تبرحه !**

وانبعث صفير قطار ، فى مكان ما من الوادى ـ صفير حاد ، واضح ـ فانتظرت حتى لم تعد تسمع الصدى ، ثم عادت ترفع رأسها بعد ذلك . وبأقل حركة ممكنة استطاعت أن ترى مسدس كلينت على المنضدة .. وكانت الساعة قد قاربت الواحدة صباحا .. كانت لاتزال ثمة ست ساعات على الاقل ، قبل أن يعود « جيف » من محطة البنزين فى موعده المعتاد .. أدركت انها ستقضى كل دقيقة فى قلق وجزع الى أن ينصرف كلينت ، خشية أن يقسرها على مبارحة (كليزمور) معه فى سيارته ، فيأخذها الى مكان لا يستطيع « جيف » أن يعثر عليه .. أو ان يقرر البقاء فى البيت الى أن يعود « جيف » ، واذ ذاك فمن المؤكد أنه سيندمج مع « جيف » فى صراع .. وقد يقتل « جيف » !

ورفعت جسدها على مرفقيها ـ فى بطء وحذر ـ متحركة، بوصة فبوصة . ومع ذلك فقد ظلت عاجزة عن أن ترى ما اذا كانت عيناه مفتوحتين أو مغمضتين ، اذ كان وجهه نحو الجانب الآخر . بيد أنها استطاعت أن ترى ـ للمرة الأولى ـ ارتفاع صدره وانخفاضه فى حركات واهنة ، وهو يتنفس .

وراحت فيكى تمد ذراعها بحذر فوق رأسه ، وقد أمسكت أنفاسها ، ودقات الساعة تزداد ارتفاعا والحاحا ، ثم مدت يدها نحو المنضدة . **وأوشكت يدها أن تمس المسدس ، عندما تقلب كلينت بعنف ـ وكأنما كان طيلة الوقت ينتظر ما سوف يجرى ـ وألقى بجسده نحوها ..**

وفى اللحظة ذاتها ، ألقى بها على الجانب الآخر من السرير ، فظلت منكمشة فى خوف فترة خالتها دهرا ، وهى مغمضة العينين ، وقد تملكها الخوف من أن كلينت لن يلبث أن يضربها ثانية أو ان يكتم أنفاسها بيديه .

وسمعته بعد برهة يقول : « آسف يا فيكى ، ولكنك أنت التى اضطررتنى الى هذا ! »

***

وعندما فتحت عينيها ، رأت « كلينت » جالسا معتدلا فى السرير ، وهو ينظر اليها . وارتاحت ، وحمدت الله اذ لم يكن يبدو عليه غضب ما .. وقال لها بصوت هادىء ، ثمة ابتسامة خفيفة تشيع فى وجهه وهو يرقبها : « كنت تظنين أنك قد رسمت خطة عظيمة .. أليس كذلك يا فيكى ؟ »

ومال نحوها فدفعها بلطف ، فى مداعبة ، كما اعتاد أن يفعل فى مرات كثيرة من قبل ، وقال : « كنت أعرف كل شىء مما يدور بذهنك يا فيكى ، فاننى لم أكن نائما ، وانما كنت أنتظر لأرى كيف عولت على تنفيذ خطتك . وبينما كنت تجهدين عقلك فى التفكير ، كنت أكاد أسمع التدبير يخمش جدران رأسك ، كفأر فى صفيحة ! .. كان يبدو واضحا ، كدقات هذه الساعة وهى تحسب الوقت ! .. ولو انك استخدمت عقلك حقا ، لعرفت اننى لم أكن من الغباء بحيث أنام وأتركك لتمدى يديك الى المسدس .. **ما جئت الى هذا البيت الليلة لتستغفلنى امرأة ! »**

وبعد أن دفعها مرة أخرى معابثا ، تقلب ومد يده الى علبة سجائره التى كانت على المنضدة . ودق عليها بأصبعه فبرزت منها سيجارة دسها فى فمه . وبعد أن ألقى ببقية السجاير على المنضدة ، تناول علبة الثقاب ، وحك عودا منها فى عناية ، وفى غير تعجل . حتى اذا اشتعلت السيجارة ، اجتذب منها عدة أنفاس فى تتابع سريع ، ونفخ الدخان نحو السقف ، وأخذ يرقبه وهو يحوم فوق السرير فى طبقات زرقاء خفيفة .. وما لبث أن قال ، وهو يتحرك مقتربا منها، مستندا الى مرفقه : « أما وقد فرغت تماما من لعبتك البهلوانية التافهة ، وعرفت أنه من الخير لك أن لا تحاوليها مرة أخرى ، فدعينى أنبئك بأمر بسيط .. اقصى عن ذهنك تلك الفكرة التى تصور لك أنك ستضعين يدك على المسدس ! .. أقصيها عن رأسك ، ولا تشغلى بالك بها . أتعرفين لماذا أريدك على أن تفعلى ذلك ؟ »

واذ هزت فيكى رأسها، استطرد يقول : « لاننى لا أحب أن أراك مشغولة البال .. أن هذا ينأى بفكرك عن أمور مهمة . وأنت تعرفين عم أتحدث . أليس كذلك ؟ » . فأومأت برأسها . وعاد يقول : « بديع ! .. والآن ، اليك لب الموضوع يا فيكى . **لقد جئت الى هنا لأحظى بقسط من الحب ، من فتاتى الخاصة** .. قسط من ذلك النوع الذى لا أعثر عليه فى أى مكان آخر ! .. وانى لراغب فى أن أتزود بنصيب كبير منه ، لاسيما وانه لم يعد جد قريب منى ، وقد ينقضى أسبوع بأكمله قبل أن آتى ثانية لأتزود بقسط جديد ! »

واعتدلت « فيكى » فى جلستها على السرير ، ونحت شعرها عن وجهها وجبينها . ثم جذبت الغطاء الى كتفيها ، واستدارت مسددة بصرها اليه . ومد كلينت يده فتناول سيجارة أخرى ، وأشعلها من تلك التى كان يدخنها ، دون أن يحول عينيه عن « فيكى » . حتى اذا فرغ ، سألها : « ما الذى تقصدينه ؟.. لماذا تحملقين فى بهذا الشكل ؟ »

وعضت فيكى شفتها لحظة ، ثم قالت : « كلينت ! .. هل تصغى الى ؟ »

ــ بالتأكيد !

وتنهدت ، وجذبت الغطاء حتى كسا كتفيها تماما ، ثم عادت تقول : « كلينت .. اننى لم أسألك قط شيئا كثيرا ، أليس كذلك ؟ .. أعنى طيلة الوقت الذى عشنا فيه معا فوق متجر البدال . لقد ابتعت لى بعض الثياب ، وكنت تمنحنى بعض الهدايا الصغيرة من وقت الى آخر . ولكننى لم أسألك قط شيئا كثيرا . أليس كذلك يا كلينت ؟ »

فقال لفوره : « بلى .. ما أحسبك كبدتنى كثيرا ، ولكن .. ما الذى يدعوك الى هذا القول ؟ »

ــ هل لك أن تصنع لى معروفا ، فى هذه المرة ؟

وعبس وهو يتأملها فى تساؤل ، ثم قال : « وما هو ؟ »

ــ عد الى بيت « ايلسى » ، وانتق لك فتاة أخرى !

ــ وما الذى يحملنى على ذلك ، وأنا قد حصلت عليك ؟

وتطلعت اليه فيكى فى رجاء ، وهى تحرك رأسها من جانب الي آخر ، وعيناها مغرورقتان بدموع كانت تلمع تحت

الضوء . وعاد يقول مؤكدا : « **لن أفعل ذلك وأنت ملك يدى !** »

ـ لا تقل هذا ياكلينت .. أرجوك !

ـ ولم لا أقوله ؟ .. انه الحقيقة !

ـ انه ليس من الحقيقة فى شىء يا كلينت .. ليس له ظل من الحقيقة ، فأنا لست ملك يدك .. لقد كنت كذلك يوما ، وكنت راغبة فيه ، ولكننى لم أعد راغبة ، فقد تغيرت الحال .. تغيرت تماما ، لأننى الآن ملك لجيف ، وانك لتعرف مدى مشاعر الفتاة ازاء مثل هذه الامور ياكلينت . فعندما تشعر الفتاة من صميم قلبها ..

فقال فى غلظة : « لست أدرى أى نوع من هذر الفتيات هذا الذى تعنين . ليست له أتفه قيمة لدى ! » .. وقالت وهى تتطلع اليه فى توسل : « بوسعى أن أشرحه لك ياكلينت .. أرجو أن تدعنى أكلمك عنه ، ولسوف تفهمه اذا أنت استمعت الى دون أن تغضب ! »

ـ تشرحين ماذا ؟.. ليس ثمة شىء يحتاج الى شرح . لقد اعتدت أن تقولى انك مجنونة بحبى ، وانك لم تكونى راغبة فى أى امرىء سواى .. عندما كنا نقيم فوق متجر البدالة . مارأيك فى هذا ؟.. هه ؟.. ما أحسبك تظنين أن بوسعك أن تشرحى الامر بهذا الشكل ، ألا ترين ذلك ؟

ـ كلا ياكلينت ، فلست راغبة فى أن أشرحه على هذا الوجه ..

ـ ولقد اعتدت أن تقولى انك على استعداد لان تقدمى على أى شىء فى الدنيا ، من أجلى .. أليس كذلك ؟ هه ؟

ــ أجل ، ولقد كنت صادقة فى قولى ياكلينت . ألم أكن كذلك ؟ .. لقد فعلت كل ما كنت تحب أن أفعل ، وانك لتدرى أن هذا حقيقى . والآن أحب أن تفعل أنت شيئا من أجلى .. أريدك على أن ..

ــ أن أذهب ثانية الى بيت « ايلسى » ؟ !

ــ أجل . أريد أن تعود الى هناك ، وأن تبحث عن سواى .. لسوف تعثر هناك على فتاة تحبها . أرجوك ياكلينت ! .. انها المرة الوحيدة التى سألتك فيها أن تفعل من أجلى شيئا .. كلينت ، أرجوك !

***

واجتذب من السيجارة أنفاسا عديدة قبل أن يسحقهـا بانفعـال فى « المنفضة » التى كانت على المنضدة . ومدت « فيكى » يدها فمست يده بأصابعها ، وقالت : « لقد كنت ــ اذ ذاك ــ جد مشغوفة بك ياكلينت .. كنت مشغوفة بك جدا ، جدا .. وانى لصادقة فى كل كلمة مما قلت ، ولن أرجع عنها ما حييت . ولست نادمة على ذلك ــ ولو لدقيقة واحدة ــ ولن أندم ، لانه كان شيئا ذا قيمة كبيرة لدى ، أن أعرف ان ثمة شخصا يحفل بى كما كنت تفعل . هكذا تشعر أية فتاة عندما يحفل بها شخص ما على هـذا النحو .. انه أهم شىء فى الدنيا . ولكن كل شىء قد تغير الآن ياكلينت ، وانك لتعرف انه تغير .. **انه ليس كما كان ، ولن يكون كذلك ثانية . فأنا لا أحبك .. اننى أحب «جيف» .. وأنت تعرف هذا ! »**

وصرخ فيها بصوت أجش ، خشن : « وما الذى تريدينني على أن أفعل ؟ .. أأقع ميتا ؟ » . فأجابته وهى تتكلم بصوت خافت ، مربتة ذراعه فى حنان : « لا ياكلينت .. كل ما أرجو أن تفعل هو أن تنصرف الآن ، فى هذه اللحظة ، وأن تعدنى بأن لاتعود ثانية ، البتة .. أن لاتحاول قط أن تزورنى مرة أخرى . انك اذا عدت الى بيت ايلسى .. » .

ـ ليذهب بيتها الى الجحيم .. انما أريدك أنت !

وبسط ذراعيه نحوها ، واجتذبها الى أحضانه ، وراح يضمها فى وجد .. وفى قوة عارمة ، أخذ يقبلها كما اعتاد دائما أن يفعل من قبل .. وأغمضت عينيها وهى تتهالك ـ فى عجز ـ بين ذراعيه !

(٣)

• **كان** « كلينت » مستغرقا فى نوم عميق ، وذراعه اليسرى تغطى بعض وجهه ، وتحجب عن عينيه ضوء الغرفة الباهر ، عندما مدت فيكى بصرها ثانية لتتعرف الوقت .. لم تكن قد بقيت سوى دقائق قلائل على الساعة السادسة تماما . وشرعت تفكر فى « جيف » ، متذكرة ما قاله عن حرصه على أن يراقب الساعة ـ فى هذا الوقت من الصباح ـ وأن يكون على استعداد لمغادرة محطة البنزين ، حتى لايتلكأ فى العودة اليها !

وكان الليل الطويل لايزال مظلما ، ساكنا ، ولا تزال ثمة ساعة أخرى ـ أو أكثر ـ قبل أول ضوء واهن من الفجر .

ولم تتمالك فيكى أن ارتجفت ـ برغم دفء الغرفة الناعم ، وبرغم أنها كانت ملتفة باحكام فى غلالة الحمام ـ اذ تصورت برودة صباح الشتاء فى الخارج . وتمنت أن يكون «جيف» حريصا فى قيادة سيارته على الشوارع المكسوة بالجليد ، فى عودته . ففى ذلك الوقت من العام ، كانت الصحف تحفل يوميا بأنباء حوادث السيارات .

وتزحزحت « فيكى » الى حافة المقعد بانفعال ، وهى مستبقية فوهة المسدس مصوبة نحو كلينت فى احكام ، وأخذت تنصت الى دقات بندول الساعة الرتيبة .. **وكانت اذ ذاك فى أتم يقظة ، ولم تعد خائفة من أن تروح فى نعاس .**

كانت قد جلست فى المقعد المجاور للمنضدة ، وراحت تراقب كلينت ، منذ ساعة تقريبا ، وهى تفكر فيما ينبغى أن تفعل اذا هو استيقظ . فلقد برح به التعب والانهاك ـ فى الساعة الخامسة ـ فعجز عن أن يمكث مستيقظا ، ونام للمرة الاولى فى تلك الليلة . واذ ذاك استطاعت هى أن تنهض من السرير ، وأن ترتدى غلالة الحمام والنعلين (الشبشب) بدون أن تقض نومه .

وفى بادىء الامر ، لم تكد « فيكى » تستحوذ على المسدس ، حتى سعت الى الطرف الادنى من السرير ، ووقفت هناك مصوبة اياه نحو « كلينت » ، متوقعة أن يستيقظ ، وأن يقفز على قدميه فى أية لحظة . وكانت ـ اذ ذاك ـ قد عقدت عزمها على أن تطلق الرصاص عليه قبل أن يصل اليها وينتزع المسدس من يدها . ومع ذلك فقد انقضى كل

هذا الوقت ولم يفتح عينيه البتة . **وفى تلك الاثنـاء كانت قد أدركت انها لم تكن راغبة فى قتله ، وانها حمدت الله اذ لم يحدث ما كانت تخشاه !**

وفيمـا كانت ترهف السمع لدقات السـاعة ، وترقب كلينت وهو نائم مطمئن ، أخذت تفكر فى أيامهما الماضية ، عندما كانت تنتظره فى صبر الى أن يفتح عينيه .. كانت تشيع فى وجهه — اذا ما فتحهما — ابتسامة ناعسة ، وهى يتطلع اليها . فاذا ما استكمل يقظته ، كان يتحـول اليهـا ويدفعها فى معابثة .. تلك كانت الايام التى كان فيها عاشقا ورقيقا دائما !.. كانت دائما مبهورة الانفاس ، مشبوبة المشـاعر عندما يكون هكذا ، وكانت تأمل — فى كل مرة — أن يكون راغبـا فى أن يطوقها بذراعيـه ، وأن يقبلها ، وأن يذيقها الهوى وقتا طويلا . فاذا ما حدث ذلك ، كانت أبهج فرص العمر لديها، وكانت دائما ماتبكى قليلا لفرط اغتباطها وسعادتها !

ثم كانت تفترق عنـه — بعـد ذلك — كارهة ، فتنهض لتطهو فطورهما على موقد الغاز ، بينمـا ينصرف هو الى مشاهدتها — من الفراش — فى اعجاب ، وعيناه تتعقبان كل حركة تصدر عنها . وتمثلت فى خاطرها — بصور حيـة — كل الفترة التى عاشاها معا فى الحجرة الصغيرة ، فوق متجر البدال ، متذكرة كم كانت سعيدة هناك ، غير ناسية مدى ما كانت موقتة — اذ ذاك — من انهما سيظلان على هـذا النحو دائما .

***

وكانت قد انقضت خمس عشرة دقيقة ، عندما فطنت « فيكى » فجأة الى أنها كانت تفكر فى شىء لم يعد له وجود، فتطلعت ثانية الى الساعة . ثم هبت على قدميها مسرعة ، وتراجعت عن السرير حتى أصبحت تقف وراء المقعد ، مطمئنة الى انه درء لها .. ونادت بصوت مرتفع : «كلينت ! .. استيقظ ياكلينت ! » . وأخذت تنظر الى الساعة متململة ، وهى تردد : « اتسمعنى ياكلينت ؟ .. يجب أن تستيقظ فورا ! »

وفتح عينيه والنعاس عالق بأجفانه ، وهبطت ذراعه الى صدره ، وحملق أولا فى السقف ، ثم فى صورة « جيف » المعلقة الى الجدار ، قبل أن يدير رأسه فيراها واقفة خلف المقعد . وفرك عينيه فى خمول ، وحملق فيها ثانية ، ثم فى المسدس الذى كان فى يدها .. **وسوى الوسادة تحت رأسه حتى ارتاح الى وضعها ، ثم قال فى رفق ، وقد شاعت فى وجهه ابتسامة : « هالو يا فيكى ! »**

وجمد جسد فيكى فى انتصابه ، وهى واقفة وراء المقعد .. وعجزت عن أن توقف ذهنها عن الانطلاق وراء الافكار المألوفة ، المنبعثة من ذكريات الايام التى كان كلينت يحملق فيها هكذا ، فى مثل تلك الساعة المبكرة من الصباح . واختلجت أهدابها ، وهى تحاول أن تكبح الدموع .. أبدا لم تصادف وقتا يفوق تلك الفترة قيمة لديها ! .. وخيل اليها انهما لا يزالان يقيمان معا فى تلك الحجرة الزرية ،

ذات الحصائر الخشبية الخضراء ، المجعدة ، التى كانت تسدل على النوافذ .. هكذا خيل اليها ، مع انها كانت تعلم انه غير صحيح ! .. وشعرت بأنها ترتجف ، وهى تسائل نفسها : **كيف استطاعت أن تسمح لنفسها بالتفكير فى قتله ؟ !**

وفجأة ، هوت يدها الى المقعد شبه مشلولة ، فأصبحت فوهة المسدس مصوبة الى أسفل . وقال كلينت ـ من الفراش ـ بهدوء ، وقد بدأت تلوح على وجهه ابتسامة واهنة : « لماذا لا تطلقين الرصاص على ، يا فيكى ؟ .. لن يقدر لك قط أن تحظى بفرصة أحسن ! »

وراحت فيكى تحملق فيه خلال دموعها ، وكأنها لم تسمع كلمة واحدة مما قال . ومد كلينت يده الى السجاير التى كانت على المنضدة ـ دون أن يحول عينيه عنها ـ فأشعل لنفسه سيجارة ، ثم سألها فى استخفاف : « ماذا دهاك يا فيكى ؟ .. ألا تعرفين انك لن ترديني بالرصاص مالم تصوبى المسدس نحوى وتجذبى الزناد ؟ .. هذه هى الطريقة ! »

ومسحت فيكى عينيها بظهر يدها ، وهى تهز رأسها من آن لآخر ، بينما كانت تراقبه وهو يدخن السيجارة . وعاد يسألها : « هل عدلت عن رأيك ؟ »

ـ ما كان بوسعى أم أقدم على ذلك يا كلينت .. أنك لتعلم اننى لا أستطيع .

ـ ولم لاتستطيعين ؟

ـ لأن .. لمجرد اننى لا أستطيع !

ونفث دخان السيجارة نحو السقف ، وقال : « لعلك تشعرين الآن بأسف على أنك لم تمكثى معى ، وانما ذهبت وتزوجته ؟ »

ـ لا ، لست آسفة على هذا .

ـ لعلك تفضلين ، اذا أتيحت لك فرصة البدء من جديد، أن تمكثى معى ولا تتزوجى منه ؟

ـ لا ياكلينت ، ما كنت لأفضل هذا . اننى أحب أن أكون زوجة لجيف ، وانى لمسرورة بأنى كذلك !

ـ هذا ما يسمى بالطموح الاجتماعى .. الرغبة فى الاقامة هنا ، على التل ، فى المساكن المرتفعة الايجار ، بدلا من الاقامة معى فوق متجر البدال .

ـ لم يكن لهذا أى اعتبار .

وسحق السيجارة فى « المنفضة » ، ثم قال : « اذن فلعلك لا تزالين تكنين لى شعورا معينا .. شعورا كذلك الذى أكنه لك ! » . فقالت وهى تنكس بصرها فتتأمل المسدس الذى كان فى يدها ، ثم تتركه يهوى فوق وسادة المقعد : « لست أدرى عم تتحدث . ولست أبغى أن أسمع مزيدا فى هذا الصدد ! »

***

وأدار « كلينت » رأسه ـ وقد رفع جسده معتمدا على مرفقيه ـ حتى استطاع أن يرى الساعة . ثم قال : « وبعد .. اذا كنت غير مقدمة على اطلاق الرصاص على ، بعد كل ماتجشمته فى سبيل الوصول الى المسدس ، فيحسن بى

ان أعجل بمبارحة هذا المكان ، فهو ليس بالذى يروق لى التلكؤ فيه ، فى مثل هذا الوقت من الصباح .. ان جيف يعود فى حوالى الساعة السابعة ، وهذا معناه أنه ينبغى أن أنطلق فى حوالى السادسة والنصف . بل ان من المحتمل أن يأتى فى هذه المرة مبكرا عن موعده ، وأحسبه فاعلا لو انه عرف اننى كنت هنا طيلة الليل .. أليس كذلك يا فيكى ؟.. هه ؟ »

فبادرت قائلة فى تسرع ، وهى تعبس فى وجهه : « لا تتكلم هكذا .. لست أريد أن أسمع هذا الكلام ! »

ـ انما تعنين انك لا تريدين أن يسمعه هو . أترينني أصبت يا فيكى ؟ .. هه ؟

وتريث لحظة ، فلما لم تقل شيئا ، طرح الغطاء عن جسده ، واستوى جالسا على حافة السرير . وقال وهو يشرع فى ارتداء ثيابه : « حدثينى يا فيكى : لماذا لا توجد فى الدنيا فتاة على شاكلتك ؟ .. انك فريدة فى نوعك ، وهذا النوع هو الذى يروق لى بالذات . ما الكلمة التى يستخدمونها لذلك . مصادفة ؟ .. لا بأس ، سأصف ذلك بأنه كان يوما سعيدا لى ، يوم أن صادفتك . ولولا ذلك الحظ ، ما كانت لى اليوم فتاة خاصة ! »

ومدت فيكى يدها الى المسدس الذى كان على المقعد ، فقال لها بخشونة : « ضعى هذا على المنضدة ، فان يدك ترتعش ، وقد ينطلق الرصاص . ان هذا الشىء خطير . لقد سمعت عن قوم يلقون مصرعهم اذا ما عبث شخص ما بمسدس ، دون اكتراث ! » . فوضعت فيكى المسدس على

المنضدة ، بجانب الساعة . وقالت وهى تبتعد عن المنضدة، وتتقهقر بظهرها نحو الباب : « لقد كنت أعتزم أن أطلق الرصاص عليك يا كلينت .. حقا لقد كنت عازمة ، وانك لتعرف انه كان بوسعى أن أنفذ عزمى .. كان بوسعى أن أقتلك بينما كنت نائما .. **وقد آسف يوما على اننى لم أطلق الرصاص عليك ، عندما سنحت لى الفرصة . ولكنى ـ مع ذلك ـ لم أستطع أن أحمل نفسى على ذلك ! »**

ونظر اليها عبر الحجرة ، وابتسم قائلا : « اشكرك .. اشكرك جدا ! »

وكان فى تلك الاثناء قد ارتدى ثيابه ، وقد أشرفت الساعة على السادسة والنصف . فالتقط المسدس ودسه فى جيب سترته ، وأردفه بسجايره وثقابه . ثم اجتاز الغرفة ، وسار الى الباب الخارجى . وتبعته « فيكى » خلال البهو ، فاذا هو قد أضاء الانوار ، وارتدى معطفه الرمادى الثقيل .

وقال لها : « اننى لآمل حقا أن لايكون البرد قد عطل سيارتى .. لسوف أكون فى مأزق حرج فعلا ، لو ان المحرك أبى أن يدور ! » . فقالت ضارعة وهى تقف فى وسط المدخل، متفرسة فى وجهه : « كلينت .. لسوف تكون هذه هى المرة الوحيدة ، أليست كذلك ؟ .. انك لتعرف ما أعنى ياكلينت .. انها المرة الاخيرة » . ولكنه قطع عليها الحديث ، وهو يرتدى قبعته ويسير نحو الباب قائلا : « اذا اضطررت الى العودة لأنشد بعض الماء الساخن أصبه على المحرك حتى يدور ، فانى أحب أن تعدى لى بسرعة قدرا من الماء المغلى . أتفهمين ؟ »

وقالت تعده : « سأعد لك الماء الساخن ياكلينت ، ولكن .. لا تنصرف بدون أن تخبرنى ان هذه هى آخر مرة !.. يجب أن أعرف ! .. لسوف أعانى الخوف فى كل دقيقة .. الخوف من أن تعود ثانية . أرجوك ، قل انك لن تعود ! »

***

وفتح الباب قبل أن يستدير اليها قائلا : « ليس هناك مايستحق أن تعرفيه سوى أمر واحد يا فيكى ، وهو من البساطة بحيث يلصق بذهنك كما يلصق طابع البريد برسالة من أحد الدائنين .. **كل ما عليك أن تتذكريه هو اننا سنظل خليلين طالما كنت على قيد الوجود وكان بوسعى أن أدب على قدمى** . ألا ترينه أمرا بسيطا ، واضحا ؟ هه ؟.. لقد خلقنا ليلائم كل منا الآخر ، كما تتلاءم قطعتان من الاخشاب التى يستعملها الاطفال فى بناء الاشكال ، وهذا هو السبب فى اننى واياك سنظل دائما على اتصال . وسأضرب لك مثلا : فبعد حوالى أسبوع من الآن ، سأزورك ثانية . ومعنى هذا اننى واياك سنلتقى .. ربما فى الموعد ذاته ، وفى المكان ذاته .. وربما فى مكان آخر ، وموعد آخر ، ولكنك ستعلمين ذلك ، لأنه لابد لك من أن تكونى هناك . وفى الاسبوع بعد التالى .. عين الامر . ومن يدرى الى متى سأظل قادرا على أن أسير على قدمى ؟ .. أنا نفسى لاأدرى . ومن ثم فاجعلى هذا نصب عينيك ما عشت يا فيكى ! »

وصاحت فى حسرة ، وقد احتقن وجهها غضبا : « لكم أتمنى الآن لو اننى كنت قد صرعتك ياكلينت ! » . وشرعت

تدق صدره بقبضتيها ، بأشد ما كان فى وسعها ، وهى تقول : « اننى أعنى ما أقول .. أعنيه بحق .. ولو قدر أن تسنح لى فرصة أخرى ، فثق اننى سأنفذ قولى .. لسوف أقتلك فى المرة القادمة ياكلينت ، ولن آسف على ذلك ! »

ــ لا ، لن تجسرى .. اننى أعرفك خيرا مما تظنين !

ودفعها الى الخلف بذراعه ، وهو يستطرد قائلا : « ان فى فؤادك بقعة تلين لى يا فيكى ، وستظل رقيقة ولينة بالنسبة لى بقية عمرك . وانك لتعرفين السبب . لقد صادفتك وانتزعتك من بيت « ايلسى » قبل أن يطول بك المقام هناك . ألم أفعل ذلك ؟ .. ولن تنسيه أنت لى ، لانك تعرفين أننى لو لم أفعل ، لما استطعت أبدا أن تتزوجى من شخص مثل « جيف » ، وأن تعيشى هنا فى بيت بديع جديد ، على التل ، يحيط بك علية القوم .. انك لتعرفين تمام المعرفة ما كان مقدرا أن تصيرى اليه اذا كنت قد مكثت فى دار « إيلسى » **.. كنت مسوقة الى أن تصبحى مومسا منذ عهد طويل !..** فهل ترين فى هذا الحديث مايهمك ؟ .. لو اننى كنت فى مكانك ، لفكرت فيه قبل أن تحين المرة التالية التى ترينني فيها ، فهو قمين بأن يحملك على أن تكونى أكثر حرصا فى حديثك ! »

وفتح « كلينت » الباب ، ووقف عنده يتأمل الشارع المكسو بالجليد ، ثم قال : « شكرا اذ أيقظتنى فى موعد مناسب يا فيكى . كنت أعرف أن بوسعى أن أركن اليك » .

وما ان غاب عن بصر « فيكى » حتى تهالكت فى الأريكة خائرة القوى ، وراحت تنتظر فى رجاء أن تسمع صوت

سيارته وهى تنطلق . ولاح لهـا ان الدقائق كانت تزحف ببطء ، قبل أن تسمع صوت باب السيارة يصفق .. ثم لاح لها ان دهرا قد انقضى قبل أن تســمع أزيز زر ادارة المحرك يعمل ببطء ، وكأنه يناضل ليدير المحرك . وانبعث ـ فى بادىء الامر ـ صوت ضعيف من جهاز تصريف العادم، ثم فرقعة هادرة . وفى اللحظة التى سمعت فيهـا فيـكى دوران المحرك ، قفزت من مكانها وهرعت الى النـافذة .. **وخلال فرجة بين الستائر ، رأت الاضواء الامامية لســيارة كلينت تتحرك بسرعة فى الشارع المكسو بالجليد .**

وأسرعت الى حجرة النوم فسوت الملاءات والاغطيـة ، وعدلت من وضع الوسائد ، ثم حملت « منفضة » سجـاير « جيف » الى الحمام ، وألقت ببقايا سجاير « كلينت » فى البالوعة ، وأطلقت الماء وراءها . وما لبثت أن أرسلت الماء فى حوض الاستحمام ، ثم خلعت غلالة الحمام . وكان بوسعها أن ترى الساعة التى تعلو المنضدة بجوار السرير ، فاذا بها تشـير الى السـابعة الا الربع عنـد ما غمست جسـمها فى الحوض .

***

ولم تـكن قد قضت فى الحوض أكثر من دقائق قليلة ، عندما سمعت اصطفاق الباب الخارجى . وسمعت ـ عقب ذلك مباشرة ـ وقع خطوات « جيف » الثقيلة ، وهو يسير فى البهو قاصدا الى غرفة النوم .

وعنـدما رفعت بصرها ـ وقـد أدركت بطريقة ما ، ان

« جيف » كان موجودا ــ رأته يقف بالباب ، وهو يبتسم لها كعهده دائما عندما يعود ، بعد أن يكون قد قضى الليل طوله فى العمل .

وسمعته يقول : « يالك من نشيطة شغالة فى مثل هـذا الوقت المبكر من الصباح !.. ان السرير منسق، وها أنتذى فى الحمام . ما الداعى لكل هذا النشـاط يا فيكى ؟ » . فأسرعت تجيب : « لقـد أردت أن أكون على استعداد لان أطهو لك الفطور بمجرد عودتك الى الدار . لسـوف أعد الفطور فورا » . فقال جيف : « لا تتعجلى ، بل استغرقى ماشئت من الوقت . لقد وضعت ابريق القهوة على النار ، وأريد أن ألقى نظرة على الصحيفة ، على أية حال ! »

وكان قد استدار مبارحا مكانه ، عندما نادته ، وقالت فى توسل : **«جيف، أرجو أن لا تعمل بالليل ثانية .. لاتعمل بعد الآن . أرجوك يا جيف .. اننى أصر على ذلك ! »**

ــ ولكن « هارى باس » واياى ...

ــ لا شأن لى ! .. اغلقا محطة البنزين بالليل ! .. افعلا أى شىء ، ولكن لا تدعنى هنا وحيدة بالليل ثانية .. لاتدعنى مرة واحدة يا جيف !

ــ انك تتكلمين كما لو كنت خائفة من شىء ما يا فيكى ، فماذا جرى ؟.. هل ارتعبت فى الليلة الماضية ؟

وأومأت برأسها مرات ، ثم قالت : « ليس لك أن تغيب ثانية بالليل يا جيف ! .. لا تغب أبدا بعد الآن ! »

ــ لا تنزعجى يا فيكى ، فليس الامر من السوء الى هذا الحد . ولن يجسر امرؤ على أن يحوم حول هذا المكان ، فى

هذه الليالى الزمهرير ، لمجرد افزاعك ! .. لقد رأيت آثارا على الجليد أمام البيت – ولكنها ولا بد آثار امرىء غاصت عجلات سيارته فى الجليد ، ولعله كان يحاول أن يعثر على أحد ليساعده على رفعها .. اننا لا نستطيع الآن أن نغلق محطة البنزين ، ولكنى تحدثت بصددها مع « هارى باس »، وقد أوحى حسابنا بأننا لن نلبث – بعد شهر آخر أو اثنين – أن نستأجر مديرا ليليا لها . انك تدركين حقيقة الوضع ، فنحن لا نزال فى باكورة المشروع ، وقد تصبح لنا – فى سنوات قلائل – سلسلة كاملة من محطات البنزين، واذ ذاك ستشعرين باغتباط لاننى عملت بالشكل الذى أعمل به الآن !

وناولها منشفة ، قبل أن يبرح الحمام قائلا : « لسوف نعود الى الحديث فى هذا الامر . فلنفطر أولا ، فاننى الآن جائع ! » . وأسرعت فيكى – بعد أن ارتدت غلالة الحمام – الى المطبخ . وما ان اجتازت الباب حتى رأت جيف جالسا الى المائدة ، يقرأ صحيفة الصباح – التى أحضرها معه – وأمامه الطبق الذى استخدمه كلينت فى الليلة السالفة . **وخيل اليها ان قلبها أوشك على ان يكف عن الوجيب ، عند ما رأت الرماد وبقية سيجارة كلينت مسحوقة فى الطبق !**

ولم تدر كم ظلت واقفة فى مكانها ، قبل أن تقوى على دفع نفسها الى الحركة .. وأخيرا ، سارت الى المائدة والالم يخزها ، وتناولت الطبق . وفيما كانت منحنية ، خفض جيف الصحيفة فى بطء ، وقال : « متى بدأت تدخنين يا فيكى ؟ » . وبدا عليه الاهتمام وهو يرسل نظراته الثاقبة

الى عينيها مباشرة ، ويردف : « ظننت انني الوحيد هنا ، الذى ابتلى بهذه العادة السيئة ! »

وأحست كأن جميع ما فى بدنها من أنفاس قد انتزع منها . وأجابت بصوت خافت : « لا .. لست .. أدرى » .

ــ لا بأس .. أما وقد جربتها ، فهل تظنين انك ستظلين تمارسينها ؟

ــ لا يا جيف .. كلا ، بالطبع !

وظل يتفرس فى عينيها ، دون أن يبين على أساريره شىء مما كان فى نفسه . وقال بعد صمت طويل ، وفى صوته استياء ولوم غير مألوفين منه : « حسبنا ، لا تلوميني اذا كنت لم ترتاحى اليها ، فما كانت هذه فكرتى ، وليس لى شأن بها . لقد كانت فكرتك أنت ! »

ورفع جيف الصحيفة ، فحجب وجهه عن بصرها ، وعاد الى القراءة .

***

وتناولت فيكى الطبق بيدين مرتجفتين ، فحملته الى حوض الغسيل ، وأرسلت الماء عليه بأقصى قوة ، حتى اختفت بقية السيجارة وكل الرماد فى البالوعة نهائيا . وأسرعت بعد ذلك ــ ودون أن تنظر فى اتجاه جيف مرة أخرى ــ الى طهو البيض ولحم الخنزير السمين . حتى اذا فرغت من اعداد الفطور ، جلست الى المائدة . فوضع جيف الصحيفة جانبا ، ورشف من القهوة الساخنة ، وهو ينظر اليها من فوق حافة القدح .

وحركت فيكى طبق الخبز المحمص ـ بحركة عصبية ـ حتى أصبح أمام جيف .. وقال هذا وقد شرع يلتهم البيض واللحم : « هناك شيء حدث ولم يرد فى الصحيفة هذا الصباح، وان كان سيتاح لك أن تقرأى عنه فى صحيفة الغد ، فهو لم يحدث الا منذ نصف ساعة .. انه حادث جديد من تلك الحوادث الفظيعة » .

ورفعت فيكى قدحها ، فأمسكته بيديها معا ، لتحول دون تناثر القهوة ، وتساءلت : « أى نوع من الحوادث هو يا جيف ؟ »

ـ تهشم سيارة .. انه حادث فظيع !

ـ وأين وقع ؟

ـ على التل بين هنا والمدينة .. فان الشخص الذى كان يقود السيارة ، كان مسرعا فانزلقت على رقعة من الثلج على الجزء المنحدر من التل . ان تلك البقعة خطرة دائما، لاسيما حين ينصهر بعض الجليد ثم يعود الى التجمد خلال الليل .. والذين يقيمون على التل يعرفون كيف يتفادون الخطر عندما يقودون سياراتهم عبرها . ولا بد أن ذلك الشخص كان ينطلق هابطا التل بسرعة تقرب من ستين ميلا فى الساعة، **لأن السيارة انقلبت على نفسها أكثر من ست مرات، عندما اصطدمت بأحد أعمدة التليفون !** .. لقد ذهبت الى هناك عند ما كانوا ينتزعون الرجل من وسط الحطام ، ولكنه كان قد مات .. مات تماما ، وقد خلع رأسه من مكانه .. هكذا كانت شدة الصدمة ..

وأسرعت فيكى تضع قدحها على المائدة، وقد عادت يداها

الى الارتعاش ، وتساءلت : **« وهل عرفت من هو ياجيف ؟ »**
وأجابها بالنفى ، فعادت تسأله : « ألم تره من قبل اطلاقا ؟ »

ـ لقد رأيته فى المدينة بضع مرات ، ولست أدرى أين كان يقيم ، ولا ما الذى كان يفعله ليكسب عيشه .. لا ولست أعرف ما الذى كان يفعله اذ انطلق يهبط التل بمثل هذه السرعة فى الساعة السادسة من الصباح . اننى واثق تماما من انه لايقطن هنا ، والا لكان قد تعلم أن يكون أكثر حرصا وهو ينطلق بسيارته على الثلج !

وتناولت فيكى قطعة من الخبز المحمص ، ولكن يدها كانت ترتجف بعنف اضطرت معه الى أن تعيد القطعة الى الطبق ثانية . وتساءلت وهى تضم يديها فى حجرها : **« أمتأكد أنت من أنه مات يا جيف ؟ »**

ـ كل التأكد .. وكان بوسعك أنت الاخرى أن تتأكدى من ذلك ، لو انك رأيت كيف كان رأسه ملتويا ومخلوعا من مكانه .. وما كان هذا بالمنظر الجميل !

وهوت على ركبتيها بجوار جيف ، ولفت ذراعيها حوله ، وتعلقت به بكل ما فى كيانها من قوة . وعندما شرعت تجهش بالبكاء ، شعرت بيد « جيف » تلمسها ، وتروح تمسح على شعرها فى حنان وتسرية !

الخالدون

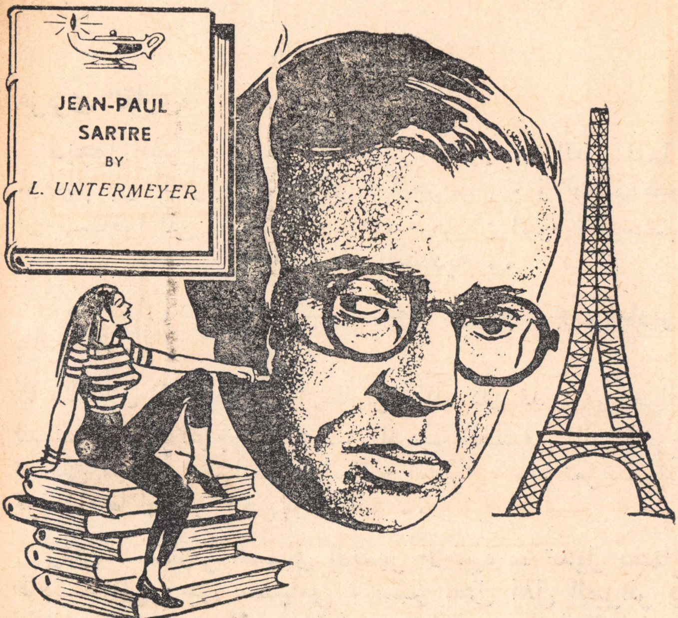


عظماء في غير السياسة

عزيزى القارىء ..

فى الأعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب قصص حياة :
« لويس باستير » .. و « أميل زولا » .. و « ماركونى » .. و « تشايكوفسكى » .. و « مصطفى كمال » .. ثم « شوبان » .. و « جى دى موباسان » .. و « مختار » و « تشارلس ديكنز » و « بيتهوفن » و « موسولينى » و « شيلى » .. و « بلزاك » و « بودلير » و « دستويفسكى » و « جيته » و « موليير » و « كونفوشيوس » و « الكسندر ديماس » و « ميكيل انجلو » ثم « ارسطو » و « اينشتين » و « فولتير » و « بيكاسو » و « البرت شفايتزر » وغير هؤلاء من الخالدين فى شتى ميادين الأدب ، والطب ، والاختراع ، والفنون .. الخ

وفيما يلى أقدم لك قصة حياة نبى الوجودية فى العصر الحديث



چان پول سارتر

دراسة تحليلية مشوقة لسيرته، وأدبه
وفلسفته، و.. وجوديته!

للباحث والمؤرخ المعروف: لويس أونترماير

عزيزى القارىء :

ديجول اليوم ناقم على أدباء فرنسا ورجال الفكر فيها ، لموقفهم من الحرب الدائرة فى (الجزائر) ، ولانهم رفضوا أن ينساقوا الى ما يبشر به الطاغية من أن القوة والوحشية يمكن أن يخضعا الاحرار لربقة العبودية ..

وهو ـ أى ديجول ـ أشد سخطا على **((جان بول سارتر))** بالذات ..

ذلك لان المعروف عن « سارتر » انه كان قد كرس حياته للتبشير بـ « الوجودية » .. المذهب الفلسفى الذى خرج به على الناس بعد الحرب العالمية الثانية ، وما تعرضت له فرنسا خلالها من محن وأحداث ..

ولكن ((سارتر)) ـ فى الاشهر الاخيرة ـ تحول بجماع طاقتـه الى رجل سـياسي ، يبشر بحق أهل الجزائر فى اختيار مصيرهم وبناء مستقبلهم ، وينتقد سياسة الوحشية الديجولية التى تخنق الجزائر وفرنسا معا ..

ومثل هـذه الآراء ـ فى نظر ديجول ـ كفر وزندقة .. كفر به كزعيم ناجح ، حازم .. وزندقة بأحلامه فى امبراطورية فرنسية تسود العالم ، وهو على رأسها .

لذلك ، فعندما نفرد لك الصفحات التاليـة عن « جان بول سارتر » ، انما نعرفك بمفكر وأديب ، استطاع ـ وهو يعيش فى حمأة الاستعمار ـ أن يخلص نفسه من براثن هذا الوحش الذى يرين على عقول الغرب ، وان يحتفظ بحرية الفكر .. وتفكير الاحرار !

ولقد يكون فى آراء « سارتر » الفلسفية ما يتعارض مع آرائنا ومعتقداتنا ، لا سيما اذا طبقناها على المقاييس الدينية .. ولكن هذا لا يمنع من أن نتعرف عليها ، ثم .. لتكن له آراؤه ولنا آراؤنا . ويكفينا انه أثبت حقا انه حر فى بلد يعز فيه الاحرار اليوم !

الانسان وحدة مستقلة

• « **الانسان** وحده هو المسئول عن كل تصرفاته وأفعاله، بل وعن ذاته ووجوده .. فليست هناك قيم أو مقاييس أو معان فوق ارادة الانسان ، أو مفروضة عليه من خارج كيانه .. وانما كل انسان وحدة مستقلة ، فريدة ، لاتشبه سواها . ومن ثم فلا سبيل الى فرض قواعد للسلوك والتصرف على أى امرىء . بل ان ارادة المرء هى التى تملى عليه تصرفاته ومسلكه » .

بهذه العبارات التى حاولنا أن نقدمها لك فى أبسط صيغة تقربها الى الفهم ، خرج الفيلسوف والاديب الفرنسى « جان ــ بول سارتر » بنظريته التى أحدثت ضجة فى عالم الفكر ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، لما انطوت عليه من جرأة ذهبت الى درجة انكار أى سلطان خارجى على الانسان، فهو لا يخضع لغير سلطانه على نفسه !

بين التدريس والمقاومة السرية

• **ولد** « جان ــ بول سارتر » فى باريس ، فى ٥ يونيو

سنة ١٩٠٥ .. ولم يكد يبلغ الثانية من عمره ، حتى توفى والده الذى كان ضابطا بحريا . ولم يطل عهد امه بالترمل ، اذ انها تزوجت مرة ثانية ، تاركة طفلها لجده الشيخ ، الذى كان استاذا فى الجامعة .

وشغف كل من الجد والحفيد بصاحبه .. كان « جان بول » معجبا بصوت جده الجميل ، وكان الجد مبهورا بالمواهب التى بدأت تصرفات الغلام تتكشف عنها .. فقد حاول « جان بول » ـ وهو بعد فى السادسة من عمره ـ أن يؤلف قصصاخرافية شعرية، على نسق خرافات «لافونتين» .. كما انه استطاع ـ حين بلغ الثانية عشرة ـ أن يضع عددا من القصص والروايات الحافلة بالمغامرات !

واذا صح أن ثمة من يولد وفى رأسه عقل فلسفى ، **فان « سارتر » مثال لهذا الفيلسوف بالفطرة . فقد أبدى منذ حداثته ميلا للفسلفة أدى الى اتجاهه الى دراستها .** وبعد أن تخرج فى مدرسة « النورمال » ـ وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ـ اشتغل بتدريس الفلسفة فى (الهافر) ، ثم (لاون) ، ثم (باريس) .

واذ بلغ العقد الثالث من عمره ، طابت له الاسفار ، فأخذ يقضى كل وقت ممكن من أوقات فراغه ، فى التجول فى الدول الاوربية ، لا سيما المانيا . وزار ايطاليا ، واسبانيا ، وبلاد اليونان ، وانجلترا .. الى أن دعى للخدمة العسكرية ، عندما بدت نذر الحرب العالمية الثانية فى الجو ، وعين بين مراقبى المدفعية ، فى اقليم (الالزاس) .

وفى سنة ١٩٤٠ ، وقع « سارتر » فى أسر الالمان ، فبقى

فى أحد معسكرات الاعتقال عدة أشهر . ثم قدر له ـ بطريقة ما ـ أن يهرب الى باريس ، ولم تكن قد وقعت بعد تحت الاحتلال النازى ، وعاد يمارس مهنة التدريس . بيد أن الالمان لم يلبثوا أن استولوا على باريس ، وسيطروا على الحكم فيها . ومع ذلك فقد غامر « سارتر » بحياته ، وظل فى المدينة .. ليس هذا فحسب ، بل انه راح يساهم فى محاربة المحتلين . وسرعان ما صار المدرس من انشط الاعضاء العاملين فى حركة المقاومة السرية .

الظلم قوة تحرر الانسان

• وفى تلك الفترة ، بدأ « سارتر » يصوغ فلسفته عن المتناقضات ، وهى الفلسفة التى قال فيها ان : الظلم المنصب من الخارج ـ أى الواقع على المرء من قوة خارج كيانه ـ هو فى الواقع قوة محررة فهى تحرر الانسان الكامن فى أعماقنا ، بحيث يستطيع أن يتخذ قراراته اليومية ضد الظلم ، فى استبسال واقدام مستميت .

وكتب « سارتر » يقول فى هذا الصدد : « اننا لم نكن يوما أكثر تحررا مما نحن خلال الاحتلال الالمانى . لقد خسرنا كل حقوقنا ، وفى مقدمتها حق الكلام . وأصبحنا نهان علانية فى كل يوم ، فنتقبل الاهانة فى صمت . ولقد كنا نرحل جماعات بعيدا عن أوطاننا ، بحجة أو أخرى : أحيانا بزعم اننا عمال ، وأخرى بحجة أننا يهود أو مسجونون سياسيون .. وفى كل مكان كنا نصادف الصورة المنفرة التى يرسمها لنا الظالمون ، والتى يريدوننا على أن نتقبلها ، ليقروا فى نفوسنا أننا خاملون تافهون .. ومن جراء كل هذا ، كنا أحرار ! ..

كانت كل فكرة صحيحة غزوا وانتصارا ، لمجرد أن الافعى النازية كانت تبث سمها فيتغلغل فى أفكارنا ذاتها . وكانت كل كلمة بمثابة اعلان للمبادىء ، لمجرد أن البوليس القاهر كان يحاول أن يغصبنا على أن نعتقل السنتنا .. وكانت لكل ايماءة منا مقام التعاهد الجليل على حمل الإمانة ، لمجرد اننا كنا مطاردين (بفتح الراء) .. وهذه الظروف ـ برغم ماكان فيها من فظاعة، فى كثير من الاحيان ـ مكنت لنا فى النهاية من أن نعيش بلا تصنع ولا استحياء زائف فى ذلك الوجود القلق ، المضنى، المستحيل، الذى يقال أنه نصيب الانسان وقدره» .

متضامنون فى عزلتهم !

• **وتعلم** سارتر أن التضامن والعزلة ليسا متناقضين بالضرورة، وانهما لم يكونا من ضرورات تلك الفترة فحسب، وانما كانا من الضرورات المحتومة التى لا مندوحة عنها . وقد عبر عن هذا بقوله :

« .. ولأولئك الذين كانوا مشتركين فى المقاومة السرية ، اتاحت ظروف الجهاد نوعا جديدا من التجربة . فهم لم يكونوا يحاربون سافرين كجنود . وكانوا فى جميع الظروف وحيدين . فكانوا يتعرضون للمطاردة فرادى ، وكانوا يعتقلون فرادى.. كانوا فى صمودهم أمام معذبيهم وحيدين ، مهجورين ، لا يوليهم أحد ودا .. كانوا وحيدين ، عرايا أمام زبانية التعذيب الذين أوتوا ضميرا جامدا وشعورا لا حد له بالقوة الاجتماعية ، مما أظهرهم بمظهر من هم على صواب وحق .. كانوا وحيدين ، بلا يد صديقة أو كلمة تشجعهم ،

ومع ذلك ، فانما كانوا ـ فى غمرة وحدتهم ـ يحمون الآخرين .. كل الآخرين ، كل زملائهم فى المقاومة . ففى الوحدة الشاملة ، كانت ثمة مسئولية كاملة .. اليس هذا عين تعريف حريتنا ؟

« ما من جيش فى العالم توفرت فيه مثل هذه المساواة فى التعرض للخطر بين الجندى العادى والقائد العام . وهذا هو السر فى أن «المقاومة» كانت ديموقراطية حقيقية .. خطر واحد ، وعزلة واحدة ، ومسئولية كاملة واحدة ، وحرية مطلقة واحدة فى نطاق النظام ، للجندى والقائد على السواء . وهكذا قامت ـ فى الظلام ، وفى الدم ـ جمهورية ، هى أقوى الجمهوريات . كان كل فرد من رعاياها يدرك انه مدين بنفسه للجميع ، وأن ليس له أن يركن الى أحد سوى نفسه فقط .. كان كل منهم يضطلع بمسئوليته وبدوره فى التاريخ ، فى عزلة تامة .. وباختياره لنفسه فى حرية ، كان يختار الحرية للجميع » !

(ما أشبه هذا بموقف الابطال المجاهدين فى (الجزائر) . ولكن فرنسا لم تتعلم من الدرس الذى تلقته فى محنتها !) .

فلسفة .. فى روايات و مسرحيات

• **وما** ان تحقق تحرر فرنسا ، حتى أصبح «سارتر» المدرس والمحارب كاتبا أشد اقداما وجرأة . واستغرق فى دراسة كل ما للآدميين من سلوك بعيد عن العقل ، مثير للأسى .. تحفزه على ذلك تجربته الشخصية ، وتدفعه ذكرى كل

اولئك الذين يضطرون الى أن يعيشوا فى تخف وتكتم وسرية، من الناحية النفسية والبدنية على السواء .

وفى وضوح قاس ، ومزيج من العاطفة وعدم الاكتراث ، راح يكشف عن الحوافز التى تراود الانسان وهو يتخبط فى دنيا خاملة تافهة .. فى كون **« لا يبرر وجوده فيه شيء ما ، على الاطلاق » .. كون يدفن فيه هذا الانسان فى بيئة معادية له ، وغير ذات غاية ، فليس ما يتيح له البقاء فيها سوى ارادته الحرة !**

ولم يكتف « سارتر » بالكتابة الفلسفية البحتة ، لشرح مشاعره ازاء موقف الانسان ــ المحوط بالاخطار واليأس ــ فى هذا الكون ، بل انه راح يبسطها فى روايات عالج بها الازمات العاطفية فى حياة أناس معذبين ، ومن هذه الروايات « عصر العقل » ، و « الفرصة الاخيرة » ، و « الغثيان » .. كما بسطها فى مسرحيات ، مثل « الذباب » و المسرحية التى نقدمها لك فى مكان آخر من هذا العدد من « كتابى » تحت اسم « الجحيم هو الناس ! » .. ثم فى مسرحية « المومس الفاضلة » التى أثارت جزع رواد المسرح واستنكارهم ، لما تخللها من صراحة جريئة ..

آخر رواية لفترة مابين الحربين

• **ولرواية** « الغثيان » قصة طريفة ، لا بأس من ايرادها .. فقد كتبها « سارتر » فى سنة ١٩٣٨ ، قبيل أزمة (ميونيخ) بأشهر قلائل . وعندما قدمها الى الناشر ، احتار

هذا فى أمرها : أينشرها على انها رواية ، أم على أنها بحث ودراسة ؟

وانتهت به الحيرة الى أن قرر اعتبارها « رواية » ، لأن هذا ادعى لرواج كتاب غامض معقد كهذا .. وصح تقدير الناشر ، اذ صادف الكتاب رواجا هائلا . ومع أن الهيئات الادبية لم تجرؤ على منحه أية جائزة ، فقد ظل الكتاب مثار اهتمام الادباء والكتاب طيلة ذلك العام ، مما أضفى على المؤلف ـ الذى كان مدرسا للفلسفة باحدى المدارس الثانوية بباريس ، اذ ذاك ـ قسطا من الشهرة .

والرواية ـ فى واقع الامر ـ مجموعة من التأملات حول تفاهة الحياة الانسانية وسخفها . وهي تروى قصة أديب يائس ـ يدعى « انطوان روكنتان » ـ يحاول أن يكتب بحثا حول أحد الفاسقين الماجنين ، من أبناء القرن الثامن عشر . بيد أن هذا العمل لا يستثير حماسه ، فلا يلبث أن يمله . ونظرا لأنه بلا أهل أو أصدقاء، فانه ينطلق هائما على وجهه، ينتقل من مشرب الى مشرب ، ومن مقهى الى مقهى ..

ويتملكه ـ ذات يوم ـ احساس غريب ، أشبه بالاشمئزاز أو الغثيان ، فيصبح هذا الشعور هو المحور الذى يدور حوله موضوع الكتاب كله .. فان « روكنتان » يشعر بأنه موجود ، ولكن ما من شىء ـ فى نظره ـ يبرر هذا الوجود .. انه يعيش ، ولكن كان من الممكن الا يكون على قيد الحياة ! .. وهو لهذا يكتب : « ان كل شىء هباء والى زوال .. هذه الحديقة ، هذه المدينة ، أنا نفسى .. وعندما يتبين

المرء هذه الحقيقـة ، يشعر بأن قلبـه يدور ، وان كل شىء حوله قد بدأ يتأرجح ويهتز .. ذلك هو الغثيان ! »

على أن هذا الكتاب ـ المفعم باليأس والتشاؤم ـ كان كتاب عهد أشرف على نهايتـه ، حتى لقد قال النقـاد أن « الغثيان » كانت آخر رواية لفترة ما بين الحربين !

« الباب المغلق » .. بعد « الآخرون » !

• ولم يقصر « سارتر » نشاطه التأليفى على الموضوعات الفلسفية ، بل أقدم على اقتحـام ميدان المسرح . وقـد أخرجت أولى مسرحياته ـ وهى « الذباب » ـ على مسرح « سارة برنار » . وازاء النجاح البـاهر الذى ظفرت به ، بادر صـاحب فرقة تمثيليـة فى مدينـة (ليون) ـ يدعى « مارك باربيزا » ـ بتكليف « سارتر » باعـداد مسرحية جديدة محـدودة الشخصـيات ، قليلة « الديكور » ، كى يسهل تمثيلها فى الاقاليم ، أثناء جولة الفرقة التمثيلية .. ومن ثم أعد سارتر مسرحية أسماها « الآخرون » ، وتقرر أن يقوم باخراجها وبتمثيل الدور الاول فيها شاب طويل القامة ، أسمر القسمات ، ولد فى شمال افريقيـا ، يدعى « البير كامى » .. **(وهو الاديب الذى ذاع صيته بعد ذلك حتى ظفر بجائزة (نوبل) ، ثم مات فى حادث سيارة فى العام الماضى .. وقد قدم لك « كتابى » سيرته وأروع انتاجه ، فى العدد ٨٦) .**

على أن هذا المشروع الرائع لم يقدر له أن يرى النور قط . اذ لم يلبث « سارتر » أن تلقى محادثة تليفونية ،علم

منها ان احدى الممثلتين فى المسرحية ـ وهى زوجة «باربيزا» نفسه ـ قد اعتقلها رجال الجستابو !

واذ ذاك تذكر « سارتر » أن له صديقا زعم انه يعمل مستشارا خاصا لبيير لافال ، وكان كثيرا ما يطلعه على مذكرات صيغت بأسلوب وزارة الخارجية ، وأعدت لارسالها الى « هتلر » .. فاتصل به ، وذهب للقائه ، وروى له قصة المرأة المعتقلة . وأنصت الصديق للقصة ، ثم وعده بأن يطلق سراح مدام « باربيزا » فى اليوم التالى .

ولكن الايام أخذت تمر ، دون أن يفرج عن المرأة . فلم يلبث « سارتر » أن تبين أن صديقه كان مخادعا أفاكا ، وانه لم يعرف « لافال » قط فى حياته !

وقد قدر ـ مع ذلك ـ لمسرحية « الآخرون » أن تمثل فيما بعد ، وأن تصادف نجاحا ساحقا ، ولكن .. بعد أن تغير اسمها وأصبح « الباب المغلق » ، ودون أن يقوم « ألبير كامى » بأى دور فيها ، اذ كان قد أضحى كاتبا مشهورا بعد صدور مؤلفه : « الغريب » !

الوجودية انكار لله

• وفى الثامنة والثلاثين من عمره ، نشر « جان ـ بول سارتر » أهم أعماله الفلسفية .. وهى رسالة فى حوالى سبعمائة صفحة ، بعنوان : « الوجود والعدم » .

وكان الفيلسوف الدانيمركى « كييركجارد » ـ كمثال

للفلاسفة الذين نادوا بمذاهب اقرب الى روحانية الشرق ـ يرى أن الحياة المثالية عبارة عن سعى متصل، وبحث دائب عن « الله » .. **وكلما ازداد الانسان قربى من « الله » ، ازداد اقترابا من العدم .. أى من أن لا يكون شيئا ما .. وهذا العدم ذاته ، هو تحقيق وجوده !..** وبسبب البعد اللانهائى بين الذات و بين «الله» الذى تحبه ، فان السعى يكون عناء يستغرق العمر كله .

أما « سارتر » فقد نقض هذا الرأى من أوله الى آخره . ولعل خير تعبير عن رأيه ، هو ذلك الذى كتبته « مارجورى جرين » فى كتابها : « الحرية الرهيبة » ، الذى يعتبر أحسن الكتب عن « الوجودية » ، اذ قالت : **« ان انكار الله ذاته ـ وليس وجوده والسعى اليه ـ هو الذى يثير الصراع الداخلى فى الانسان ، فى سبيل البحث عن ذاته .. فى رأى سارتر .** والذات التى تسعى اليها الوجودية ، هى الذات الفردية لكل شخص .. الذات التى يجب أن يصوغها لنفسه من أمثال مايتاح له من الظروف التى لا كنه لها ، والحدود التى لا معنى لها ..

« وهذا الخلق الذاتى ـ أى صنع جوهر المرء من الوجود المجرد ـ مطلوب من كل منا ، لانه ليس ثمة جوهر واحد للانسانية ، يمكن ـ وفقا للوجودية ـ أن نرجع اليه منطقيا، كمعدل أو نموذج نصنع أنفسنا على أساسه . ثم انه ليس ثمة معنى مفرد للانسانية ، لأنه ليس ثمة .. رب » !

الانسان هو مصدر القيم والمعانى

ه **ويرى** « سارتر » أن الانسان مسئول شخصيا ــ مسئولية كاملة شاملة ــ عما يفعل ، بل وعما هو عليه .. أى ذاته . فليس ثمة ما يتسلط عليه من خارج نفسه . لذلك فقد يختار الانسان لنفسه من سوابق التصرفات ما يراه ، دون أن يرضخ غصبا لأية مقاييس أو قيم للفكر والسلوك كقواعد تفرض فرضا .

وعلى هذا الضوء ، نرى أن « الوجودية » صيغة جديدة لمذهب الايمان بالانسان ، أو هى ــ من حيث اهتمامها بالتشريح النفسي والمادي للطبيعة البشرية ــ وضع معكوس لهذا المذهب .. **فالوجودية ترمى الى أن الانسان هو مصدر جميع القيم وخلقها ، وانه ليس بوسعه أن يحقق رسالته فى الحياة الا بالتركيز على نموه الداخلى .. نمو نفسه وذاته .**

ولما كان كل شخص فردا فى ذاته ، لايشبه اى شخص آخر ، فليس لأحد أن يحاول فرض قواعد للسلوك على أى أحد ، بل ان السيطرة تكون لما يختاره المرء لنفسه . فالسلوك الذى يختاره هو الذى يسود ماعداه .

الى هنا نلمس جليا انكار « سارتر » لله ، ثم انكاره لكافة القواعد التى توارثها الناس للسلوك ، أو التى تفرض عليهم بوصفهم أعضاء فى مجتمعات وطوائف .. وفى هذا انكار للاديان وتعاليمها ، ولما وضعه الحكماء فى الماضى ، ومايفرضه المشرعون فى الحاضر ، من قواعد وقوانين . ولكن ..

أنا وحدى الذى أقرر المعنى !

• **ولكنه** لايقف عند هذا ، بل يمضى قائلا ان الانسان لا يستطيع أن يأخذ هذه الحرية الواسعة ـ التى يمنحه اياها بمذهبه الوجودى ـ باستخفاف أو استهانة ، **فان « الحرية ليست نعمة ، بل انها تكاد أن تكون عبئا لايطاق ». فالانسان مقضى عليه بأن يكون حرا ، ومقضى عليه بأن يكافح فى دنيا من المقاييس المتضاربة ، والقيم الزائفة** .. أى أن سارتر يرى أن القيم مجرد أشياء زائفة للتسرية عنا ، ولكنها لا تستطيع أن ترفع عنا المخاوف الثقيلة التى نرزح تحتها . ويمضى قائلا :

« هناك ساعات منبهة ، ولافتات للتحذير ، ورجال شرطة .. وحواجز كثيرة للتنبيه الى المحظور . ولكنى لا أكاد أعود الى نفسى ، حتى أجد بغتة اننى أنا الذى أهب الساعة المنبهة معناها ، وأنا الذى أمنع نفسى من السير على الحشائش حين أرى اللافتة التى تحذر من هذا .. وأنا الذى أبرز وحيدا ـ وفى رهبة ـ أمام المشروع الاول والاوحد ، الذى يؤلف وجودى .. فتتهاوى كل الحواجز ، وقد أبادها ادراكى لحريتى . وليس لدى ـ ولا أنا أملك أن يكون لدى ـ أى مورد لأية قيمة ضد الحقيقة التى تتمثل فى أننى أنا الذى أقر القيم فى الوجود ، وليس بوسع شىء أن يؤكد لى ما هو ضد نفسى . واذ تتقطع الأسباب بينى وبين الدنيا ، وبينى وبين كنهى ـ أو جوهر كيانى ـ بفضل العدم الذى أمثله ، **أجدنى مضطرا الى أن أتبين معنى**

الدنيا ومعنى كنهى : فانا وحدى الذى أقرر هذا المعنى ، دون ما مبرر ، ودون ما عذر » .

ألا ترى أن لابد لك من أن تقرأ هذه العبارات مثنى وثلاث ورباع ، قبل أن تستبين لها معنى واضحا .. أو بالأحرى ، قبل أن تخلع عليها من لدنك معنى ، ما دامت توحى بأن المرء هو مصدر المعانى ؟ !

« الوجودية » بين المعارضة والتأييد

• **ولم** يتسن بعد للفلاسفة المعاصرين أن يصلوا الى تقدير نهائى لمذهب « الوجودية » . فهناك من يرمونه بأنه مذهب متطاول ، زنديق ، منحل .. بل ان من الفلاسفة الذين استنكروه من يرون أن فيه موت فلسفة الوجود . ووصفه جورج جيرفيتش بأنه : « عزلة نفسية تنفى ذاتها بذاتها .. فالوجودية تكرس ذاتها – اذا ما طبقت – للهبوط بالوجود الى .. الصفر . فهى غشيان العجز والقصور » !

على أن هناك – من ناحية أخرى – فلاسفة يطرون « الوجودية » ، ويرون فيها مجهودا بطوليا لتوطيد فردية الانسان ، واصرارا على الوقوف ضد النظم المرسومة ، والاوهام المصوغة فى قواعد محكمة ، والمعتقدات التقليدية . وهم يقولون ان أزمات القلق التى تنتابنا مرارا وتكرارا ، واستنادنا الى مبادىء لا قيمة لها ، والى مقاييس لم يعد لها وجود .. كل هذا يضطرنا الى الكفاح ضد كل مايناقض الايمان بالانسان . فليس بوسعنا أن نصون الشخصية

الفردية ـ التى هى جوهر وجود الانسان ـ الا بهذا الكفاح. ذلك لأن ثمة رجالا ونساء لا حصر لهم ، يعتقدون أنهم خدعوا ، وان المبادىء غررت بهم ، ويشعرون بأنهم منبوذون ـ حتى وهم فى مجتمعاتهم وطوائفهم ـ فهم فى معزل ، يعيشون مكبوتين ، فى يأس .

ومن ثم يصر « الوجوديون » على أن « الانسان هو صانع نفسه » لأنهم يرون فى هذا ما يفسح الأمل .. حتى الموت !

زندقة سوداوية وفوضى !

• **على** أن قليلا من النقاد هم الذين وقفوا من «الوجودية» موقف الباحث المنصف الذى يستعرض المزايا والعيوب على السواء ، وهؤلاء لم ينكروا مزاياها ، من حيث اعلائها لقيمة الانسان ودوره فى الكون ، **ولكنهم وجدوا أن عيوبها أكثر وأشد خطرا ، ورأوا فيها فوضى ونوعا من الزندقة السوداوية ، التى لا يمكن أن يشيد عليها دين حديث ، او فكر جلى له قيمة .**

فمن الصحيح أن «الوجوديين» يرتادون أقصى الاركان فى الحياة البشرية ، فيكشفون الاهوال وأنواع الانحراف التى يتجاهلها الراسفون فى اغلال الرقة والدماثة .. ولكن العلاج الذى يجلو هذه الاهوال وتلك الانحرافات لا يصح بالهدم والمروق .. هدم القيم والمقاييس ، والمروق على القوة العليا الخالقة التى أوجدت الانسان .

***

ولكن .. قد ترى أننا تركنا « سـارتر » وانصرفنا الى الحديث عن «الوجودية» . وليس فى هذا شرود أو انحراف عن الموضوع ـ كما قد يخطر لك لأول وهلة ـ **فالواقع أن « سارتر » و « الوجودية » قد اندمجا اندماجا تاما ، بحيث يتعذر التفرقة بينهما، والحديث عن احدهما دون الآخر .**

وقبل أن نحاول شرح « الوجودية » ـ شرحا مبسـطا يقربهـا الى الاذهان ـ يحسن أن نفرغ من الحـديث عن مجهوداته الأدبية ، بذكر مسرحية « سجناء ألتونا » ، التى وضعها ـ فى سنة ١٩٥٩ ـ بعد صمت دام أربع سنوات ، والتى لم يحتفظ فيها بما كان يخيم على آرائه من تشاؤم يائس ، فى رواية « الغثيان » .. ففيما بين سنتى ١٩٣٨ و ١٩٥٩، كان فكر « جان بول سارتر » قد تمرس بالتجارب والاحداث ، فتطورت آراؤه تطورا واضحا عميقا .

الوهم الذى يريح الضمير

• **ذكرنا** ـ فى بداية هذا البحث ـ أن « سارتر » آمن بأن التضامن والعزلة ليسا متناقضين بالضرورة .. كانت هذه هى النتيجة التى خرج بها من تجاربه فى الحرب العـالمية الثانية .. وكانت هى ـ أيضا ـ الصراع الدرامى الذى أقام عليه مسرحية « سجناء ألتونا » .

وترفع ستار الفصل الاول ـ من هـذه المسرحية ـ عن قصر « ألتونا » الضخم ، المعتم ، الذى يقوم على مقربة

من (هامبورج) ، والذى يمتلكه تاجر سفن ثرى يدعى « فون جيرلاخ » ! .. والوقت عام ١٩٥٩ .

فى هذا القصر العريق ، الشامخ ، تدور مأساة .. فان الابن الاكبر لصاحبه ـ ويدعى « فرانز » ـ حبس نفسه فى حجرة صغيرة منه ، قبل ذلك بثلاث عشرة سنة ، وزعمت الاسرة أنه توفى .. وكان يأبى أن يرى أحدا عدا شقيقته « لينى » . وكلما جن الليل ، تردد وقع قدميه وهو يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، فى غير كلل أو ملل .

ترى ما الذى يصنعه فى هذه الغرفة ؟ .. انه يهذى ، ويعيش فى وهم ، وقد ارتدى زيه العسكرى الالمانى ، وزين صدره بالنياشين ، وراح ـ بين الحين والآخر ـ يقذف صورة هتلر المعلقة أمامه بأصداف المحار ، وهو يلوح كما لو كان يترافع أمام محكمة لا وجود لها ! .. ويبدو جليا ان أخته تتعمد أن تزيد نار جنونه اشتعالا ، فهى لا تفتأ تروى له ان ألمانيا لم تنهض قط من هزيمتها ، وانها تعيش اليوم فى شقاء وبؤس ، خاضعة لربقة المنتصرين الغزاة !

ومع ذلك ، فان هذيان « فرانز » يخفى فى طياته سرا دفينا . ذلك انه يستطيب أن يتوهم ان المانيا قد اندحرت اندحارا نهائيا لا قومة لها بعده ، لأن فكرة ألمانيا «الشهيدة» تتيح له الهروب من تأنيب ضميره ! .. فقد قدر لفرانز أثناء الحرب الاخيرة ، وفى الجبهة الروسية ـ على مقربة من مدينة (سمولنسك) ـ أن يقترف جرما فظيعا .. اذ وجد نفسه مدفوعا ـ وقد حاصره الاعداء ـ الى تعذيب بعض

الاسرى الروس بقسوة وحشية .. وهذا الجرم منه هو الذى أصبح يحمله على استطابة تصديق الاكاذيب التى تختلقها له شقيقته !

على أن والده لايلبث أن يصارحه يوما بالحقيقة ، فيخبره أن ألمانيا قد أصبحت دولة محايدة بين كتلتين كبيرتين ، وانها استطاعت أن تظفر من الهزيمة بأكثر مما كانت ستجنيه من النصر ، اذا أضحت الدولة الصناعية الاولى فى أوروبا .

وما ان يتبين « فرانز » أن بلاده لا تعيش فى بؤس ، حتى يتبدد الوهم الذى استمرأ العيش فيه ، فلا يلبث أن ينتحر !

التطور بين جيلين وعهدين

غير أن مسرحية « سجناء ألتونيا » تطوى فى ثناياها مأساة أخرى .. مأساة الرجل الموزع ، الحائر بين عالمين .. عالم الامس وعالم اليوم !

ذلك ان الأب « فون جيرلاخ » ـ الذى ظلت أسرته تتوارث تجارة السفن أبا عن جد ـ مكث ثلاثين عاما السيد المطلق لمؤسسته ، وأنشأ ولده « فرانز » لكى يخلفه فيها ، ويسير على نهجه . ولكنه لايلبث أن يتبين ـ وقد أصبح عام ١٩٥٩ ـ انه وان كان قد احتفظ بملكيته للمؤسسة ، الا ان زمام الاشراف الفعلى عليها ، قد أفلت من قبضته . اذ أخذ المهندسون والفنيون يحلون محله فى ادارتها ، حتى انه لم يعد له من مهام سوى توقيع الاوراق والخطابات ! .. لم يعد لديه من السلطان ما يتركه ـ بعد وفاته ـ لولده

« فرانز » .. ومن ثم ، فانه لايتورع عن أن يحض ابنه على الانتحار ـ عندما اعتزمه ـ بدلا من ان يثنيه عنه .. ثم لا يلبث أن يقتدى به !

وهذا الشعور الذى دفع « فون جيرلاخ » الى الموت ، هو علة الانسان المتحضر فى عصرنا الحالى .. العلة المتمثلة فى العناء الذى يكابده الانسان وهو موزع بين حقبتين : حقبة ماقبل عام ١٩٣٩ ، وحقبة ما بعد عام ١٩٣٩ .. الحقبة الاولى التى تشمل فترة مابين الحربين العالميتين ، والحقبة الثانية التى تشمل الحرب الثانية وما تلاها .

معادلة العصر : ١ + ١ = ١

ومع ذلك ، فنحن لا نملك أن نقول أن مسرح « سارتر » مسرح هادف .. فهو لا يقصد أن يثبت أو يدلل ، وانما هو ـ كمسرح الكاتب الالمانى الكبير « بيرتولت بريخت » ـ يرمى الى اثارة القلق والحيرة فى النفوس ، فيحمل المتفرج بذلك على التفكير والتأمل ! .. ومن هنا ، كثرت فى مسرح « سارتر » المشاهد الغريبة ، والعبارات الغامضة ، مثل هذه العبارة المحيرة التى نجدها فى مسرحيته الاخيرة : **« واحد زائد واحد يساوى واحدا » !**

هذه العبارة التى لا يملك المرء ازاءها الا أن يشعر برجفة تسرى فى كيانه ، هى ـ عند « سارتر » ـ معادلة عصرنا الحاضر !.. فالانسان ، اذ يواجه خصما له ، يحسب دائما انه انما يجابه وحشا ضاريا .. ويحمله الحقد والخوف

على أن يتوهم أنه يرى مخالب وحوش ورؤوس كواسر حيثما لا توجد سوى أذرع ووجوه بشرية ، ومن ثم فهو يعمد الى القتل !

ولكنه ما ان ينحنى على عدوه المحتضر ، حتى يتبين انه .. انسان !

ولا يلبث المحتضر أن يكتشف بدوره ان الجاثم بجواره ليس سوى .. انسان كذلك !

وبعد .. ماذا تعرف عن « الوجودية » ؟

● **والآن** نستطيع أن نتحول الى الحديث عن الوجودية ، بعد أن أصبح عقل القارىء ممهدا لاستيعابها ..

ان مذهب « الوجودية » المتعدد الجوانب ، هو المذهب الجديد الأوحد الذى أثر فى عالم الأدب فى سنى الحرب وما بعد الحرب . **وهو — فى الواقع — ليس جديدا ، ولكن قبوله هو الجديد** . وقد أصبح تلاميذه ومعتنقوه — لاسيما فى فرنسا — ينشئون روايات جديدة ، ومسرحيات ومقالات جديدة ، على ضوء تعاليمه الصعبة .

ويعزى منشأ الوجودية — بوجه عام — الى الكاتب الدانيمركى « كيير كجارد » ، الذى كان أهم ما اشتهر به فى أيامه ، هو انه فيلسوف مسيحى مال الى الاقذاع فى مهاجمة الكنيسة لافتقارها الى « المسيحية » ! .. كما اشتهر — من ناحية أخرى — بأنه الشارح والمفسر لفلسفة من أعقد الفلسفات .. للاختيارية، التى تقوم على الافتراض

وعكسه ـ « اما .. أو .. » ـ ويقوم الاختيار بالدور الاكبر فيها .

والواقع أن « كيركجارد » واجه ـ فى حزم ـ الآراء الاساسية التى كان العالم يتظاهر بقبولها فى أيامه ، فوجد فى الازمات الكبرى التى اعترضت حياته ـ فى الحب والدين ـ ان تلك المعتقدات لم تكن ذات نفع له . ومن ثم فانه ثار على الفلسفة الكلاسيكية ، وعلى ما صارت اليه الفلسفة المسيحية ، **وراح يبحث عن «حقيقة» تتجاوب مع شخصيته وتجاربه ، فانتهى الى أن « الحقيقة ذاتية » ، أى أنها يجب أن تنبع من ذات المرء** .. والى أن اهتداء الشخص الى الحقيقة المستمدة من ذاته ، والملائمة لحياته ، انما يأتى نتيجة عمليات اختيار ـ بعضها كبيرة وبعضها صغيرة ـ تشكل حياته باستمرار .

ومع أن تمسك « كيركجارد » بالايمان الدينى حمله على أن يدعو الى أن يكون الاختيار على هدى من شرائع الله ، الا انه تبين أن لا سبيل الى اليقين بشىء قدر يقين المرء بـ « وجوده » وتطوره .

تبدد الايمان سر حيرة العصر

• **ولقد** خلعت ظروف الحرب فى بلاد كفرنسا ـ أثناء الاحتلال الالمانى ـ معنى جديداً على فلسفة الاختيار هذه . ولكن الايمان الايجابى الذى كان « كيركجارد » يتمسك به ، لم يعد ذا أثر فعال فى القرن العشرين .. فان الحربين العالميتين اللتين دارتا فى هذا القرن ، والنتائج القاسية التى

ترتبت على الثورة ، جعلت البشر فى شك من الله ، والتقدم ، والارتقاء ، والديموقراطية . ومع ذلك ، فان الفرد لم يكن مطالبا – فى أى زمن – بأن يحكم ويبت فى هذه المسائل ، بأعنف مما هو مطالب فى هذا القرن .

لقد هرب فولتير من الفلسفة عند ما واجه شكه فى جميع الحلول التى عرفهاللمسائل الفلسفية ، وراح ينادى بأن الحكمة فى توفر المرء على أن يفلح حديقته بنفسه .. أى أن يوجه المرء عنايته الى المسائل العملية فى حياته ، ويدع عنه المسائل المبهمة ، المجردة . ولقد كان مثل هذا الاعتكاف – الذى يدعو المرء الى أن يصرف اهتمامه الى مسائله الشخصية فحسب – لونا من ألوان التعاون مع الغزاة ، فى الظروف التى سادت الدول المحتلة فى أثناء الحرب .. وعلى النقيض من هذا ، نجد أن الثورة ربما أدت الى الموت ، أو العذاب ، أو – على الاقل – الى خطر وقلق وهم لايتصورها العقل . **ولكن ، فى سبيل من ، أو فى سبيل ماذا ؟**

لم تجد الطبقة العليا من المثقفين – ارستقراطيو الفكر فى أوربا – جوابا عن هذا السؤال . فان أيا منهم لم يكن يؤمن بالله ، ولا بالوطن ، ولا بالديموقراطية ، ولا بالجنس البشرى ، ولا بالتقدم ، ولا بأى شىء يجعل التضحية – أو تحمل المتاعب على الاقل – واجبا لا جدال فيه . وكان الموقف – بالنسبة للعلاقات الشخصية للفرد – غير محدد ولا واضح كذلك . **اذ أن كل صروح الحب ، والطمأنينة الاقتصادية ،**

والاخلاق قد انهارت . ومع ذلك فقد كان الفرد مضطرا الى أن يختار سبيله .. الى أن يبت بآرائه فى ألف مسألة . وكان مقدرا لاختياره — اذا ما استقر رأيه عليه — أن يصبح ذا أهمية خطيرة ، لأنه كان يخلق الظروف الداخلية والخارجية التى تعمل فى حياته .

الوجودية فى أدب « سارتر »

• **واذا** لم يكن كل هذا قاعدة لقيام الطمأنينة الفكرية ، فانه كان — على أقل تقدير — أساسا لتضارب مسرحى ، ولدراسة الشخصية ، وهما التوأمان اللذان يتألف الأدب منهما .

وهكذا أصبحت « الوجودية » — كيفما كانت ميزاتها كفلسفة — قوة محركة للتأليف الابتكارى الخلاق . وليس هنا مجال فحص الانتاج الهائل الذى صدر فى هذا الموضوع، معالجا المسائل الفلسفية المجردة وما وراء الطبيعة . ولكنا نأخذ « جان بول سارتر » — الزعيم المعترف به لهذه المدرسة — مثالا . فهو لا يقبل أية نظرية ، عدا تلك القائلة بضرورة الاختيار وبنتيجته ، كعامل خلاق فى المواقف الجديدة ، والشخص الذى يواجهها لأول مرة .. أى أنه لا يقبل أى مذهب خلقى يقوم على الحرية ، دون أن يرتاب فى وجوده ، ويرتاب فى صلاحيته اذا كان موجودا .

ولهذا نجده يعرض فلسفته فى الألم والعذاب وما يقرب من القنوط ، فى رواياته .. مثل « الفثيان » ، و « الجحيم

هو الناس » . وهو يرسم الحياة ، والاحياء ، والوجود ، واستمرار الاحياء فى اختياراتهم (التافهة التى لا معنى لها) على المستوى المنخفض الجديد ، الذى شاع فى المجتمع الاوربى قبيل الحرب الثانية مباشرة، وفى أثنائها ، وبعدها . فلا شىء يبرر الاختيار الذى يستقر عليه الرأى، أو التصرف الذى يتخذ ، ويجعل له قداسة ما . ومن السخف أن نمضى ـ تحت ظروف وجودنا ـ فى الاختيار عن عمد وقصد ، وأن نستمر فى فعل الاشياء وفق هوانا .. ولكنه سخف لا غنى عنه، اذا شئنا أن نضفى معنى على موقفنا كمخلوقات زج بها فى عالم لم نختره بأنفسنا .

« الوجودية » ليست مجرد « موضة » فكرية

• **ولقد** عولجت هذه النقطة ذاتها فى مسرحيات « جان آنوى » . فنحن نجد « انتيجونى » مثالا للمسرحية الوجودية ، اذ يعالج فيها الموقف القديم الذى رسمه « سوفوكليس » لانتيجونى وهى تتحدى الطاغية « كليون » فتدفن أخاها ، وتدفع حياتها ثمنا لذلك ، مما يجلب على أسرة الطاغية بأسرها الدمار .. يعالج «آنوى» هذا الموقف القديم على أنه موقف وجودى ، ويصور تصرف «انتيجونى» على ضوء الوجودية . وفى اطار من الاساليب الفنية المغالية فى الجدة والحداثة ، يهدم « آنوى » كل سبب معقول يبرر تصرف « انتيجونى » .. أى انه يرسمها على انها لم تكن تستند الى مبرر فى تصرفها ، ولكنها أصرت عليه ، كما أصر « كليون » على موقفه ، وكان ان فقدت حياتها ، وان حل

الدمار بأسرة الطاغية . **فمن وجهة نظر الوجودية ، نجد أن مجرد الرغبة فى التصرف وفقا لمبدأ فقد صلاحيته ، تضفى على الحياة معنى وكرامة .** وقد كتب « آنوى » مسرحيته « ميديا » و « روميو وجولييت » على النسق ذاته .

كذلك يعتبر الروائى « البير كامى » من معتنقى هذا المذهب ، وهو يعرضه فى قصته « الطاعون » ، التى تدور حول طاعون حط على مدينة واستشرى فيها ، فيحلل تصرفات الافراد فى الوقت الذى يزداد فيه فقدان الحياة لمعناها باطراد ، حتى تصبح مستحيلة . فالكتاب يتناول حياة المدينة بأسرها ، وارتباطاته بالوجودية تبدو واضحة ملموسة .

ماذا يكون « سارتر » .. بلا « وجودية » ؟

• **ونستطيع** أن نخلص من هذا الى أن الوجودية أكثر من « موضة » فكرية تتلاعب بها العقول النشيطة .. **انها فلسفة انبعثت من آلام عصرنا ، ومن الخواء الذى ترتب على فقداننا ايماننا ، وعلى تحطم معتقداتنا .**

ونستطيع أن نخلص منه ــ كذلك ــ الى انه وان كان أكثر من كاتب أو فيلسوف قد اتجه الى « الوجودية » ، الا أن « الوجودية » ــ بالوضع والصيغة اللذين أرادهما لها « جان بول سارتر » ــ قد صادفت هوى فى نفوس الناس ، فى شتى أقطار العالم .. وانها ــ فى الوقت ذاته ــ قد جزته ــ عن مجهوده فى التبشير بها ــ شهرة واسما

ومكانة بين العاملين فى سبيل بناء المجتمع الانسانى الحديث.

ولو انك أقصيت حديث «الوجودية» عن سيرة «سارتر»، لوجدتها – فى مجموعها – تتلخص فى عبارة موجزة: **انه مدرس ساهم فى حركة المقاومة السرية فى فرنسا – أثناء الاحتلال الالمانى – وانصرف الى التأليف الفلسفى والروائى والمسرحى، بعد تحرر فرنسا .. وكفى!!**

عندما يرتفع الستار ..



روائع المسرح العالمى
(التمثيلى - والغنائى)

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى هذا الباب المسرحيات العالمية الآتية :

خطايا الحب • نزاهة الحكم • سلاح المرأة • فولبون • جيوكندا • كلام الناس • مدرسة الفضائح • سيرانو دى برجراك • لعبة الحب والموت • مروحة الليدى وندرمير • فاوست • فى سبيل الحب • الام • الملك يلهو • الجنس الآلى • هرنانى • ترويض النمرة • الحياة نفاق • أغلال الحب • المنافق • بيت الليل • علموهم الحب • زوج مثالى • سالومى • مدرسة الارامل • برهان الحب • لوسيد • كيف نقع فى حبائلهن • حلاق أشبيلية • الهاربة من الفضيحة • رجل الاقدار • جوديث • نيكراسوف • انباء مثيرة • الدروماك • جندى محترف • الشقيقات الثلاث • الهاربة من السجن • مهنة مسز وارين

واليوم ، أقدم لك مسرحية من الأدب الفرنسى المعاصر



الجحيم .. هو الناس !

مسرحية تحليلية .. من أروع انتاج الكاتب الفرنسي الأشهر :

جان بول سارتر

عزيزى القارىء :

مسرحية هذه المرة ، من أبدع ما كتب « سارتر » ، باجماع النقاد .. فهى تدور حول تجربة فكرية رهيبة .. حول الصراع بين نظرة الانسان الى نفسه ـ على ضوء تصرف يكون قد أقدم عليه ـ ونظرةالناس اليه .

وتشعر ـ أثناء قراءة هذه المسرحية ـ بأن الشخصيات سجينة أفكارها . ولعل هذا يبرر المعنى الحقيقى للعنوان الذى أطلقه عليها سارتر : « فترة العطلة السنوية للمحاكم » .. ففى هذهالفترة ، تشتد وطأة الانتظار على المذنب ـ فى انتظار قرار القضاء والقانون فى أمره ـ فتستبد به أفكاره وضميره وحالة القلق والتساؤل اللذين يعيش فيهما ..

ولا تكاد تفرغ من المسرحية، حتى تهتف مع البطل : « انما الجحيم هم الناس ! »

وأبدع من الفكرة ، طريقة عرضها وعلاجها . فقد اختار سارتر لاحداث المسرحية « زنزانة » فى الجحيم ، و ..

ولكن ، لندعك تتبين بنفسك عمق هذه المسرحية ، برغم انها أبسط ما كتب « سارتر » أسلوبا ، وأكثر مسرحياته وضوحا ، وأبعدها عن التعقيد الفلسفى ..

المنظر : غرفة جلوس مؤثثة بأثاث من طراز الامبراطورية الثانية ـ فى فرنسا ـ وقد استقرت على رف المدفأة حلية للزينة من البرونز الثقيل .. ولا نلبث أن نتبين ان هذه الغرفة ـ التى تدور فيها أحداث المسرحية ـ **« زنزانة »** من **« زنزانات » الجحيم** ، التى يساق اليها الوافدون على

العالم الآخر ممن أذنبوا فى الدنيا ، ليلقوا نصيبهم من العذاب .

ترفع الستار عن ((**جارسان**)) ، وقد أقبل فى صحبة الوصيف الموكل بالحجرة ، فيتلفت حوله ، ويعلق على أثاثها ببعض عبارات ، ثم يقول للوصيف : ((**الحق اننى لم أتوقع هذا ! .. أتعرف ما كانوا يقولونه لنا فى العالم الادنى عن .. عن هذا المستقر ؟ .. ولكن ، أين أدوات التعذيب ؟**))

الوصيف : ماذا ؟ .. آه ، من حقك أن تمزح يا سيدى !

جارسان : أمزح ؟! .. آه ، فهمت ! (**يخطر فى ارجاء الغرفة**) أرى ان لا مرايا هنا ، ولا نوافذ ، ولا شيء قابل للكسر . (**ينفجر غاضبا**) ولكن ، ياللعنة ! كان يجب أن يتركوا لى فرجون أسنانى !

الوصيف : انك لم تتغلب بعد على .. ماذا يسمونه ؟ الشعور بالكرامة الانسانية ؟ .. آسف ياسيدى ، ولكن جميع ضيوفنا يسألوننى عين الاسئلة .. السخيفة ، اذا سمحت لى بأن أصفها بهذا . أين حجرة التعذيب ؟ .. هذا أول ما يتساءلون جميعا عنه ، فلا يخطر ببال أحدهم ان يسأل عن دورة المياه .. واذا ما هدأت أعصابهم ، يبدأون فى السؤال عن فرجون الاسنان ، وما الى ذلك .. يا للسماء الرحيمة ، ما قيمة تنظيف أسنانك بالفرجون ؟

جارسان (**وقد تمالك نفسه**) : انك على حق . ثم ، لماذا يبغى المرء أن يرى نفسه فى مرآة ؟ .. ولكن ، ماهذه البدعة (التقليعة) البرونزية التى على المدفأة ؟ .. اسمع ، لنلتزم الصراحة ، فأنا أدرك موقفي .. انني أشبه برجل يغرق ،

ويختنق ، ويغوص شيئا فشيئا ، حتى لا يصبح فوق سطح الماء غير عينيه فقط ، فماذا يرى ؟ .. فظاعة برونزية .. كأنه فى كابوس . أليست هذه فكرتهم ؟ .. تذكر ان ذكائى قد أوحى الى بفكرة عما يرتقبنى ، وانى لأواجه الموقف بشجاعة .. ثم ، لا سرير هناك . أحسب ان المرء لا ينام قط . ولماذا ينام ؟ .. ان نوعا من النعاس يتسلل ناعما فتشعر بعينيك تغلقان ، وتستلقى على الاريكة ، و .. وفى لمح البصر ، يطير النوم ، فتنهض..وتعود القصة من جديد . اذن ، فهذه هى المسألة ؟ .. لا يحظى المرء براحة . آه ، فهمت السر .. انها حياة مسترسلة ، لا يخفف من وطأتها نوم !

يحملق فى الوصيف ، فيتبين أن جفنيه لا يطرفان ولا يختلجان ، بل هما ساكنان تماما .

جارسان : اننا نحرك أجفاننا الى أعلى والى أسفل ، ولن تستطيع أن تتصور مافى اختلاجها من راحة وانعاش .. أربعة آلاف اغفاءة قصيرة فى الساعة ، تتمثل فى هذه الاختلاجات . اذن فهذه هى الفكرة ؟ ! .. سأكون مضطرا الى أن أعيش بلا جفون ، وبالتالى .. بلا نوم . وكيف أحتمل صحبة نفسى ؟ .. هل نحن الآن فى النهار ؟

الوصيف : ألا ترى الانوار مضاءة ؟

جارسان : وأين زر النور ؟ .. كيف يطفأ هذا النور ؟

الوصيف : لا زر هناك . الادارة هى التى تقطع التيار ، اذا شاءت . ولكنى لا أتذكر انها فعلت ذلك مرة ، فى هذا الطابق .

جارسان : اذن فلا بد للمرء من أن يعيش مفتح العينين ، طول الوقت ، الى الابد ؟! .. وهب اننى حملت تلك التحفة التى على المدفأة ، ورميت بها المصباح ، ألا يذهب النور ؟

ويحاول أن يحرك التحفة البرونزية ، فاذا بها ثقيلة ، لا سبيل الى زحزحتها .. ويهم الوصيف بأن ينصرف ، فيحاول « جارسان » أن يستوثق من الجرس الذى يستدعيه به . ولكن الوصيف يقول له ان ليس للجرس ضابط ، فهو يعمل على هواه .. ويلمح « جارسان » سكينا لشق الورق — على حافة المدفأة — فيسأله عن جدواها وليست هناك كتب ، ولكن الوصيف يهز كتفيه ويمضى ..

***

ويخلو جارسان الى نفسه ، فيتحسس التحفة البرونزية مفكرا ، ثم يمضى الى زر الجرس فيضغطه ، ويظل يضغطه ، ولكنه لايحظى بجواب . ويعالج الباب فاذا به محكم . ويروح يدقه بقبضته دون جدوى . وفجأة تهدأ ثائرته ، ويجلس . واذ ذاك يفتح الباب ، ويقود الوصيف « **انيز** » الى الغرفة قائلا : « هذه غرفتك ياسيدتى . هل تريدين أن تسألى عن شىء ؟ .. يستطيع هذا السيد أن يخبرك بما تريدين ! » . ثم ينصرف .. وتتأمل السيدة الغرفة ، بينما يتأملها جارسان .

أنيز (تستدير فجأة) : أين فلورنس ؟ **(جارسان لايجيب)** ألا تسمع ؟

جارسان : لست أدرى عنها شيئا البتة .

أنيز : آه ، هكذا الامر .. التعذيب بالتفريق ! .. على أن فلورنس كانت حمقاء مملة ، ولن أفتقدها !

جارسان : معذرة .. من تظنيننى ؟

أنيز : ومن تكون ؟ .. أنت الذى تقوم بالتعذيب ولا شك !

جارسان (يبهت ، ثم يقهقه) : بديعة ! .. اذن فأنت تظنيننى من عمال هذا المكان ! .. اننى جوزيف جارسان ، صحفى وأديب . ونحن سواء فى هذا المكان .. ولكن كيف يتسنى للمرء أن يعرف الموكلين بالتعذيب حين يراهم ؟

أنيز : انهم يبدون خائفين .. أجل ، انهم يخافون ضحاياهم . اضحك ! .. ولكنى كثيرا ما كنت أشاهد وجهى فى المرآة !

جارسان (يتلفت حوله) : يالوحشيتهم ! لقد أبعدوا كل ما يمكن أن يصلح كمرآة ! **(يصمت قليلا)** على أننى أؤكد لك أنى غير خائف !

أنيز : هذا شأنك ! .. أليس بوسعك أن تتمشى فى الخارج قليلا ؟

جارسان : ان الباب مغلق .. اننى أدرك ان وجودى يثقل عليك . وأنا الآخر ـ بصراحة ـ أوثر أن أكون وحيدا ، لأخلو لأفكارى ، وأنظم حياتى .. على اننى أوقن من اننا لن نلبث أن نكون على وئام ، فأنا لست ثرثارا ، ولا كثير الحركة .. كل ما أرجوه هو أن يكون كل منا مفرط الآدب مع الأخر .

أنيز : ولكنى لست مؤدبة !

جارسان : اذن ، فلدى من الادب مايكفى اثنين !

ويصمتان ، وقد جلس « جارسان » على أريكة ، مستغرقا

فى التفكير ، وراحت « أنيز » تذرع الحجرة . ولا تلبث أن تسأله أن يمسك فمه عن الاختلاج ، فقد رأت « أنيز » فى هذه الحركةالعصبية مظهرا للخوف خشيت أن يؤثر عليها . ولا يجد « جارسان » بدا من ان يخفى وجهه فى راحتيه . واذ ذاك يفتح الباب ويقبل الوصيف مرافقا **« استيل »** . فما ان ترى جارسان مخفيا وجهه ، حتى تقول له : « لاترفع وجهك ، فانى أعرف انه لم يبق لك وجه ! » . ولكنه يرفع وجهه ، فتشهق مشدوهة : « ماذا ؟! .. لست أعرفك . لقد ظننتك شخصا آخر يحاول أن يمكر بى ! » . ثم تسأل الوصيف فتعرف انه لن يشاطر ثلاثتهم الغرفة أحد آخر .

استيل : آه ! اذن فعلينا أن نمكث معا ، نحن الثلاثة ! **(تضحك)** انما تضحكنى هذه الارائك البغيضة . انظرا كيف رتبت ! .. أحسب أن لكل منا أريكة خاصة .

وتروق لها الاريكة التى كان جارسان يجلس عليها، فينزل لها عنها . ولا يلبث أن ينصرف الوصيف .

أنيز (لاستيل) : انك جميلة جدا . وددت لو كانت ثمة زهور لنحتفى بمقدمك !

استيل : زهور ؟ ! .. انها تذبل فى هذا الجو المكتوم . ان أهم ما ينبغى علينا هو أن نكون مبتهجين ما استطعنا . لاشك انك أيضا .. اننى حديثة .. بالامس فقط ، بل ان الجنازة لم تفرغ بعد **(كمن ترى منظرا ماثلا أمامها فتصفه)** ها هى ذى أختى تحاول جاهدة أن تبكى ! .. يالمنظر أولجا وهى فى ثياب الحداد ، وقد أمسكت بذراع اختى تعينها . لست ألومها لانها لا تبكى ، فان الدموع تفسد رواء الوجه

دائما .. ان أولجا صديقة العمر ! .. هاهم ينصرفون من المقبرة . لقد مكث زوجى فى البيت ، اذ هده الحزن !

***

وندرك أن « استيل » ماتت بالتهاب رئوى ، وأن «أنيز» ماتت مختنقة بالغاز منذ أسبوع . أما جارسان ، فقد مات باثنتى عشرة رصاصة فى صدره ، منذ شهر .

جارسان (يحملق أمامه ، كأنه يرى منظرا يصفه) : ان زوجتى تنتظرنى عند مدخل الثكنات . انها تأتى كل يوم ، ولكنهم لا يسمحون لها بالدخول . وهى الآن تحاول أن تسترق النظر خلال قضبان السياج . انها لاتعرف بعد اننى .. اننى أصبحت غائبا عن الدنيا ، ولكن هاجسا ينبئها بذلك . ها هى ذى تنصرف . انها فى ثوب اسود ، ولكنها لا تبكى .. ولا هى بكت يوما . ماأشبهها بخيال يزحف فى الشارع الخالى ! .. ياللتلكما العينين الحزينتين ، تطل منهما دائما نظرة الشهيد المظلوم . أواه ، لكم كانت تثقل على أعصابى !

ويخفى وجهه فى راحتيه ، ثم لايلبث أن يمر بيده على جبينه ، وينفخ لفرط الحر .

جارسان : لقد اعتدت أن أقضى أمسياتى – فى ادارة الصحيفة – بدون سترة .. وكلنا كنا نفعل ذلك . ان الحر خانق ، وأحسب الوقت ليلا !

استيل : أجل . ان أولجا تخلع ثيابها ، فلا بد أن الليل قد جاوز النصف . ما أسرع مرور الوقت على الارض !

أنيز : أجل ، تجاوز الليل منتصفه ، وقد أغلقوا حجرتى بالشمع الاحمر ، فهى شديدة الظلام ، خاوية !

جارسان : وفى ادارة الصحيفة ، علق الزملاء ستراتهم على مساند المقاعد، وشمروا أكمام أقمصتهم عن سواعدهم . وثقل الهواء بالانفاس ودخان السيجار .

استيل (تتأمل زميليها فى حيرة) : تصوروا اننا سنعيش معا هنا ! .. انه سخف ! .. توقعت أن ألتقى بأصدقاء أو أقارب .

أنيز : أجل .. بصديق فاتن ، يتوسط وجهه ثقب من أثر رصاصة !

استيل : حقا . كان رائعا فى رقص « التانجو » ! .. ولكن ، لماذا يضعوننا نحن الثلاثة بالذات معا ؟ .. الا ترون اننا ربما كنا قد التقينا فى حياتنا ، أو ربما كان لنا أصدقاء مشتركون ؟

انيز : أبدا .. هذا غير محتمل . ولكنهم لم يضعونا معا بمحض المصادفة ! .. أفكان تأثيث الحجرة على هذا النحو، ووضع الاريكة الخضراء الزاهية الى اليمين ، والاريكة النبيذية الحمرة الى اليسار ، محض مصادفة ؟ .. وما رأيكما فى الحر هنا ؟.. اؤكد لكما انهم فكروا فى كل شىء ودبروه بحذافيره ، فلم يترك شىء للمصادفة . لقد أعدت هذه الحجرة خصيصا لنا !

استيل : اذن فليس مجرد مصادفة أنك تجلسين قبالتى تماما ؟ .. فما الحكمة فى ذلك ؟

جارسان : لماذا نحن معا هنا ؟ .. يجب أن نعرف !

أنيز : لو ان أحدنا أوتى الجرأة على أن يقول .. استيل ، ماذا فعلت حتى أرسلوك هنا ؟

استيل : ليست لدى أتفه فكرة عن ذلك . لا تبتسمى ، فليس لدى ما أخفيه ! .. لقد فقدت أبوى فى صباى ، وكان على أن أربى أخى الاصغر ، ونحن فقيران . فلما عرض صديق لأهلى أن يتزوجنى ، قبلته برغم انه كان فى سن أبى .. ولقد عشنا سعيدين ست سنوات ، ثم التقيت – منذ عامين – بالرجل الذى كان مقدرا على أن أحبه . وسألنى أن أهرب معه فرفضت . ثم أصبت بالتهاب رئوى قضى على .. لاشك فى اننى أخطأت اذ ضحيت بشبابى لرجل يبلغ عمره ثلاثة أمثال عمرى . **(لجارسان)** فهل ترى هذا ذنبا ؟

جارسان : لا ، بلا شك . **(بعد صمت قصير)** وهل ترين من الجرم ان يثبت المرء على مبدأه ؟ .. لقد كنت أصدر صحيفة تدعو للسلام ، وقامت الحرب، فاتجهت الانظار الى ، ولكننى تشبثت بمبدئى ، ورفضت أن أقاتل ، فرمونى بالنار .. فهل ارتكبت خطأ ؟

استيل (تضع راحتها على ذراعه) : خطأ ؟ .. بالعكس ، لقد كنت ..

أنيز (فى سخرية) : بطلا ! وما شأن زوجتك يا سيد جارسان ؟ .. ما جدوى أن يذر كل منا الرماد فى عيون الآخرين ؟ .. اننا مجرمون ، ثلاثتنا قتلة .. اننا فى الجحيم ، وهم هنا لا يخطئون ، ولا يعذبون الناس للاشىء !

استيل : كفى ! .. لا تستعملى هذه الالفاظ !

***

ولكن أنيز تمضى فى سخريتها ، **فيرفع جارسان قبضته** مهددا . وتواجهه انيز فى غير خوف ، ثم تتبدى عليها دهشة غارمة ، وتهتف : « آه ، فهمت لماذا جمعونا معا !.. ستريان بساطة الفكرة !.. من الواضح أن لا عذاب ماديا هنا ، ومع ذلك فنحن فى الجحيم ، وسنظل فى هذه الحجرة معا ، نحن الثلاثة ، الى الابد .. وبايجاز ، لا ينقصنا سوى الموكل بالعذاب .. انها مسألة اقتصاد فى الايدى العاملة .. تماما كما فى المقصف الذى يخدم رواده أنفسهم بأنفسهم ! »

استيل : ماذا تعنين ؟

أنيز : اعنى ان كلا منا موكل بتعذيب الآخرين !

جارسان (فى لطف ، بعد صمت استوعبوا فيه ماقيل) : لن أعذبكما أبدا ، فلست أريد بكما سوءا البتة ! .. ومن ثم فالحل سهل : على كل منا أن يلزم ركنه ، وأن لا يحفل بزميليه .. ويجب أن لانتكلم ، ولا ننبس بكلمة واحدة . وهذا أمر سهل ، فلدى كل منا من الافكار ما يشغله ! .. لننقذ أنفسنا بأنفسنا، ولنكف عن أن ينظر كل منا للآخرين !

ويجلس على أريكته ، ويعتمد رأسه بين راحتيه . ويسودهم صمت طويل ، ثم لاتلبث « انيز » أن تنطلق مغنية، بينما تخرج استيل « البودرة » و « الروج » ، وتبحث عن مرآة فى حقيبتها ، ثم تسأل « جارسان » عما اذا كان قد أوتى مرآة ، ولكنه لا يجيب ، رغم الحاحها .

أنيز : لا تبتئسي ، فلدي مرآة **(تبحث فى حقيبتها ، ثم**

تقول مغضبة) لقد أخذوها عند المدخل ولا بد ! **(تلاحظ أن استيل قد أغلقت عينيهـا ، وترنحت ، فتجـرى اليهـا تعاونها)** ماذا جرى ؟

استيل : ألا يسـاورك قط مثل هذا الشعور ؟ .. اننى حين أعجز عن رؤية نفسى ، ابدأ فى الشعور بأننى لست على قيد الوجود !

أنيز : يا لحظك ! .. اننى دائما أشعر بنفسى ، شـعورا مؤلما !

استيل : فى فكرك .. ولكن كل ما يجرى فى الفكر مبهم ، يجلب النعاس الى المرء . ان لدى فى مخـدعى ست مرايا كبيرة . **(تحملق أمامها ، وكأنها تراها)** ها هى ذى ، ولكنى لا أرى شكلى فيها .. انها فارغة ، مجرد زجاج غبت عنه !

أنيز : فلأحاول أن أكون مرآتك ، فانظرى الى ، وتزينى ! .. اجلسى الى جوارى ، واقتربى .. أنظرى فى عينى !

استيل : أرى نفسى فيهما .. ولكنها صورة مصـغرة ، لا أكاد أستبين معالمها .

أنيز : ولكنى أرى كل دقيقة فيك ، فسلينى ، وسـوف أكون مرآتك الناطقة ! **(تنظر استيل الى جارسان فى حرج)** لا تكترثى به ، فلا حساب له بيننا ! .. سلينى !

***

وهكذا تسترشد استيل بأنيز حتى تتقن طلاء شفتيها ..

أنيز : انك فاتنة يا استيل .. انني أحبك كثيرا . انظرى

الى ، وابتسمى ، فأنا لست قبيحة . أولست أبدع من مرآتك ؟

استيل : انك تخيفيننى ، وهذا مالم يفعله طيفى فى المرآة قط . لعل هذا راجع الى أن مرآتى كانت أشبه بشىء روضته ، واستأنسته ..

أنيز : ولماذا لا تروضيننى ؟ **(تحملق كل من المرأتين فى الاخرى ، وتبدو استيل مسلوبة الارادة ، خائفة)** يجب أن نصبح وثيقتى الود . هبى أننى – كمرآة – بدأت أكذب عليك، فما العمل ؟ .. أو هبى أننى أخفيت عينى ، كما يفعل صاحبنا .. اذ ذاك ، سيصبح حسنك مبددا فى الهواء المجدب . لا تخافى ، فلست أملك أن لا أنظر اليك ، وسوف أكون لطيفة معك !

استيل (بعد صمت) : أحقا أنت مفتونة بى ؟ **(تومىء نحو جارسان برأسها)** ليته يفطن الى حسنى ، هو الآخر !

أنيز : آه ، لأنه رجل ! **(لجارسان)** انك الفائز ، فانظر اليها ! .. لا تتظاهر بالصمم ، فأنت لم تفلت كلمة مما قلنا . انك قد لا تأبه لى ، ولكن ما رأيك فى هذه الصغيرة ؟

جارسان : أرجو أن تتركاني فى سلام، ففى ادارة الصحيفة شخص يتكلم عنى ، وأريد أن أنصت الى حديثه ! **(يواجه استيل ، فيحدق كل منهما فى الآخر لحظات ، فى صمت)** لقد رجوتكما أن لا تتكلما !

استيل : الذنب ذنبها ، فهى .. هى التى عرضت أن تكون أنت مرآتى !

أنيز : ولـكنك كنت طيلة الوقت تعملين على اجتـذاب اهتمامه .

استيل : ليكن ! ولم لا ؟

ويسألهما جارسان أن تصمتا، فترجع المرأتان الى مكانيهما فى تردد . ويسود الصمت برهة

أنيز (لجارسان بغتة) : كيف أستطيع تجاهل وجودك ، وأنت موجود ؟ .. ان وجودك يتغلغل الى نخـاعى ، وان صمتك ليصم اذنى .. اننى أسـمع أفكارك تدق كبنـدول الساعة ، وأوقن من أنك تسمع أفكارى .. بل انك سرقت وجهى ، فأنت تعـرفه وأنا لا أعـرفه .. بل انك سرقت « استيل » منى كذلك . أتظنها كانت تعـاملنى هكذا ، لو انك لم تكن هنا ؟.. ارفع يديك عن وجهك ، فلن أدعك فى سلام ! .. انك قد تجلس فى غيبوبة ، ولكنى أشعر بهـا فى أعمـاقى وان لم أرها .. أشـعر بأن « استيل » تأتى كل حركة من أجلك ، وتلقى اليك بابتسـامات لا تراها .. لن أطيق هـذا ، فانى أوثر أن أختـار جحيمى بنفسى ، وأنا أواجهك جهارا !

جارسان : ليكن ماتريدين ، فانى أحسبنا مسوقين الى هذا .. لقد كانوا يعرفون أن لابد من أن يجرى هذا بيننا.. **(يسير الى استيل ، ويداعب عنقها بخفة)** اذن فأنا أجتذبك يا صـغيرتى ؟ .. يحسن بنا أن نـكون طبيعيين ، على أية حال . أتعرفين اننى اعتدت أن أهيم بالنساء ؟ .. فلنكف عن الاصطناع، ولن نخسر شيئا . لماذا نرهق أنفسنا بالتكلف

والتأدب ؟ .. اننا معا فى معزل ، ولن نلبث أن نكون عرايا ، كما ولدتنا أمهاتنا ..

استيل : لا تمسنى ! .. دعنى !

جارسان : لقد حذرتكما . لم أسألكما سوى الهدوء والصمت . ولقد سددت أذنى ، لأصغى الى « جوميز » — أحد زملائى فى الصحيفة — وقد وقف وسط الحجرة كعادته، وأخذ جميع الصحفيين يصغون اليه . ولم يكن من السهل أن أسمع قوله ، فان الامور تجرى على الارض بسرعة شديدة . أما كان بوسعكما أن تعقلا لسانيكما ؟ .. حسنا ، لابد من أن أعرف أمركما ، فبأيكما ابدأ ؟ .. لن نعرف مصيرنا ما لم يفض كل منا بحقيقة السبب الذى من أجله قضى عليه بالجحيم .. ابدأى أيتها الشابة الصغيرة ، فقد تنقذيننا من الهلاك اذا اعترفت بصراحة .. أتراك خجلة ؟ حسنا، سأبدأ أنا بالاعتراف..اننى لست خليقا بالاحترام !

أنيز : لاداعى لهذا القول ، فنحن نعرف أنك هربت من الجيش .

جارسان : هذا سبب ثانوى . ولكننى هنا لأننى عاملت زوجتى معاملة فظيعة لخمس سنوات . وهى لا تزال تتعذب ! .. ها هى ذى تتراءى لى بمجرد ان ذكرتها . لقد أعطوها مخلفاتى ، وانها لتجلس بجوار النافذة ، وسترتى على ركبتيها .. السترة التى خرقتها أثنتا عشرة رصاصة .. كنت أعود الى البيت وقد أعمتنى الخمر ، ليلة بعد أخرى ، يفوح منى عبير النبيذ والنساء . وكانت تظل ساهرة فى ارتقابى ، ولكنها لم تبك أبدا ، ولم تنبس بكلمة عتاب

قط . لولا عيناها الكبيرتان ، الحزينتان .. عليها اللعنة ، لقد خلقت لتكون مظلومة ، انها شهيدة بطبيعتها ! .. لقد كانت مفرطة الحساسية ، ولكنها لم تكن تشكو أو تبكى .. ولكننى غير آسف على شىء .. الحق أنها كانت معجبة بى كل الاعجاب ، فهل تدركان مافى هذا ؟

أنيز : لا ، فان أحدا لم يعجب بى يوما .

جارسان : هذا خير لك . والآن ، هاك مايشفى غليلك .. لقد أحضرت فتاة الى بيتى .. وكانت زوجتى تنام فى الطابق الاعلى ، ولا بد أنها سمعت كل شىء . وكان من عادتها أن تستيقظ مبكرة ، بينما كنت أمكث والفتاة فى السرير الى ساعة متأخرة ، فكانت زوجتى تقدم لنا قهوة الصباح !

أنيز : يالك من حيوان !

جارسان : أجل ، حيوان ، ولكن .. حيوان محبوب ! (**لانيز**) والآن ، الدور لك !

أنيز : لقد كنت ممن يسمونهم فى الدنيا « فاجرة لعينة » ، فلا عجب فى أن أكون هنا .. ثم كانت قصة « فلورنس » .. ثلاث جثث : رجل مات أولا ، ثم هى ، ثم أنا ، فلم يبق منا أحد ، وليس ثمة ما يقلق بالى .. لقد خلت الغرفة منا . آه ، أراهم الآن يفتحونها .. وعلى بابها لوحة كتب عليها « للايجار » !

جارسان : ثلاثة أموات ، رجل وامرأتان ؟ .. هل قتل الرجل نفسه ؟

أنيز : ماكان ليجرؤ على ذلك . على أننا جعلنا حياته أسوأ من حياة الكلاب .. الواقع انه راح تحت عجلات

الترام ، وانها لنهاية تافهة !.. وكنت أعيش معهما ــ هو وفلورنس ــ اذ كنت إبنة عمه . **(تنظر الى استيل)** لست نادمة على شيء .. ولست تواقة الى أن أروى لكما القصة .

جارسان : لا بأس .. اذن فقد مللته ؟

أنيز : تدريجيا .. أصبحت أضيق بأتفه الامور . وظللت أبسط نفوذى على فلورنس ، حتى أصبحت ترى الدنيا بعينى . فلما تركته ، كانت فى قبضتى ، فتوليت أمرها ، واشتركنا فى غرفة واحدة ، فى أقصى أطراف المدينة . ثم قضت الترام عليه ، فرحت أذكرها به كل يوم ، قائلة : « اجل يا صغيرتى .. لقد قتلناه معا ! » . الحق اننى قاسية .. اعنى اننى لا استطيع ان اعيش دون ان اجعل الآخرين يتألمون . كأنى جمرة متقدة .. فى قلوب الآخرين . فاذا صرت وحدى ، خبا أوارى . ولقد ظللت متوهجة فى قلب فلورنس ستة أشهر ، حتى لم يبق سوى الرماد . وفى ذات ليلة ، انتهزت فلورنس فرصة نومى وقامت متسللة من السرير ، ففتحت صنبور الغاز ، ثم اندست فى الفراش ثانية !

جارسان : انها ليست بالقصة المستساغة . **(لاستيل)** هذا دورك ، فماذا فعلت ؟

استيل : لست أدرى .. اننى أعصر ذهنى ، دون جدوى .

جارسان : فلنساعدك ! .. ما بال الرجل الذى اخترمت وجهه رصاصة ؟

استيل : من ؟ .. من تعنى ؟ .. آه ، انه صديق لى .

جارسان : لقد كنت مذعورة حين ظننتنى اياه ، فلماذا تخافينه ؟

***

وتحاول أن تراوغ ، فيلاحقها « جارسان » ، وتؤيده « أنيز » ، لتعترف بأن الرجل قتل نفسه من أجلها . وتحاول « استيل » أن تهرب منهما، ولكن الباب لا يلين لها ، وتضغط زر الجرس فلا تحظى بمجيب ..

أنيز : اعترفى ! .. ذلك الشخص الذى قتل نفسه من أجلك ، هل .. هل كنت عشيقته ؟

جارسان : لابد ! وكان يريدها لنفسه وحده .. يريد أن تترك زوجها وتكون له !

أنيز : لقد كان مبدعا فى رقص « التانجو » ، ولكنه كان فقيرا .. معدما .

جارسان : ولابد أنه توسل اليها يوما أن تهرب معه ، فسخرت منه .. فقتل نفسه !

أستيل (مقهقهة) : كلاكما على خطأ (**تستند الى الباب ، وتقف مشدودة العضلات ، وتواجههما**) لقد كان ينبغى أن يكون لى ابن منه . ولقد حملت لسوء الحظ ، فذهبت الى سويسرا ، حيث قضيت خمسة أشهر . ولم يعرف أحد شيئا . وجاء الطفل بنتا .. وكان روجير معى حين وضعتها، فاغتبط كل الاغتباط ، ولكننى لم أكن راضية . وكانت ثمة شرفة تطل على البحيرة ، فربطت الى الطفلة حجرا كبيرا .. وأدرك روجير ما كنت أبغى ، فراح يصرخ ويناشدنى .

ولقد كرهته اذ ذاك ! .. لقد رأى كل شيء . وأطل من الشرفة وراح يرقب الدوائر على صفحة الماء ..

جارسان : أحق هذا ؟ .. وبعد ؟

استيل : لاشيء . لقد عدت الى باريس .. أما هو ففعل ما شاء .

جارسان : تقصدين أنه أطلق الرصاص على رأسه ؟

استيل : كانت سخافة منه . أما زوجي فانه لم يشك فى شيء البتة . **(تصمت لحظة ، ثم تنهنه بلا دموع)** لشد ما أمقتكما !

جارسان : لاجدوى من النهنهة ، فان الدموع لا تسيل فى هذا المكان !

استيل : اننى جبانة .. جبانة ! ليتكما تدريان كم أبغضكما !

وتحتضنها «أنيز» محاولة أن تسرى عنها ، بينما يناشدها « جارسان » أن لا تغضب منه ، فتجيبه بأنها ليست مغضبة منه ، وانما غضبها من « أنيز » .

جارسان : أعتقد أن الموقف قد تحسن قليلا ، بعد أن تصارحنا . والآن ، لم لا يحاول كل منا أن يساعد الآخرين ؟ .. لقد نسجوا شباكهم ببراعة يا « أنيز » ، حتى أننى أشعر بخيوطها تخنقنى اذا أنت رفعت يدك ، ولن يستطيع أحدنا أن ينقذ نفسه بنفسه ، فنحن مرتبطون ارتباطا لا فكاك منه .. ما لك ؟

أنيز (كأنها تشهد منظرا لا يراه الآخران) : لقد أجروا الغرفة . وهاهو ذا رجل يجلس على سريرى ، سريرى أنا ! ..

آه ، وهناك امرأة كذلك !.. هاهى ذى تقترب منه ، وتضع راحتيهـا على كتفيـه . يا للعنة ! لقد لف الظلام غرفتى ، فلست أرى شيئا ، وان كنت اسمع همسا .. على سريرى ! اذن فقد تقطعت صـلاتى بالارض ، ولا مفر لى ! **(ترتجف)** اننى أشعر بانحلال ، وخواء .. لقد اصبحت ميتة حقا ، أخيرا ! .. **(لجارسان)** وماذا تتوقع منى اذا ساعدتنى ؟

جارسان : أن تساعدينى . ان الامر لا يحتاج لغير جهـد ضئيل .. مجرد ومضة من الشعور الانسانى .

أنيز : الشـعور الانسـانى ؟ .. لا فائدة ، فقـد تعفنت وتيبست ، ولم أعد أستطيع أن أعطى أو آخذ .. **(تصمت وهى تحملق فى استيل التى اعتمدت رأسها بين راحتيها)** هل كانت فلورنس شقراء بطبيعتها ؟

جارسان : هل تدركين أن هذه الشابة قد كتب عليها أن تكون مصدر عذابك ؟ .. لسوف ينالون منك عن طريقها .. حـاولى ! انهم يراقبـونك ليروا ما اذا كنت تقعين فى الشرك .

أنيز : أعرف هذا . وأعرف انك شرك آخر . أتراهم لم يكونوا يعرفون مقدما كل كلمة تقولها ؟ .. ان كل شىء هنا ملىء بالفخاخ والشراك . ولكن ، فيم يهمنى هذا ؟ اننى شرك لها بدورى **(تومىء برأسها نحو استيل)** وقد أوقعها ..

جارسان : انما يطارد كل منا الآخر ، فى دائرة مفرغة ، فلن يستطيع احدنا اصطياد آخر . هذه هى خطتهم ، فدعى عنك ذلك ، والا جلبت المصائب على ثلاثتنا !

أنيز : اننى اعرف ما سوف يصيبنى .. لسوف أحترق ،

وسأظل أحترق الى الابد . ولكننى سـأوقع « استيل » فى شباكى ، وسأجعلها تراك خلال عينى ، كما كانت فلورنس ترى الرجل الآخر .. ما جدوى أن تحاول الظفر بعطفى ؟ .. اننى لا أكاد أشعر بأسف على أحد .. ولا على نفسى ، فأنا فى فخ يكاد يطبق على عنقى !

جارسان (يهز كتفيها) : أنا أشعر بالاسف من أجلك .. لقد تكشف كل منا للآخر عاريا من كل زيف ، فأنا أستطيع أن أنظر ما فى قلبك . أتظنين اننى أبغى ايذاءك ؟ .. اننى ارثى لك !

أنيز : استبق الرثاء لنفسك ، ولا تنس ان ثمة فخاخا لك أنت الآخر ، فى هذه الحجرة ، فاهتم بنفسك ! .. ولو انك تركتنى وهذه الصغيرة فى سلام ، فسـأحرص على ان لا أوذيك !

***

ويهز كتفيه وينصرف عنهما . ولكن « استيل » تناشده أن يعينها ، فيقول : « تقدمى برجائك اليها ! » . وتقترب منـه ، فتقف « أنيز » وراءها ، دون أن تمسـها ، وتروح تتكلم فى أذنها خلال الحوار التالى ، ولكن نظرات « استيل » لا تحيد عن « جارسان » ، وهى توجه حديثها اليه :

استيل : أتوسـل اليك يا جارسـان .. لست أريد أن أبقى وحيدة .. ان « اولجا » تصطحبه الى ملهى ليلى .. اقصد « بيير » ، وها هما يرقصان .. انه شاب صغير ، غرير .. اعتـاد أن يصـفنى بأننى « جـدوله ذو النظرات

الصافية » .. تصور ! لقد كان مدلها فى هواى ، ولكن أولجا اغرته الليلة بالخروج معها .. ولكننى لا أحبه طبعا ، فلست من هواة اختطاف الاطفال .

أنيز : فلماذا اذن تهتمين بأمرهما ؟

استيل : لقد كان لى .. ملك يدى .

انيز : كان .. ذات يوم. أما الآن فلن تستطيعى أن تلمسيه أو أن تسمعيه صوتك . أما أولجا ، فتلمسه وتكلمه كما تشاء .. انك لم تعودى شيئا ، ولم تخلفى على الارض مجرد ظل . كل ما لك هنا .. هذه الاريكة ، وسكين الورق ، والتحفة التى على رف المدفأة ، و .. أنا يا عزيزتى، أنا لك الى الابد !

استيل : أنت ؟ .. من منكما سيقدم على أن يصفنى بأننى « جدوله ذو النظرات الصافية » ، أو « فتاته الشفافة كالبلور » ؟ .. **(تحملق أمامها ، وكأنها تخاطب شخصين تراهما هى ، ولا يراهما زميلاها)** اننى أراك يا أولجا ! ماذا تقولين له ؟ .. « عزيزتنا استيل المسكينة » ، يا لك من منافقة !.. انك لم تذرفى دمعة واحدة فى جنازتى .. ومع ذلك فأنت من القحة بحيث تتحدثين مع « بيير» عنى ! .. لا ، لا تخبريه يا أولجا ! .. أترى نذالتها يا جارسان ؟ .. لقد أنبأت « بيير » بسر رحلتى الى سويسرا ، ولكنه لا يبدى كثير دهشة . استبقيه لنفسك اذن يا أولجا ، فلن أحفل !.. لقد انتهى كل شيء ، وغابت الارض عنى .. **(لجارسان)** لا تتخل عنى ! خذنى بين ذراعيك !

وتشير اليه « أنيز » من ورائها كى يبتعد فيتراجع ، ولكن

الفتاة تلحف فى الرجاء ، وتروح تعدد له مفاتنها . فبشير جارسان لها نحو أنيز .

استيل : لا جساب لها لدى ، فانها امرأة !

أنيز : أهذا رأيك ؟ .. ولكنك يا صغيرتى البائسة ، كنت تأوين الى قلبى أجيالا ، وان لم تفطنى الى ذلك . لا تخافى ، فلسوف أظل اتطلع اليك أبدا ، دون أن تختلج أجفانى ، وستعيشين فى نظرتى .. استيل ، يا جدولى الصافى .. يا بلورتى !

استيل : أتحسبين انك تخدعيننى بهذا القول ؟ .. كل امرىء أصبح يعرف ما فعلته بوليدى . لقد تهشمت البلورة، ولن أحفل . لست سوى دمية جوفاء ، ولم يبق منى سوى المظهر .. ولكنه ليس لك ! .. دعينى ! أما من وسيلة للخلاص منك ! **(تبصق على وجه أنيز)**

أنيز : ستدفع الثمن يا جارسان ! **(يهز هذا كتفيه)**

جارسان (يقترب من استيل) : اذن ، فالذى تحتاجين اليه .. رجل ؟

استيل : ليس أى رجل ، وانما .. أنت !

جارسان (ممسكا بكتفيها) : دعى الرياء ، فان أى رجل كفيل بأن يرضيك . وما تبتغيننى بالذات الا لاننى هنا . على اننى لست من النوع الذى يروق لك ، ولست من الشباب المائع الذى يجيد الرقص .. ولدى ما يشغل افكارى .

استيل : سأقبلك على علاتك ، وقد ابدل من شأنك . وسأجلس على أريكتك ريثما تفرغ من تفكيرك وتنتبه الى وجودى .. لن اضايقك قط !

وتحاول أنيز أن توقع بينهما ، ولكنهما لا يصغيان اليهـا ، ويتعانقان .

أنيز : استيل ! جارسان ! .. لابد انكما جننتما . لستما وحيدين ، فأنا هنا .. أتحت عينى تفعلان هذا ؟

استيل : ولم لا ؟.. لقد اعتدت أن أخلع ثيابى على مشهد من وصيفتى .

***

وتمسك « أنيز » بذراع « جارســان » فيدفعها عنه . ولاتملك سوى أن توليه ظهرها، وتسير الى الركن القصى، وهى تقول : « افعلا ما تشاءان ، ولكنى هنا ، ولن احول عينى عنكما .. ستشعر بهما تخترمان كيانك يا جارســان وأنت تقبلها » .. ويهم جارسان بأن يقبل استيل ، ولكنه يعتدل فجأة ، اذ يسمع حديثا يدور فى الدنيا بين زملائه فى ادارة الصحيفة ، فيشغل به عن الهوى . ثم لا يلبث أن يرتد الى استيل ويسألها : « أتثقين بى ؟ »

استيل : يا له من سؤال غريب ، وأنت تحت بصرى طيلة الوقت ..

جارسان : لست أقصد هذا النوع من الثقة .. أن زميلى جوميز يتكلم عنى .. تكلم أيها الوغد ، فلست أملك أن أدافع عن نفسى . (**لاستيل**) يجب أن تهبينى ثقتك . لقد أعدمونى رميا بالرصاص ..

استيل : لانك رفضت القتال . ولم لا ؟

جارسان : اننى لم أرفض تماما .. لقد ذهبت الى القائد ،

وقلت له اننى لا أميل للقتال . وكان حريا بهم أن يسجنونى ، ولكنى أردت أن أظهر حقيقة معدنى وأن أدافع عن مبادئى . لذلك استقللت القطار لاذهب الى (المكسيك) ، وأصدر صحيفة تدعو للسلام هناك . ولكنهم اعتقلونى على الحدود .

استيل : ما الذى ينبغى أن اقول ؟ .. انك كنت على حق !

أنيز : انه يريد أن تقولى انه « فر » كالاسد .

استيل : ولكنك كنت مضطرا الى الفرار ، فلو انك مكثت لسجنوك !

جارسان : حقا .. (**يصمت لحظة**) أترينني جبانا؟

استيل : كيف لى أن أحكم ؟ .. أنت الذى تبت فى الامر يا حبيبى .. تذكر ، فلابد أن ثمة أسبابا حدت بك الى ذلك .

جارسان : أجل، ولكنى لا أستطيع أن أبت .. أترينها كانت أسبابا حقيقية ؟ .. هل كانت هى الحافز الحقيقى ؟ .. لقد ظللت أذرع « زنزانتى » ليل نهار ، وأحلل نفسى ونوازعى ، ولكنى كنت أنتهى الى أن أسأل نفسى : لماذا استقللت القطار الى الحدود ؟ .. وأخيرا ، رأيت اننى لو واجهت الموت بشجاعة ، لبرهنت على أننى لست جبانا . تعالى يا استيل ، وتطلعى الى ، فانى أسمعهم يتحدثون عنى فى الدنيا !

أنيز : أتحبين الجبناء يا استيل ؟

استيل : لست أحفل ، فسيان عندى أن يكون جبانا أو شجاعا ، طالما كان يغذينى بالقبلات ..

ويشتد حنق جارسان وهو ينصت الى زملائه يتحدثون

على الارض ، ويقطعون بأنه كان جبانا . وتسأله أنيز عما صار اليه أمر زوجته ..

جارسان : ألم أقل لكما ؟.. لقد ماتت . الآن فقط .. منذ شهرين بتوقيت الارض . وهذا خير لها . لقد انتهت الحرب ، وماتت زوجتى ، وحفرت انا لنفسى مكانا فى التاريخ **(يغص حلقه ، ويمر بيده على وجهه)** .

استيل (تمسك بذراعه) : يا حبيبى البائس . انظر الى ! تحسسنى ! **(تمسك بيده فتضعها على عنقها)** هلا نسيتهم ؟ .. انهم لن يلبثوا أن يموتوا .

جارسان : لو نسيتهم ما نسونى هم . ولو ماتوا لجاء غيرهم وأحيوا القصة .

استيل : سر متاعبك انك تفكر أكثر مما ينبغى .

جارسان : لو استطعت أن أكون بينهم ثانية ، لرددت عليهم أكاذيبهم ، فهم يصدرون حكمهم على ، دون أن يحفلوا بى ، ولهم الحق ، لأننى ميت .. اسمعى ، هناك خدمة ارجوها منك . لو أنك بذلت جهدا ، لو انك اردت عن رغبة ، لاستطعنا أن يحب كل منا الآخر . ان آلافا منهم يزعمون اننى جبان ، ولكنى لو وجدت فردا واحدا ، واحدا فقط ، يقول عن اقتناع بأننى لم أهرب عن جبن ، واننى كنت جريئا ، صادق العقيدة .. ان ايمان هذا الشخص الواحد بى ، هو الذى ينقذنى ! .. فهل لك أن تؤمنى بى ؟

استيل (ضاحكة) : أتظننى أرضى بأن أحب جبانا ، أيها الغبى ؟ .. اننى أحب الرجال الصادقى الرجولة يا حبيبى . انك لم تؤت شيئا من سمات الجبان !

ويفرح جارسان ، ولكن أنيز تنفجر ضاحكة ، وتوحى اليه بأن استيل لم تكن تعنى كلمة مما قالت ، وانما كل بغيتها أن تظفر به .. « **انها تريد رجلا .. تريد ذراعى رجل حول وسطها ، عبير رجل ، وعينى رجل تضطرمان شهوة !** » ..

جارسان (للمرأتين) : انكمـا تشمئزان منى ! **(يذهب نحو الباب)**

أنيز : لن تستطيع .. فالباب مغلق !

ويضغط زر الجرس ، فلا يسمع للجرس رنين .. ويدق الباب بقبضتيه ، وهو يقول : « لم أعد اطيق احتمالا ! .. لم أعد أطيقكما معا ! » .. وتهرع اليه استيل ، فيقصيها عنه ، ويظل يدق الباب .

استيل : أتوسل اليك أن لا تهجرنى .. أعدك بأن لا أتكلم ثانية، ولن أضايقك .. لا تدعنى مع أنيز وحيدة، بعد ان أشهرت مخالبها ! **(واذ لا يأبه لها ، تصيح :)** اذن فأنت .. فأنت جبان حقا ؟ !

أنيز (تذهب اليها) : لعلك اقتنعت يا عصفورتى الصغيرة . لسوف يذهب ، فيخلو المكان لنا نحن الاثنتين .. اننا امرأتان !

جارسان (وهو ماض فى الدق على الباب) : افتحوا .. سأتحمل حديدكم المحمى ، وقصديركم المصهور ، وكل ادوات التعذيب التى أوتيتموها .. سأصمد لكل عذاب تفرضونه . أى شىء افضل من عذاب الفكر هذا ، الذى يسرى فى كل كيان المرء .

يمسك بمقبض الباب ويحركه ، فاذا الباب ينفتح فجأة ،

من تلقاء ذاته .. ويسود صمت طويل. فتروح أنيز تستحث جارسان على الخروج ، فى شىء من التحدى ..

جارسان : لن أخرج !

أنيز : وأنت يا استيل ؟ **(لا تتحرك هذه ، فتضحك أنيز)** وبعد ؟ .. اننا نحن الثلاثة نبرح الغرفة ؟ .. لقد زال الحاجز ، فماذا ننتظر ؟ .. يا له من موقف ! اننا لا نملك أن نفترق !

استيل (وهى تنقض عليها من الوراء) : لانملك أن نفترق ؟ .. ساعدنى يا جارسان ، وسندفعها معا الى الخارج ، ونغلق الباب دونها !

***

وتقاوم أنيز ، ويصيح جارسان فى استيل أن تدعها ، فتفلتها وتروح تحملق فيه مذهولة ، فيقول : « انما أمكث هنا من أجلها ! »

أنيز : من أجلى ؟ .. حسنا ، أغلق الباب ، فقد اشتد الحر ـ منذ فتحه ـ عشرة أمثال ماكان .. اذن، فقد مكثت من أجلى ؟

جارسان : أجل ، فأنت تعرفين ـ على أية حال ـ معنى أن يكون المرء جبانا . وأنت تعرفين ما فى ذلك من نذالة ، وعار ، وخوف . لقد كنت تنفذين الى أعماق نفسك أياما ، وترتادين الاماكن الخفية من قلبك ، فاذا الذى رأيته يذهب بجلدك ، ويملأك جزعا واستبشاعا ! .. وكنت فى كل مرة ، لا تدرين كيف تفسرين الهول الذى اكتشفته ! .. أجل ،

انك تعرفين كم يكبد الشر صاحبه . انك حين تقولين انني جبان ، تقولينها عن معرفة بمعناها .. ومن ثم فأنت التي يجب أن أقنعها ، لانك من صنفي . أتظننت انني كنت خارجا ؟ .. لا ، ليس بوسعي أن أدعك هنا تتشدقين بهزيمتي ، وتملأ رأسك الخواطر عن فراري من وجهك !

أنيز : أتريد أن تقنعني حقا ؟

جارسان : هذه هي رغبتي الوحيدة الآن ، فاني لم أعد أسمع حديث أهل الدنيا ، ولابد انهم لم يعودوا يفكرون في .. لم يبق شيء على الارض .. ولا لقب الجبان . ومن ثم لم يبق سواكما يفكر في . أما استيل فلا وزن لها ، وانما أهتم بك أنت ، يا من تكرهينني . فلو أنك آمنت بي لانقذتني !

أنيز : لن يسهل عليك ذلك ، فان رأسي صلب .

جارسان : سأكرس لك كل الوقت . (**يضع يديه على كتفيها**) اسمعي ، ان لكل انسان هدفا في الحياة .. حافزا يقوده . وأنا لم أكن أحفل بالمال ، ولا بالغرام . انما كنت أهدف الى أن أكون رجلا بمعنى الكلمة ، وقد قامرت بكل شيء في سبيل ذلك . أترين أن المرء يكون جبانا حقا ، وهو يتعرض للاخطار في كل طريق ؟ وهل يحكم المرء على حياة ما ، على ضوء تصرف واحد ؟

أنيز : ولم لا ؟ .. انك مكثت ثلاثين عاما تحلم بأنك بطل ، وتهزأ من آلاف العثرات ، لان البطل لا يرتكب خطأ ما .

ثم جاء يوم تعرضت فيه للخطر الحقيقى .. فاذا بك تستقل القطار الى (المكسيك) !

جارسان : تقولين اننى كنت « أحلم » ، ولـكنه لم يكن حلما ، فقد اخترت طريقى متعمدا ، فان رجولة المرء تتمثل فى ارادته **(وتسأله أن يثبت ذلك ، فيقول :)** لقد مت فى سن مبكرة ، ولم يتح لى الوقت كى .. أقوم بأعمالى !

أنيز : كل امرىء يموت فى سن مبكرة ، أو فى سن متأخرة بالنسبة لما يرجو .. ومع ذلك فان عمره يكون قد اكتمل ، حين يموت . وما أنت سوى الحياة التى عشتها فحسب !

جارسان : يالك من امرأة سامة !

أنيـــز : لا تقنط ، بل فـــكر ، وابحث عن بعض الحجج لتقنعنى !.. **(يهز كتفيـــه)** انك الآن تدفع الثمن ، فأنت جبان يا جارسان ، لاننى أريد ذلك . أتفهم ؟ .. ومع ذلك، فتأمل كم أنا ضعيفة ، كأننى نسمة عابرة ! **(يســير اليهــا باسطا يديه)** انك لاتستطيع أن تخنق الافكار ، ولا بد لك من أن تقنعنى .. انك تحت رحمتى !

استيل : انتقم لنفسك يا جارسان ! .. قبلنى ياحبيبى ، وستسمعها تصرخ !

ينحنى على استــيل ويهم بأن يقبلهــا ، فتنبعث من أنيز صرخة قصيرة ، وتعيره بأنه جبان ينشد العزاء لدى النساء .

استيل : اصرخى يا انيز .. ضمنى بشـــدة يا حبيبى ، فلسوف يقضى عليها هذا .

أنيز : أجل ياجارسان ، ضمها اليك ، واصهر جسديكما معا ، فان الحب عزاء كبير .. انه مظلم ، عميق كالنعاس . ولكنى لن أدعك تنام **(يرتجف جارسان)** ماذا تنتظر ؟ ما أجمله من منظر : جارسان الجبان يضم استيل قاتلة وليدها ، بين ذراعيه المفعمتين بالرجولة ! .. اننى فى حد ذاتى حشد من الناس ، فهل تسمع مايهدر به الحشد يا جارسان ؟.. « جبان ! جبان ! جبان ! » .. لا جدوى من محاولة الفرار ، فلن أدعك .. ما الذى ترجوه من شفتيها ؟ النسيان ؟ .. ولكنى لن أنساك ، وأنا التى يجب أن تقنعها . فتعال ، تعال .. **(لاستيل)** أرأيت كيف يأتى طائعا كالكلب ؟ .. لن تستطيعى أن تمسكيه !

جارسان : ألن يأتى الليل ؟.. هل تظلين ترينني الى الابد ؟

أنيز : دائما .. فلن يأتى الليل أبدا !

جارسان (يسير الى المدفأة ويتحسس التحفة البرونزية ، ثم يلتفت فجأة) : ماذا ؟ امرأتان فقط ؟ .. ظننتكما أكثر من ذلك بكثير ! **(يضحك)** اذن ، فهذا هو الجحيم ؟ ماكنت لأصدق ! .. أتذكران ما كان يقال لنا عن غرف التعذيب ، والنار المحرقة ؟.. ليست بهم حاجة الى ذلك ، فما الجحيم سوى .. الناس الآخرين .. الغير ! **(تندفع اليه استيل ، فينحيها عنه)** دعينى ، فانها تقف بيننا ، ولن أستطيع أن أحبك وهى ترقبنا !

تلتقط استيل سكين الورق ، وتنقض على أنيز تطعنها .

انيز (ضاحكة) : يالك من مجنونة ! .. ألا تعرفين اننى ميتة فعلا ؟.. ميتة ، فلا جدوى للسكاكين ، ولا للسم ، ولا للحبال .. لقد حدث الموت وتم ، فهل تفهمين ؟ .. انه لا يحدث سوى مرة واحدة ، ثم نبقى هنا .. الى الابد !

استيل (تفلت السكين، ثم تقهقه) : يا الهى !.. الى الابد !

جارسان (ينظر الى المرأتين ، ثم يشاركهما الضحك) : الى الابد ، الى الابد ، الى الابد !

يتهالك كل منهما فى أريكته ، ويسودهما صمت تتلاشى خلاله الضحكات ، ويظل كل منهما يحملق فى الآخرين ، **بينما تسدل الستار .**



لماذا أنتَ عصبيّ ؟

الكتاب الذى يحلل لك الانفعالات العصبية، وأسرارها .. ويرشدك إلى خير السبل لعلاجها

تلخيص : وديع دياب

عزيزى القارىء :

كم من مرة حاولت أن تنهض من فراشك ـ فى الصباح ـ فاذا بك تشعر بأطرافك ثقيلة ، وبجسمك يأبى أن يطيعك ، وبأنك مريض .. حتى اذا فات موعد ذهابك الى عملك ، واطمأننت الى أن لاسبيل للذهاب فى ذلك الصباح ، اذا بك تشعر بأن النشاط قد عاد يدب فيك .. واذا بك تفاجأ بأنك ضجرت من عملك ، وأصبحت تكرهه ..

وكم من مرة دعيت الى حفلة فترددت ، وانتهى بك الأمر الى عدم الذهاب ، لشعورك بأنك ستحرج بين الموجودين ، وبأنك لن تستطيع أن تجاريهم ..

وكم من مرة أضعت على نفسك فرصة المساومة ـ فى عمل ـ لأنك خجلت من أن تتكلم بحرية ، وتملى شروطك ورغباتك ..

هذه بعض أعراض « العصبية » .. وهناك أعراض أخرى عديدة تصادفك ، أو تصادف من حولك ، فى الحياة العادية ..

فلماذا أنت عصبى ؟.. ولماذا يكون أى شخص عصبيا ؟

ان العصبية هى الداء المستشرى فى المجتمع المتدين .. بل أكاد أقول انها من الظواهر التى تصحب التمدين ، وتصحب الحياة الصاخبة ، الحافلة بالتنافس وبالضجيج ، التى نحياها اليوم ..

لذلك رأيت أن أقدم لك الكتاب المنشور على الصفحات التالية ، لتعرف أسباب « العصبية » وعلاجها ..

هذه الاضطرابات .. ما سرها ؟

لاتعتبر العصبية – فى عرف الطب – مرضا ، ولكنها مرتبطة فى الغالب بضعف البنية وبأمراض عضوية أخرى .. على ان الانسان كثيرا ما يصاب بالعصبية ، دون أن يكون بالجسم ضعف ما . وفى هذه الحالة ، يمكن أن تسمى « بالعصبية النفسية » . وفى بعض الحالات ، تعمل العوامل النفسية والجسمية جنبا الى جنب .

واعراض مثل هذا الاضطراب ليست غريبة عنا جميعا . فمهما تكن قوة أعصابنا ، الا اننا لابد قد رأينا غيرنا – على الاقل – ممن أصيبوا بمثل هذه الاضطرابات النفسية . ومن هذه الاعراض : الحساسية ، والخجل ، والنفور من الناس ، والتردد ، وعدم القدرة على البت ، والضجر ، والارق ، والارتجاف ، والخفقان ، والشعور بالاختناق ، ونوبات الربو ، والعرق المستمر ، والعرق أثناء النوم ، وجفاف الفم ، وسوء الهضم المزمن ، والاسهال ، وكثرة التبول .. وكثير من الاعراض الاخرى التى تدل دلالة واضحة على اضطراب الجهاز العصبى .

والاضطراب – عند الظهور على المسرح لاول مرة ، أو عند تأدية الامتحانات – من مظاهر العصبية الشديدة . كما أن تضخم الغدة الدرقية يصاحب الاعراض العصبية المذكورة مجتمعة . وقد ثار الجدل حول ما اذا كانت شدة نشاط الغدة الدرقية هى التى تؤدى الى الاصابة بالعصبية ونوبات القلق ، أو أن العصبية والقلق هما اللذان يؤديان الى

تضخم الغدة الدرقية . والمعروف أن الانسان يصاب بتضخم الغدة الدرقية عقب التعرض للفزع الشديد . وقد كثرت الاصابة بهذا المرض فى أعقاب الغارات الجوية التى كانت تلقى فيها القنابل ، فى الحرب الماضية .

ويصاب بعض العصبيين بنوبات الاغماء والغيبوبة ، أو ببعض الاضطراب العقلى ، أو بضعف التفكير ، أو الدوار وبعض الاعراض الاخرى . وكثيرا ما تسيطر على المريض مخاوف لا أساس لها ، كالتوجس من قرب وقوع الكوارث . وربما تحدث فى بعض الاحيان نوبات تشبه نوبات الصرع ولكنها ليست من الصرع فى شىء. وترجع مثل هذه الحالات الى أن شدة انفعالات المرء تؤدى الى اضطراب الدورة الدموية عن طريق المخ .

اعراض تغرر بالاطباء

والواقع أن الذى يعانى العصبية قلما يشكو من أى مرض عضوى خطير، مثل امراض القلب الخطرة أو الامراض العقلية . وهو لذلك لا يجد نفسه فى حاجة الى التعاطف أو المشاركة الوجدانية مع الاقارب أو الجيرة . ولكن الذى يحدث ، أن « العصبية » غالبا ما تؤثر فى وظائف الجسم العضوية ، حتى يختلط الامر على الطبيب الماهر ، فلا يستطيع التفرقة بين القىء أو سوء الهضم الناشىء عن اسباب عضوية بحتة ، وما يشبههما من الاعراض الناشئة عن القلق العصبى. فاذا جربت أنواع العلاج المعتاد ولم تأت بالفائدة المرجوة ، كان

معنى ذلك أن الاضطرابات العضوية ترجع الى القلق أو الازمات العصبية .

ويصاب كثير من العصبيين بالهزال كما يصابون بسرعة النبض وغزارة العرق ، مما قد يوحى للطبيب بأن هذه اعراض مبادىء السل الرئوى .. لذلك فمما يساعد على دقة التشخيص ، وجوب الرجوع الى تاريخ العائلة ، الى جانب الفحص الطبى الدقيق للرئتين والصدر .

وغالبا ما تظهر على العصبى جميع اعراض مركبات الشعور بالنقص ، ولوم الذات ، وعدم الرضا عن النفس ، وميل المريض الى الشعور بأنه عديم النفع ، ودوام توقع ارتكاب الاخطاء والهفوات . كما انه يتعرض عادة للاضطرابات الانفعالية ، ويسيطر عليه الشعور بأنه مضطهد .. ومن ثم فهو يخشى الاشتراك فى المباريات الرياضية أو النشاط البدنى ، ويتجنب الدخول فى المنافسات أيا كان نوعها ، خشية أن يمنى بهزيمة . كذلك لا يحب العصبيون التعرض لبعض الاعمال التى تحتاج لدرجة معينة من الثقة بالنفس، كما ينقصهم الاستعداد للقيام بالمشروعات التجارية، أو الاعمال ذات المسئولية . وكثيرا ما يرفض العصبى الحصول على ترقية ترفعه فى عمله ، برغم ما يترتب عليها من المنافع المادية ، تهربا من عواقب ازدياد مسئولياته .

وبعد .. فلنضع أمراضنا الجسمية والنفسية تحت الفحص الدقيق ، لنتمكن من الوصول الى أصل الداء ، وبالتالى الى العلاج .

ضريبة الشهرة تدفعها الاعصاب

لاشك فى أن العصبية – فى الاصل – مرض نفسانى يتعلق بالانفعالات ، مع أن هناك جملة عوامل عضوية تؤدى الى الشعور باعراضه .

وهناك – بطبيعة الحال – نوع من العصبية مألوف وطبيعى ، كالذى يصيب الممثلة الشهيرة ، فى الليلة التى تقدم فيها دورا جديدا على المسرح . فاذ ذاك يزداداضطرابها عما يكون عليه فى الظروف العادية، لان العامل الذى استجد (ويتمثل فى محاولة تأدية الدور الجديد على أحسن وجه) يزيد من توتر الاعصاب .. والواقع أن اللامعين – رجالا ونساء – يدفعون ثمن ما يصيب أعصابهم من اجهاد ، حينما يلقى على عواتقهم ما يفوق طاقتهم من أعباء . وكثيرا ما يؤدى الاضطراب الشديد – الذى يسبق القيام بمواجهة الجماهير – الى الاعياء الذى يستدعى المبادرة الى العلاج .

ولكن ما الداعى الى العصبية الحادة التى لا تتناسب مع الاسباب التى دعت اليها ؟ .. وكذلك المخاوف العصبية التى تنتاب الشخص ، ولو لم يواجه احدا على الاطلاق ؟ .. ما سبب تلك العصبية التى تعقل اللسان فى وقت هو احوج ما يكون فيه الى الطلاقة ، كما هى الحال فى مقابلة المرء لمن هو أعلى منه مرتبة ، لاسيما اذا كانت المقابلة لعمل أو لطلب مكافأة ؟

أعراض جسدية تؤثر على الاعصاب

وأول مايجب أن يفعله الانسان – فى احوال كهذه – هو

أن يفحص الحالةالجسمية نحصا شاملا، فان بعض العوامل العضوية قد تثير الجهاز العصبى ، وتؤدى الى الاضطراب . وهذه العوامل العضوية لا تخرج عن :

أولا : اضطراب الجهاز العصبى بتأثير الوراثة، أو اختلال الدورة الدموية ، أو التغيرات التى تحدث أثناء البلوغ .. أو فى سن اليأس عند السيدات .

ثانيا : ضعف الصحة عامة ، والجهاز العصبى خاصة ، نتيجة العادات المعيشية الخاطئة .

ثالثا : الالتهابات الناشئة عن المعدة أو الامعاء .

رابعا : التسمم الذى يؤثر فى الدم والاعصاب .

خامسا : اتخاذ اوضاع جسدية سيئة ، وعدم اعتـدال القامة .

سادسا : فقر الدم الذى يهدد سلامة الاعصاب .

وعلينا الا نوجه اهتماما كبيرا الى عامل الوراثة .. فقد اثبتت الدراسات أن فى وسع المرء أن يكتسب عادة التحـكم فى المشاعر وضبط النفس ، بحيث يقوى على ما يـكون قد ورثه عن والديه من ارهاف وحساسية .. واذا ضـعفت البنية، فان الانسان يصبح أكثر استعدادا للاصابة بالعصبية، ومرضى « النورستنيا » والهستيريا ـ وغيرهم ممن يعانون ضعف الاعصاب ـ معرضون للاصابة بالعصبية والقلق .. على النقيض من صاحب الجسم السليم ،لاسيما اذا كان مواظبا على ممارسة الرياضة ، فان اعصابه تلقى من الغذاء ما يحول دون الاصابة بالعصبية أو الخوف .

كذلك قد يؤدى تهيج المعدة والامعاء الى الاصابة بالعصبية،

لاسيما اذا اصيبت المعدة بالحموضة الشديدة ، والامعاء بالتلبك ، ولو كان المريض مواظبا على استعمال المسهلات لعدة سنين. ولكن الافضل اتباع نظام غذائى يتضمن الصيام لفترات قصيرة ـ بقصد تنظيف القناة الهضمية ـ ثم الاقتصار على غذاء خفيف، ثم غسل القولون. فبهذه الطريقة يمكن القضاء على تهيج المعدة والامعاء .. ذلك لأن حموضة المعدة تهيج مئات الشعيرات العصبية التى فى جدرانها ، فترسل بدورها الى المخ ـ عن طريق الاعصاب ـ اشارات مهيجة ، تتمثل فى الآلام المبرحة التى يعانيها المريض .

وعدم التزام الاوضاع السليمة ، يتعب القامة ، ويؤدى الى انحراف فقرات العمود الفقرى بحيث تضغط على الاعصاب بدرجة قد تهيجها .. أو يؤدى الى ميل بعض الاعضاء أوتغير أوضاعها ـ كالمعدة والامعاء والكلى والرحم ـ مما يؤدى الى اجهاد الاربطة العصبية ..

كذلك قد تتهيج الاعصاب نتيجة ترسب وازدياد السموم الناشئةعن تكاثر الاحماض فى الجسم ـ مثل احماض البول، والاوجزاليك ، والبوتيريك ، وما اليها ـ بسرعة تفوق سرعة اعضاء الاخراج فى التخلص منها ، مما يؤدى الى تشبع الدم بها ، والى ترسبها فى انسجة الجسم .

والذى يشكو فقر الدم، لايشعر بمزايا الاعصاب السليمة . اذ يؤدى فقر الدم الى خمول الجهاز العصبى .. على أن من الممكن شفاء كثير من حالات العصبية ـ التى ترجع الى مجرد فقر الدم ـ بالعمل على الرجوع بالهيموجلوبين الى حالته الطبيعية فى الدم، وبزيادة عدد كريات الدم الحمراء .

وهكذا نجد أن الخطوة الاولى للتغلب على الامراض العصبية ، هى البحث أولا عما اذا كان ثمة دواع بدنية أو عضوية تؤدى اليها ..

تأثير الاحوال الذهنية والعاطفية

والعوامل النفسية المهيئة للعصبية كثيرة ومتباينة. وهى تشمل :

أولا : الافراط فى بذل المجهودات العقلية والعصبية .

ثانيا : الشعور بالنقص بدرجة تؤدى الى ظهور عوامل مثل الشعور بالخوف من السخرية أو النقد .

ثالثا : المبالغة فى محاسبة الذات ، وتوبيخ النفس ، والشعور بالذنب .

رابعا : الرتابة والتكرار، مما يعجل باجهادالمراكز العصبية المستخدمة فى العمل ، والى كراهية العمل ذاته .

خامسا : الحاجة الى فلسفة للحياة تتسم بالهدوء والاتزان والروح الاجتماعية .

سادسا : الاصابة بالعصاب الذى يؤدى بالمرء الى التهرب من الواجبات الاجتماعية والمسئوليات .

ولكننا نشك فى أن مجرد الاجهاد يؤدى الى الاصابة بالعصبية ، فليس العمل الشاق هو الذى يضعف من استعداد الجهاز العصبى لتحمل اعباء الحياة .. انما يرجع الاجهاد الى اسراف المرء فى ارهاق ذهنه وجسده ، لاسيما فى ايامنا هذه ، التى اصبح فيها للصيت والنفوذ الشخصى الاعتبار الاول ، مما يزين لكثير من الناس بذل مجهودات ـ

عقلية وبدنية ـ تفوق طاقتهم ، فى سبيل الشهرة والمال .. ولا جدال فى أن العمل الشاق مفيد للعقل ، ولكن العصبية التى قد تنشأ عنه ، انما ترجع ـ فى الواقع ـ الى استغلال العقل بأسلوب خاطىء . ومن شأن العمل المجهد أن يؤدى الى اثارة الجهاز العصبى ، فيتوتر ، ويظهر توتره على شكل ثورة وحدة فى الطبع وكراهية للمجتمعات ، واختلاجات عصبية ، وغير ذلك .

وظاهر أن العلاج لا يتمثل فى الاقلال من العمل بقدر ماهو فى الاقلال من التوتر الذى يصاحبه .

الثقة بالنفس والايمان بمبادىء ثابتة

والشعور بالنقص يؤدى الى العصبية ، لا سيما اذا كان هذا الشعور متعلقا بالمركز الاجتماعى ، أو بالمستوى العلمى والثقافى، أو بالمظهر والملبس .. وقد يضاعف من سوء الحال أن يجهد المرء نفسه ليبدو أحسن مما هو . كذلك يلاحظ ان المرء يصبح فى خوف من السخرية أو النقد ، اذا هو فقد ثقته بنفسه . ولكى يتجنب ما يجرح كبرياءه او تقديره لنفسه ، فانه يبدأ فى ابتكار حيل ـ تتسم بالاضطراب العصبى ـ لتجنب أية ملاحظات غير مستحبة .

ويدأب الشخص الانطوائى على محاسبة نفسه ، وتتجه طاقته الحيوية ـ عادة ـ الى مشاعره الداخلية، على العكس من الشخص الانبساطى ، الذى تتركز طاقته الحيوية فى اهتمامه بالامور الخارجية .. ولا بأس هناك فى أن يحاسب الانسان نفسه من حين لآخر ، ولكن المحاسبة اذا أصبحت

عادة يومية مستمرة ، واتسمت بالمبالغة ، فانها تؤدى الى تأكيد نقط الضعف فى الانسان ، وتخلق فيه الشعور بالنقص .

ومن الظواهر الملموسة ، ان العمل الآلى الرتيب ، يؤدى بالمرء الى الملل والى الاجهاد السريع .. ذلك لان مثل هذا العمل لا يشغل سوى شطر بسيط من الجهاز العصبى — لايلبث أن يصيبه الارهاق — بينما يبقى الشطر الاكبر من هذا الجهاز معطلا فيعتل .

وكثير من العصبيين لا يدينون بفلسفة ما ، ولا يعتنقون مبادىء اساسية ثابتة ، مما يجعل عقولهم مذبذبة بين الآراء ، حائرة ازاء كل فكرة جديدة .. وهذه حال تتفاقم فى عصر كعصرنا الحالى ، يتسم بسرعة التغير والتبدل .

العامل الجنسى فى العصبية

وهناك حقيقة مسلم بها ، وهى أن شطرا كبيرا من مرض العصبية — الواسع الانتشار — يرجع الى سوء توافق العامل الجنسى مع الطبيعة البشرية . فان سوء التصرف فى الامور الجنسية يؤدى الى نشوء « عقدة الاثم » . فيشعر المذنب بأنه قد ارتكب ما يخالف الآداب العامة أو العرف ، كما يساوره شعور غريزى بأنه كان انانيا مفرطا فى استغلاله لهذه القوى . وهذا يؤدى بدوره الى الشعور بالضعة، مما يدعو الى أن يصبح عصبيا . والعلاج الصحيح لهذه الحالة ، هو أن يتعلم المريض كيف يتحكم فى الغريزة الجنسية .

وقد اعتاد الشبان القول بانهم يشعرون بالعصبية

حينما يكونون مجتمعين بالشابات ، وهنا يمكن أن تكون العصبية راجعة الى الشعور بالنقص ، نتيجة للانغماس الجنسى الشائن ، أو لان الشبان – حينما يكونون بصحبة الشابات – يتركون للعقل الباطن الفرصة للتفكير فى ايجاد علاقات آثمة مع الجنس الآخر . وهذا التفكير اللاشعورى ، هو الذى يؤدى الى الشعور غير الطبيعى بالتعب والعصبية . وعلاج هذا النوع من الشبان يكون بالا ينظروا الى الشابات على انهن وسائل لاشباع الفريزة الجنسية ، وانما على أنهن بشر مثلهم .

ولقد تضاءل الآن الخجل من المسائل الجنسية ، نظرا لانتشار الابحاث القيمة ، التى تتضمن الآراء العلمية الدقيقة عن الجنس . ولكنا لانزال – مع ذلك – نجد ضحايا للمعتقدات القديمة التى تقضى بكبت الفريزة الجنسية ، والناجمة عن الآراء الخاطئة التى يغرسها الآباء فى عقول الاطفال .. وعلاج مثل هذه الحالات من الخجل ، وكذلك الوجدانية العصبية الناجمة عنها عند ما يختلط الفرد بآخرين ، هو البعد بالعقل عن التفكير فى الحب والجنس على انهما من التصرفات المشينة ، والنظر الى الجنس نظرة سليمة ، وممارسة الرياضة البدنية والالعاب التى تجمع بين الجنسين .

ومن العصبيين من يصابون بهذا الداء نتيجة تجربة مؤلمة ، كالخيبة فى الحب ، أو التعرض للصد .. وهنا تنشأ العصبية عن الخوف من التعرض لمثل التجربة السابقة ، بما فيها من اذلال . على أن هذا الخوف يتلاشي اذا ما سيطر المرء على

نفسه - فى اية علاقة جديدة - بحيث يغلب الحكمة والصداقة على النزق والطيش .. وبوجه عام ، ترجع عصبية الحب بين الشباب - من الجنسين - الى طبيعة التوتر الجنسى بين فترة البلوغ ، والوقت الذى يتسنى فيه للمرء الزواج .

وهناك نوع من العصبية ينشأ بين الزوجين كذلك ، حين تثار الفريزة الجنسية لدى الزوجة ، دون أن يستطيع الزوج اشباعها . فاذ ذاك تهتاج أعصاب الزوجة وتتمرد .. ومن ناحية أخرى ، قد تؤدى صعوبة التكيف مع الحرمان الجنسى الى اصابة الارامل أو المطلقين - من الجنسين - بالقلق العصبى ..

التسامى والاشباع والحرمان

وظاهر أن شطرا كبيرا من العصبية يمكن أن يرجع الى عدم الاشباع الجنسى .. وقد ذهب فرويد الى أبعد الحدود ، حين قال : « اذا كانت الحياة الجنسية تسير فى مجراها الطبيعى ، اختفى العصاب » . ومن المحتمل أن يكون فى هذا القول شىء من المبالغة ، ولكنه يتضمن - فى الوقت نفسه - جانبا كبيرا من الصدق .

ويستطيع الشاب الاعزب أن يقلل من حدة العصبية - الى حد كبير - اذا استعان بوسائل التحكم الذاتى فى الفريزة الجنسية ، بأن يتجنب العوامل التى تساعد على اثارة الفرائز ، كتعاطى الكحول والافراط فى تناول اللحوم الحمراء والبيض . ويمكن البعد بالدم والجسم بوجه عام عن المهيجات

وذلك بالاكثار من تنـاول الاطعمـة القلوية ، كالخضروات والسلطات والفاكهة . كما يجب ألا تكون ملابس النوم ثقيلة، مع تجنب الحشيات والوسائد المحشوة بالريش .. ويحسن النوم على الجانب الأيسر أو الأيمن ، لأن الاستلقاء على الظهر يساعد على رفع درجة حرارة مراكز النخاع الشوكى ، مما يؤدى الى وقوع الاحلام والاضطرابات الجنسية . وجدير بالمراهق أن يمارس ألوانا من النشاط البدنى ، اذ أن طور البلوغ يمتاز بزيادة نشاط القوى الحيوية .. وهذا النشاط خليق بأن يتجه اتجاها جنسيا معوجا ، ما لم يستخدم فى ممارسة الرياضة .

وفيما يختص بالانفعالات النفسية ، فانه من الممكن تجنب التوتر الجنسى بتجنب ما يثير الرغبة الجنسية فى الخيال ،مثل الافلام والقصص الغرامية والادب المكشوف بوجه عام .

ويمكن التسـامى بالدافع الجنسى عن طريق اشـباع الانفعالات المماثلة له ، وذلك مثل تعليم الاطفال، وتفقد المرضى والعناية بهم ، وكذلك بتنمية الميول الفنيـة ، مثل الرسم والتصوير والموسيقى وما شابهها . كما أن الاهتمام بالدين، وممارسة الطقوس الدينية ، نوع من التسامى .

واذا نظر المراهق الى دوافعه الجنسـية على انهـا قوة خالقة يمكن تبديدها فى غير طائل ، كما يمكن توجيهها وجهة مفيدة ، فانه خليق بأن يبذل قصارى جهده ليخصص هذه الهبـة البنـاءة للاغراض الاجتماعيـة النافعـة ، بدلا من استخدامها للحصـول على مجرد متعة حسية .. فبهـذا

المسلك يستطيع أن يشعر شعورا عميقا بالرضا التام ، لسيطرته الكاملة على انفعالاته النفسية .

الصداقة والنشاط خير علاج

ويختلف الموقف بالنسبة للعصبيين من المتزوجين ، اذ أن المتاعب ترجع – فى حالتهم – الى الافراط الذى يؤدى الى اضعاف الجهاز العصبى ، كما ترجع – من جهة أخرى – الى خطأ عكسى يتعلق بالجوع الجنسى ، الذى يحدث عند ما يؤثر الزوجان الامتناع البات عن الاختلاط الجنسى ، مع انهما على اتصال مباشر ليل نهار ، مما يؤدى الى اثارة الغريزة الجنسية لا شعوريا ، دون أن تجد اشباعا طبيعيا . فلا عجب اذا اصيب هؤلاء الناس بالتوتر والعصبية .

ويجب الاستعاضة عن الحرمان الجنسى – بين الارامل من الجنسين – بايجاد صداقات جديدة ، من النوع الذى يمتاز بالحيوية والنشاط . واحسن علاج للارق والقلق والعصبية التى تصيب الانسان – فى هذه الحالات – هو ممارسة انواع النشاط المفيد ، والبحث عن أسلوب جديد لاشباع العواطف باسداء المساعدات الاجتماعية للآخرين .. ويجب الا نمارس الكبت الضار ، وان نسعى الى بعض الوسائل الشعورية للتسامى به عن طريق الاشباع التعويضى .

ويرجع القلق والعصبية الى بعض انواع الميل الجنسى الشاذة ، كعشق الجنس – أو « الجنسية المثلية » – والانحرافات الجنسية الاخرى . واحسن علاج لهذه

الحالات هو الاستعانة بخبرة طبيب نفسانى أو اخصائى اجتماعى ، لينقل العقدة الدفينة المكبوتة من العقل الباطن الى العقل الواعى .

سياسة التهرب والانزواء

ما من شخص يقر بأنه محب للعزلة أو يكره الاندماج فى المجتمع ، ما لم يكن مجرما يعمل ضد هذا المجتمع ، أو مغرورا يفخر بانه يحتل برجا عاجيا ، ويعتقد أن الناس جميعا دونه منزلة . ولكن الاخصائى النفسانى ـ الذى اكتسب خبرة بالناس وبالامراض النفسية ـ يعرف تمام المعرفة أن العصبى لا يحب الاندماج فى المجتمع ، كما أنه تنقصه العقلية الاجتماعية .. وان كان كثير من العصبيين ينكر هذه الحقيقة انكارا تاما . بل انهم يدعون ـ عادة ، وبوجه عام ـ انهم راغبون فى الاندماج فى المجتمع والاختلاط بالآخرين ، ولكن عصبيتهم هى التى تحول دون ذلك . وقد يقولون انهم مارسوا فعلا الحياة فى المجتمعات ، ولكنهم سرعان ما شعروا بالضيق لانهم كانوا يعانون الخجل ، أو الجبن والخوف ، أو التردد واللعثمة فى الاحاديث ، أو القلق العصبى .

على أن الاخصائى النفسانى يدرك أن وراء ذلك كله ، تقوم الانانية الجامدة ، والتركيز حول الذات ، مما يجعل المرء عاجزا عن الاختلاط بالناس والاخلاص لهم والرضا التام بتحمل المسئوليات الاجتماعية . والذنب فى هذا يرجع الى الوالدين اللذين لم يعرفا أن محاولات التهرب تبدأ عادة

أثناء الطفولة . فالطفلة ـ مثلا ـ تثور وتهتاج عند ما تقابلها أية عقبة ، وهى تلبس دميتها ثيابها ، مما يجعل امها تقوم عنها بالعمل لتهدىء من ثورتها وغضبها ، فى حين أن العلاج العملى يتطلب تشجيع الآباء لاطفالهم على القيام بما يريدون بانفسهم ، وذلك بأن يتيحوا لهم مشاهدة كل خطوة من خطوات العمل ، ثم يحثوهم على القيام به بأنفسهم ، خطوة خطوة ، دون الاستعانة بالوالدين . فبذلك يتحقق الطفل من ان فى وسعه التغلب على كل عقبة بالمران والمحاولة .. وكم من كبار نراهم يسلكون مسلك الاطفال ، حتى اننا لانتمالك ان نرتاب فى مقدرتهم على القيام بالاعمال التى توكل اليهم ، ما لم يلجأوا الى التماس معونة الغير .

أحداث الطفولة وآثارها فى الكبر

ويمكن ان نفهم السبب فى عصبية كثير من الاطفال ، اذا عرفنا أن الطفل يرمى من وراء هذه العصبية الى لفت الانظار اليه . ومن أمثال ذلك الاختلاج العصبى للجفون أو الحواجب أو زوايا الفم : سيخبرك الطفل انه لا يستطيع التحكم فى هذه الاختلاجات أو وقفها ، لانها تحدث من تلقاء ذاتها ، وعلى الرغم منه . ومن الطبيعى انه ليس فى وسع الوالدين أن يدركا أن هذه الاختلاجات تحدث لا اراديا ، لاجتذاب انتباه الوالدين أو المدرسين أو الاطفال الآخرين . فهى حيلة من حيل المرض العصبى .

والذى يجب عمله حيال ذلك ، هو أن نبصر الطفل بأصل هذه الانفعالات ، وما ترمي اليه ،ثم نفهمه أن هناك وسائل

أخرى أكثر جدوى واجتذابا للانتباه ، كالتفوق فى الدراسة أو الرياضة .

كذلك ترجع العصبية الناشئة عن خشية المريض من تفضيل الآخرين عليه ، الى مركزه أثناء الطفولة . ويذكر الدكتور « ادلر » ان الرجل الذى يصاب بالعصبية ، ويسيطر عليه الشعور بعدم الطمأنينة حينما يكون بصحبة الآخرين ، يحتاج الى أن ندرس ظروفه أثناء طفولته . وقد وجد ــ بعد التحليل المعتمد على ذكريات الوالدين ــ ان رجلا من هذا القبيل ، ذهب مع امه واخيه الذى يصغره الى السوق يوما ، فى صغره . وحدث أن انهمر المطر فجأة ، فبادرت الام الى وقاية ابنيها ، ولكن ارتباكها جعلها تحمل الطفل الاكبر ــ الذى كان فى الرابعة من عمره ــ وتترك الاصغر . فلما ادركت خطأها ، وفطنت الى أن الاصغر هو الاولى بأن تحمله ، تركت الكبير ، وحملت الاصغر . فاذا هذا التصرف يترك أثرا عميقا فى نفس الاول ، مما جعله يعتقد أن اخاه الاصغر مفضل عليه . وأصبح هذا التوجس يسيطر عليه فى كل مرة يجتمع فيها بالناس ، اعتقادا منه بأنه لابد أن يكون بين الجماعة من هو مفضل عليه . ولذلك كره المجتمعات خوفا من تكرار المساس باعتباره الذاتى .

والمريض بهذه التخيلات الطفلية يتصرف على أساس أن هناك خطرا حقيقيا . فهو يقاسى من الاضطراب المستمر الناشىء عن المخاوف الخيالية ، بدلا عن محاولة التعرف على المجتمع وفهمه على حقيقته .

لكل حالة أسبابها الفردية

لماذا يصبح الانسان عصبيا عند ما يكون مضطرا الى الاشتراك فى مناقشة عامة ، أو فى لعبة أو مباراة على مشهد من الناس ؟ ..

ان هذه العصبية ليست سوى دفاع ضد ما يحتمل من نقد . ويمكن أن يكون الشعور بالعصبية قويا عندما نحرص على وقاية تصرفاتنا من أى نقد . فلا نخطب أو نتكلم الا تلاوة ــ لا ارتجالا ــ لكى نطمئن انفسنا ونؤكد شجاعتنا .. وحتى اذا تذرعنا بالشجاعة ، وخضنا غمار المعركة ، ثم شعرنا بالعصبية أثناء تأدية دورنا ، فان هذا الشعور يرجع ــ فى الواقع ــ الى اننا نتقى أى انتقاد ، بأن نتخذ من الانفعال العصبى عذرا . بيد ان التحليل الدقيق للدوافع الحقيقية لمثل هذه التصرفات ، يبين بوضوح اننا وان كنا نميل الى الاشتراك فى النشاط الاجتماعى ، الا اننا ــ فى دخيلتنا ــ نوجس من ان نتعرض للنقد ، ونؤثر أن نحتفظ بعزلتنا وانطوائنا .

وبوجه عام ، لا سبيل الى الالمام بجميع العوامل المسببة للعصبية ، فليس من سبيل الا التحليل الشخصى لكل حالة فردية ، وتعرف العوامل التى تدعو الى اتخاذ الحيل المختلفة .

البحث عن العوامل النفسية

ومن أهم الواجبات التى يتعين على من يعانى القلق والعصبية أن يقوم بها ، دراسة نفسه أو تحليلها ..

والاسئلة التالية تساعد على ذلك ، اذا التزم الصدق والصراحة مع نفسه :

هل أخشى رأى الغير فى شخصى ؟

هل أصاب بقلق لا داعى له ، عند ما يلمع نجمى فى المجتمعات ؟

هل أؤدى العمل لمجرد العمل ولفائدته ، أم اننى أؤديه طمعا فى الجزاء والشكر ؟

هل يفت فى عزيمتى ويؤلمنى نقد تصرفاتى والتعليق عليها فى غير تحامل ؟

هل انا ممن يسهل استفزازهم واستثارة غضبهم ؟

هل أدت القسوة وسوء المعاملة ـ أثناء الطفولة ـ الى أن أصبحت تثيرنى تصرفات الناس معى ؟

هل تؤدى أخطائى ، أو مخالفاتى للآداب المرعية، او تذكرى لما ارتكبته منها فى الماضى ـ مثل الخداع وممارسة العادة السرية والحب المحرم والحقد على المجتمع ممثلا فيمن اكرههم من الاقارب أو الاصدقاء ـ الى ان اشعر بعدم الارتياح فى وجود الغير ؟

هل تؤثر عصبيتى فيما يواجهنى من مسئوليات جديدة ؟

هل يؤدى شعورى بالخجل من عيوبى الجسمية ، أو من المسائل الجنسية ، الى الانفعال العصبى ؟

هل يوجد فى عملى ما يؤدى الى الشعور بالعصبية، سواء من حيث موقفى من المرءوسين أو من الرؤساء ؟ وهل اشعر بعدم كفايتى للعمل ؟

هل أميل الى المبالغة في كبت انفعالاتى ؟ .. وهل يؤدى هذا الكبت الى التوتر العصبى ؟

هل تؤدى دراسة موضوعات معينة الى اصابتى بالعصبية؟ .. واذا كان الامر كذلك فما هى هذه الموضوعات ، ولماذا انفعل بسببها ؟

ما هى المواقف ، ومن هم الناس الذين يثيرون خوفى وعصبيتى بسهولة ؟ .. وما التأثر الذى يساورنى ازاء الاغراب ، صغارا أو كبارا ؟

الى أى حد يؤدى بى فشلى الماضى فى حياتى العائلية ، أو فى عملى ، الى العصبية خوفا من تكرار هذا الفشل فى المستقبل ؟ ..

هل اتخذ من عصبيتى ستارا أخفى خلفه حقيقة أغراضى فى تجنب المجتمع ، وفى تفادى النقد ، وفى التماس المبررات التى تبعدنى عن تحمل تبعات جديدة ؟

هل أشعر بالعصبية عند ما أوضع موضع الاختبار بقصد معرفة درجة كفايتى ؟

هل أعتقد أن هذه التصرفات العصبية امتداد لتصرفات الطفولة ؟ .. وهل ارى فيها مظهرا لعدم الرغبة فى التنازل عن كبريائى وعن الرغبة فى حماية ذاتى ؟

وقد تبدو هذه الاسئلة معقدة، وربما شعر الانسان بالميل الى تجاهلها..وفى بعض الحالات ــ التى يكون فيها التركيز حول الذات بالغا مداه ــ قد يعمد المرء الى اجابات خاطئة مضللة للنفس ، ولكن الاخصائى النفسى الذى تخصص فى

استجواب المرضى ، يستطيع أن يستدرج المريض الى الاجابات الصحيحة .

والذى يهمنا هنا هو أن هذه الاجابات لا غنى عنها للافادة من الدروس المؤدية الى العلاج .

العلاج الطبيعى للعصبية

ومن المعتقدات الخاطئة، أن الجهاز العصبى يؤدى وظائفه على أحسن وجه ، طالما كان العقل سليما . وقد أدى هذا الخطأ الى محاولة آلاف من الناس ممارسة علاج العقل ، ليتوصلوا الى شفاء العصبية ، دون أن يفوزوا بطائل . والواقع أنه اذا اختل الجسم ، فان الضرر لايقع على اعضائه وحدها، بل أن العقل والروح لايستطيعان ــ هما الآخران ــ أن يؤديا واجباتهما على الوجه الاكمل .

وكثير من الناس يعزون ما يعانون من امراض عصبية الى الوراثة ، أو الى اضطراب العصب السمبتاوى ، أو الى الغدد . والواقع أن عوامل الوراثة ، والعصب السمبتاوى ، والغدد براء من ذلك . بل أن العكس هو الاصح . فان الاضطرابات التى تنتاب غددك ، أو عصبك السمبتاوى قد ترجع الى ما تعانيه من اضطرابات نفسية . كما ان الاضطراب الذى يلم بمشاعرك كثيرا ما يؤدى الى اضطراب فى جهازك العصبى .

ومع ذلك ، فهناك عوامل عضوية من المؤكد انها تؤدى الى الاصابة بالعصبية . فاذا مهدنا السبيل للاصابة بـ « النورستانيا » ــ مثلا ــ فاننا نكون قد فقدنا رصيدنا

من قوة الاحتمال التى تمكننا من المقاومة. ولذلك كله فنحن فى حاجة الى وضع نظام طبيعى يصلح من شأن الجهاز العصبى . وهاك بعض عناصر هذا النظام :

تجنب الاطعمة والاشربة التى تسبب الحموضة والالتهابات ، كالافراط فى تناول اللحوم ، والاطعمة النشوية والسكرية .اذ ينشأ عن الاولى ظهور الحامض البولى ، وعن الاخرى التسمم بحامض الاوجزاليك .. ولا يقتصر ضرر المكيفات ـ كالشاى والقهوة والكحول ـ على زيادة الحموضة فى الجسم ، بل انها تحول دون خروج الاحماض من الجسم . لذلك يحسن الاستعاضة عنها بالماء النقى ، وعصير الفواكه والخضر الطازجة .

وبدلا من استهلاك كميات كبيرة من الخبز والفطائر ، يستحسن الاكثار من السلطات الخضراء . ولا تفيد الخضر المطبوخة الاشخاص المصابين بالاعصاب المنهكة المتهيجة ، ولذلك يجب انضاج الخضر بالبخار أو فى الافران ، فى أوعية من الفخار . وبذلك يمكن الافادة من الاملاح المعدنية ـ كالحديد والصوديوم والبوتاسيوم والجير وغيرها ـ التى تنقى الدم وتبنى أعصابا سليمة .

اعط جسمك نصيبا من الرياضة يوميا

ويجب أن توجه اهتمامك ـ بجانب الطعام ـ الى تمارين التنفس العميق ، كما يجب ان تمارس بانتظام التمارين البدنية ، والاستحمام ، والتدليك بالمنشفة ، وحمامات الشمس والهواء ، وان تداوم على ممارسة النشاط البدنى

فى الخلاء كلما أمكن .. وعلى العصبيين أن يتجنبوا أنواع النشاط الرياضى التى تتطلب مجهودا عصبيا وعقليا ، كالمبارزة بالسيف . وهؤلاء تفيدهم انواع النشاط الهين ، كالقفز والسباحة والالعاب التى لا تتطلب تنافسا شديدا بين اللاعبين .

ويفيد الاسترخاء العضلى العصبيين فائدة عظيمة. ذلك لأن الافراط فى القلق والخوف، يؤدى الى الافراط فى الطاقة . وعلى الذين يميلون الى الوحدة أن يفحصوا جهازهم العضلى فسوف يلاحظون ــ اذ ذاك ــ عضلات الفك المتصلبة، والعيون المحوطة بالتجاعيد ، وعضلات الرقبة والعمود الفقرى المتوترة ، والشفاه المطبقة كالفخ . لذلك يحسن أن تتيح لعضلات الرقبة والوجه والجذع أن تأخذ نصيبها من الاسترخاء ، بأن تستلقى على الفراش ، أو على الارض ، وتريح عضلات الجسم لتشعر بالنشاط والحيوية .. **(وقد قدم اليك « كتابى » طرق الاسترخاء ، فى العدد ٨٦) .**

وكثيرا ما يرجع فقدان الاعصاب نشاطها وحيويتها ، الى تقيح اللثة . فان التقيح المزمن يؤدى الى نوع من التسمم لا يصيب الفم وحده ، بل يتعداه الى سائر أعضاء الجسم . وكذلك الحال بالنسبة الى تقيح اللوزتين .

الغذاء والهواء والشمس من عناصر العلاج

واذا ما أصيبت المعدة بالمرض ، كان علينا أن نعمل على تنظيفها بالصوم، على ان يعقبه اتباع نظام دقيق فى التغذية . فبهذه الطريقة يتسنى ازالة التسمم الناشىء عن اخطاء

التغذية ، وتتحسن حالة الاعصاب تبعا للتحسن العام .

أما اذا ساءت حالة الاعصاب بسبب الاصابة بالانيميا ، فعلينا أن نتبع نظاما طبيعيا لتنقية الدم وامداده بما ينقصه من الحديد والهيموجلوبين والصوديوم . ويحسن أن نستمد الحديد والصوديوم من مصادرهما الطبيعية العضوية ، وليس من مصادرهما الكيماوية .. أى من الاطعمة ، وليس من الادوية . فهما يتوفران فى : الزبيب ، والكمثرى ، والفراولة ، والقراصية ، والتين ، والقمح ـ على أن لا تنزع عنه قشوره ـ والسبانخ ، والجزر ، والبنجر ، والبطاطس (بقشوره) ، والبازلاء ، والفول ، والزيتون الناضج ، وصفار البيض ، والجبن .

وحاجة المصابين بالعصبية والانيميا الى الهواء النقى وضوء الشمس ، كحاجتهم الى الطعام . فيجب أن يعيشوا ـ بقدر الامكان ـ فى الهواء الطلق والاماكن جيدة التهوية ، كما يجب أن يناموا فى حجرات مفتوحة النوافذ تماما فى الصيف ، ومفتوحة قليلا فى الشتاء ، وان يحرصوا على الحمامات الشمسية ، مع التزام القواعد الصحية لها .

العلاج بنفس الظروف التى خلقت الانفعال

هناك طريقة مفيدة فتحت أبواب الأمل أمام الذين يقاسون العصبية .. تلك هى طريقة الاستاذ « جون واطسون »، مؤسس مدرسة السلوكيين لعلم النفس بامريكا . اذ يعتقد الأستاذ « واطسون » أن الطفل يولد مزودا بنوعين من الخوف فقط ، هما الخوف عند سماع الاصوات العالية

المفاجئة ـ أى المزعجة ـ والخوف من فقدان الحماية .. وما عدا هذين من أنواع الخوف ، انما يكتسب من التجارب التى تخلق رابطة عقلية بين انفعالات الطفل وبين شىء معين ، أو انسان ، أو حادث .. فالطفل بطبيعته لا يخشى الكلاب مثلا ، ولكنه يتعلم الخوف منها ممن حوله ، أو من تعرضه لحادث .. كأن يعضه كلب شرس ، أو كأن يفاجأ بنباح كلب على غير توقع .

وقد نجح « السلوكيون » فى علاج الانفعالات العصبية المكتسبة .. ومن أمثلة ذلك أن جىء بطفل كان يبدى خوفا لرؤية الارانب البيضاء ، واحضر له الطعام ـ على صفحة مغطاة ـ فى موعد الاكل .. وفى الوقت نفسه ، احضر أرنب أبيض فى قفص مغطى ايضا ، ثم رفع الغطاءان معا .. وكانت الفكرة ترمى الى أن الطفل سوف يشعر بالغبطة ـ لرؤية الطعام ـ مقرونة برؤية الارنب . ووضع القفص فى بادىء الامر على بعد من الطفل ، عند حافة منضدة الأكل الطويلة .. وكان يغطى كلما ابدى الطفل خوفا أو رفض تناول طعامه .. ثم يرفع الغطاء ثانية ، بعد قليل .. وهكذا حتى تعود الطفل بالتدريج رؤية الحيوان ، ورضى بأن يتناول وجبته والارنب ملاصق له .

انه مثل عملى يوضح كيف يمكن التغلب على الخوف والقلق بمعالجتهما بأسلوب علمى .. ويعتقد أصحاب المدرسة السلوكية أن جميع أنواع الخوف ليست سوى مظهر نفسى ، أى انها ليست من عمل العقل أو الاعضاء الداخلية كالغدد أو المعدة أو الامعاء أو القلب ، وان كان الخوف الشديد

يؤدى الى اضطراب جميع هذه الاعضاء اضطرابا شديدا . وهم لذلك يعملون على تعويد الاعضاء احتمال الظروف التى اعتادوا أن يروها نذيرا بالخطر .

اعادة الانسجام بين العقل والاعصاب

والمبدأ الذى تقوم عليه مدرسة السلوكيين ، هو تغيير الاستجابة للمنبه الموجود ، حتى يتحول الانفعال الذى يغشى المرء ـ عند وجود المنبه ـ الى طمأنينة .. كما رأينا فى المثال السابق. ومن الممكن أن يطبق هذا الدرس العملى على الكبار الذين يراد علاجهم . مثال ذلك أن الشخص الذى يصاب بالعصبية عند الظهور أمام الجماهير ، يستطيع أن يغالب انفعالاته اذا أنمى فى نفسه أحد العوامل التالية :

١ ـ الرغبة الصادقة فى عرض افكاره على الجمهور .
٢ ـ الميل الشديد الى الاستئثار بانتباه الجمهور .
٣ ـ انتهاز الفرصة المتاحة للتعبير عن الذات .
٤ ـ اعتبار الحديث مجالا لتنمية ملكة الخطابة .
٥ ـ الدعوة لفكرة أو مبدأ يتحمس لنشره .
٦ ـ اعتبار المناسبة فرصة لتقوية الشعور الاجتماعى نحو الآخرين .

على ان هذه العوامل لا تكفى ما لم نمارسها بطريقة تكفل اشتراك الجسم والعقل والعاطفة . فنحن حين نشعر أو نفكر أو ننفعل، نفعل ذلك بكل كياننا وليس بجهازنا العصبى أو بعقلنا فحسب. . ولهذا كان من الواجب أن نحلل مخاوفنا

العصبية ، وأن نحلل اضطراباتنا العضوية ، ثم ننسق بين الفريقين لننعم بالهدوء .

ذكريات الطفولة والتجارب السابقة

وهناك أمثلة كثيرة تبين كيف أن ما يلقاه المرء من سوء معاملة فى طفولته، يؤدى الى ظهور أعراض الخوف العصبى . من ذلك أن شابا كان يعانى من نوبات فزع عصبية حادة . وبدراسة حالته وتحليل مخاوفه ، أتضح أن أباه كان يعامله بمنتهى القسوة والصرامة. وزاد حاله سوءا، أن مدرسيه كانوا يعاملونه بجفاء وخشونة . فلما كبر واضطر الى العمل ، أحيا اتصاله برئيسه الاستجابات القديمة للخوف ممن لهم سلطان عليه .. وقد استطاع أن يتخلص من علته عند ما تبين هذا . اذ أن مناقشة وتحليل الذكريات والتجارب القديمة ، يؤديان الى فهمها ، وبالتالى الى تخليص العقل الباطن منها ..

ومن الحالات العصبية الشائعة ، ما يصيب المرء من انفعال وهو يسعى للحصول على عمل . لقد رأيت مصابين يعانون مثل هذا الخوف عند التفكير فى المقابلة المنتظرة مع صاحب العمل ، الى درجة أنهم لم يجرؤوا على الاقتراب من مكان العمل ذاته . وفى معظم الحالات التى من هذا النوع نجد أن العامل الحقيقى واحد من العوامل الآتية :

١ ـ يخشى المريض بالعصبية أن يرفض طلبه ، ويشعر أن فى الرفض تحقيرا لا يحتمل .

٢ ـ يخاف أن يوضع موضع الاختبار .

٣ ـ قد يشعر فى قرارة نفسه انه لن يهنأ بهذا المركز بالذات، ولن يرتاح فيه . وهنا تكون العصبية وسيلة للتهرب .

٤ ـ قد يخاف أن تضيف الترقية المنشودة الى كاهله مسئوليات يحب أن يتهرب منها .

وعلى العصبى ـ فى مثل هذه الحالات ـ أن يحلل الخوف ويتعرف أسبابه ، ثم يواجهه . ومن المحتمل أنه سيستطيع تقصى آثار الطفولة ، كالتهرب من الاختبارات وتجنب المسئوليات والاحجام عن تأدية ما يجهله من الواجبات المدرسية ، وكذلك المخاوف التى كانت تساوره ـ فى طفولته ـ من مقابلة الاغراب أو ذوى السلطة عليه .

ولكى يتغلب المريض على عصبيته ـ فى هذه الحالة ـ يجب أن يحصر تفكيره فى الفوائد والمزايا المرتقبة من وراء الحصول على العمل الذى ينشده ـ من زيادة فى الدخل ، الى ارتفاع فى المكانة الاجتماعية ، الى اتساع المستقبل ـ الى درجة تجعل هذه الامور مسيطرة على عقله وتفكيره قبل المقابلة . وبدلا من أن يدع لخوف الفشل تأثيرا على تفكيره ـ أو أن يسترجع ذكريات فشل سابق ـ عليه أن يشغل باله بالاساليب التى يقنع بها صاحب العمل بأنه خير من يليق لملء المنصب .

فلسفة الهدوء

اذا سألت أحد ضحايا العصبية ، أو القلق العصبى ، عن الصفة التى يتمناها لنفسه ، لأجابك صادقا بأنه يريد

الهدوء .. يريد أن يتصف بالاتزان والتحكم فى الذات فى كل الظروف .. ولكن الهدوء ، والاتزان ، والتحكم فى الذات لاتأتى من تلقاء ذاتها ، وانما هى نتاج المحاولات المتكررة ، والاجتهاد ، والتضحية ، حتى يسيطر العقل الواعى على أى توتر يصيب المرء .

اننا نمهد السبيل أمام الطفل لتكوين عادة التهرب فى سنى طفولته الاولى ، حين يكون أشد تأثرا بما يحدث حوله . وذلك حينما نتساهل معه ، فيتولى أخوه الاكبر أو أبوه تأدية ما يعتبره هو صعبا من واجباته . مما يعوده التقاعس والتخاذل ، وينمى فى ذهنه الشعور الدائم بضعف الشخصية ، بدلا من حب السيطرة ومغالبة الصعاب .

وغالبا ما يؤدى الخوف من السخرية عند الوقوع فى الخطأ ، الى اصابة الناس بالعصبية . والخوف يجعل الانسان يشعر - فى مثل هذه الظروف - بكثير من التوتر فى محاولته تجنب هذه الاخطاء ، مما ينمى الوساوس ، والمغالاة فى محاسبة النفس ومراجعة العمل .. كذلك يؤدى عدم الاستعداد للمواقف الهامة الى الاصابة بالعصبية ، كما يحدث للخطيب الذى لم يستعد للموقف الخطابى ، وللطالب الذى لم يستعد الاستعداد الكافى لتأدية الامتحان .

وعدم القدرة على سرعة التكيف مع المواقف والظروف المستجدة ، ييسر الوقوع فى براثن العصبية . لذلك كان لزاما على العصبى - الذى يسعى الى الهدوء والاتزان - أن يستعد للمواقف ، وأن يدرب نفسه على سرعة التكيف معها اذا فوجىء بها على غير استعداد .

ومن المفيد أن يذكر الانسان نفسه دائما بقيمة الهدوء ،

وما يضفيه من الراحة والمتعة فى الحياة الاجتماعية ، وما يخلقه من شجاعة على مواجهة ما يتعرض له المرء من المشاكل والازمات .. كما ان شعورنا بعجزنا عن الاحتفاظ بالهدوء يجعلنا نرهب القيام بما يعرض علينا من واجبات .

واعتيادنا التأنى والتمهل يساعد على اكتساب عادة الهدوء ، ويساعدنا على تفادى الشعور بالهم وتأنيب الضمير فيما بعد .. أما الاسراع فى العمل ، والشعور بالتوتر اثناء تأديته ، فلا يؤديان الا الى الخطأ .

الترحيب بالمواقف المحرجة علاج للاحراج !

ويستفيد العصبى فائدة عظمى اذا اهتم بملاحظة أولئك الذين امتازوا بالهدوء والرصانة ، خصوصا فى المواقف التى تدعو الى الاثارة والهياج . وربما كان من المستحسن سؤال هؤلاء الناس عن سر سيطرتهم على أنفسهم فى مثل هذه المواقف ، فقد يكون فى جوابهم مايساعد المرء على اللحاق بهم . كما ان للعزيمة والاصرار أثرا كبيرا . واذا ظل الانسان متمسكا بالهدوء ، أمكنه فى النهاية السيطرة على أعصابه .. وكذلك اذا ركز كل اهتمامه فى العمل الذى يقوم به، انصرف عن اهتمامه بمشاعره ، ونعم بالهدوء والراحة .

ومن الحيل التى تساعد على راحة الاعصاب ، تمسك المرء بالهدوء ولو ظاهريا ، ومحاولة ان يتخذ من الاوضاع والصفات مايمكن ان يسبغه عليه الهدوء ، فيدرب نفسه على الاناة ، والتسامح ، والبشاشة ، وانبساط أسارير الوجه .. واذا عز عليه هذا التصور ، فليضع أمام عينيه

مناظر بعض المشاهير المعروفين بالهدوء فى المواقف الحرجة .. كذلك يمكن للمرء ـ اذا كان مضطرا الى القاء خطاب ، أو الاشتراك فى حديث ـ أن يتخيل نفسه وهو يؤديه على وجه مرض ، وقد سيطر على نفسه وأعصابه .

واذا كان شعور الانسان بالعصبية ـ عند الحديث الى الشخصيات الكبيرة، أو الى من هم أعلى منه مرتبة ـ راجعا الى بعض عقد النقص ، كان عليه أن يحلل هذه العقد لينقلها الى العقل الواعى ، وبذلك يزول أثرها . يضاف الى هذا، انه من الجدير بالذين لا تعتريهم العصبية الا فى حضرة المشاهير او أرباب الاعمال أن يتعمدوا مقابلة أكبر عدد من هؤلاء ، بدلا من التهرب منهم وتجنبهم .. وأحسن مايحول بين الانسان والشعور بالعصبية عند مقابلة هذا الفريق من الناس ، هو الاستعداد لهذه المقابلات استعدادا تاما . وبعد ذلك، يجدر بالانسان أن لايشغل ـ أثناء الحديثأو المقابلة ـ الا باتقان عرض الموضوع أو المسألة التى حددت المقابلة من أجلها .

ومن المستحسن أن يحل « الترحيب » محل « القلق » ، وبذلك يتعود الانسان استقبال الحرج والضيق على انهما فرص لاظهار مواهبه . وبعد أن يزن كل العوامل المتعلقة بالموقف ، يتخذ قرارا حاسما ، لان التسويف يضاعف الشك والعصبية .

كل انسان معرض للقلق العصبى

واذا لم يوفق الانسان برغم ذلك ، فعليه أن يذكر نفسه بأى شخص عرف بالهدوء والاتزان ، وأن يطلع على سير

العظماء الذين أبوا الاستسلام لليأس ، ثم يتجه الى العمل فى هدوء ليصلح ما فسد ، وللعمل ـ بقدر الامكان ـ على استعادة ما فقد .

ولا تلومن مزاجك اذا كنت سهل الاثارة ، لأن كل امرىء معرض لذلك . فالفلاحون الذين يعيشون فى القرى وعلية القوم الذين يسكنون المدن عرضة للاصابة بالقلق العصبى . ذلك لأن الضجر والخوف والاضطراب وما اليها من انفعالات ، ليست سوى عادات مكتسبة ، اتخذت شكل الصفات الراسخة .

ومن مبادىء فلسفة الهدوء اعتبار كل مايصيب الانسان من خير أو شر تجربة من تجارب الحياة . ولهذا نجد أن الاديان جميعا تحث على تقبل المحن بالجلد ، واعتبارها حافزا للتغلب على الصعاب .

وكثيرا ما يصاب الناجح بالعصبية ، بسبب خوفه من انعجز عن الاحتفاظ بما وصل اليه من بعد الصيت ورفعة القدر . وهذا يسوقنا الى القول بأن العصبى يكون ضعيف الشخصية عادة ، لانه يخضع لهواجسه وأوهامه بدلا من أن يقهرها ، وهو بهذا الخضوع يتيح للعقل الواعى أن يشتط ويستبد . وحينئذ يصير الشخص جبانا يخشى القيام بأى عمل خوفا من الوقوع فى الخطأ .

يضاف الى ذلك أن الذات كثيرا ما تسىء فهم الحقائق الثابتة . فهى غالبا ما تخطىء فهم الامور على حقيقتها .. لذلك يجب أن نقاوم فيها هذا الميل ، بأن ننقل اضطراباتنا الانفعالية من العقل الباطن الى ضوء العقل الواعى .

وأهم الاهداف فى حياة الانسان هو ذلك الذى يؤدى الى تخفيف حدة التوتر بين العوامل الداخلية المتضاربة ، كما يؤدى الى تقوية الثقة بالنفس . ولكى نحدد هدفا لنا ــ من هذا النوع ــ نحتاج دائما الى دراسة حياة الرجال والنساء الذين اشتهروا بالهدوء والجرأة والاعتماد على النفس ، لنعرف كيف وطد هؤلاء الناس أنفسهم على اختيار الهدف النافع .. وسواء كان هذا الهدف فى ميدان الخدمات الاجتماعية ، أو البحث العلمى ، أو ــ على الاقل ــ فى تكوين أسرة صحيحة سليمة .. والعمل دون هدف نافع ، يؤدى الى تبلد العقل واضطرابه ، والى انفعالات التهرب . وهى جميعا تؤدى الى الامراض العصبية .

الطريق الى الشفاء من العصبية

أما وقد بسطنا أسباب العصبية ــ أو القلق العصبى ــ والمظاهر النفسية والعضوية ، وأوضحنا ضرورة الفحص الطبى للجسم ، والتحليل النفسى لمشاعرنا وانفعالاتنا .. نخلص الى خير خطة عملية للشفاء من العصبية . وهى :

• **اعمل على أن تكون صحيح الجسم :** فاحتفظ بصحة عقلك وجسمك ، ليظل جهازك العصبى سليما . ولا جدال فى أن هذا عمل صعب ، ولكن دراسة النظم الحديثة للتغذية والرياضة البدنية ، والممارسة اليومية للنظم الصحية ، ستقضى على العوامل العضوية التى ربما كانت أساسا للاضطرابات العصبية .

• **ابتعد بحياتك عن العوامل العقلية والانفعالية التى تجعلك عرضة للاصابة بالعصبية :** فتجنب الاجهاد العقلى

بتنظيم أوقات العمل والراحة ، واكبح جماح المطامع التى تؤدى المبالغة فيها الى متاعب لا تنتهى .

• **اقض على أى شعور بالنقص :** وذلك بالحيلولة دون سيطرة المخاوف القديمة على العقل الباطن .

• **انظر الى الموقف الراهن على حقيقته الواقعة :** على ضوء معرفتك وخبرتك، وليس كما تصوره المخاوف الراسبة فى أعماقك من الطفولة .

• **لا تحط من قيمة أى عمل تقوم به :** فان تجاهل مشاعرك ، ومخاوفك يصونك من الاحجام عن مواجهة المواقف الصعبة . وضع نصب عينيك أن الشجاعة لا تكتسب الا عن طريق الثقة بالنفس . واذا كان شعورك بالنقص وما يتبعه من شعورك بالعصبية ناشئا عن حبوطك فى محاولتك ارضاء الناس وكسب تقديرهم ، فاستعض عنه بمحاولة اتخاذ هدف آخر أعظم قيمة وأعم فائدة .

• **لا تشتط فى منافسة الآخرين :** لأن ذلك يستلزم بذل مجهودات مضنية تؤدى الى التوتر .

• **لا تعتمد على أفكار غيرك لتصل الى راحة العقل :** والا فانك ستظل خاضعا دائما لآراء الآخرين ، بدلا من أن تتيح الفرص لانطلاق المواهب الكامنة فيك .

ولنكن صادقين مع أنفسنا ، فنعترف بأن عصبيتنا انما ترجع الى شدة اهتمامنا برفع ذاتنا وتعظيمها ، عن طريق اكتساب استحسان الغير لنا ، أو الى شعورنا بعدم أهليتنا لهذا الاستحسان ، أو خوفنا من أن نضع انفسنا موضع

التجربة أو الاختبـار .. والجبن هو المسـئول عن نصف حالات الاضطراب العصبى السائدة فى العصر الحاضر ، وهو يدفعنا الى الابتعاد بقدر الامكان عن الواجبات التى نهـاب القيام بها .. والمخاوف المصطنعة ، والاضطرابات العصبيـة، هى الحيل السرية المعروفة التى يلجأ اليها المرضى بالعصبية للابتعاد عن الواجبات والمسؤوليات الجديدة ..

هـذه هى الحقيقة .. وهى أيضـا بداية الطريق الى الشـفاء . فما دمنا قد عرفناها ، أصبح من الميسـور أن نعالجها .. فلنبدأ من الآن !



نساء ومآس فى ساحة العدالة

العشق الحرام !

للكاتب والمؤرخ الفرنسى : "روجيه ريجى"

عزيزى القارىء :

قدمت لك فى العددين (٨٤) و (٨٥) قصتين من القصص الحقيقة التى احتواها كتاب « نساء ومآس فى ساحة العدالة » .. وهى قصص انتقاها المؤلف من سجلات القضاء الفرنسى – فى مختلف العصور – ليبين كيف يستطيع «الحب» أن يحيل «الجنس الناعم» الى نقمة رهيبة ، وأن يحيل أجمل العاشقات الى قاتلة أو موحية بأشنع الجرائم ..

والقصة التى اخترتها لك فى هذه المرة ، تكاد تكون أعجب قصصه واطرفها .. وان كانت الغرابة والطرافة هما طابع كل قصة من قصص هذا الكتاب ، حتى ليعز على المرء ان يفاضل بينها .. على أن من المحقق ان تاريخ الحب والجريمة لم يحفل – يوما – بقصة كهذه القصة التى دارت حوادثها فى القرن السادس عشر ، وانتهت بضياع حياتى شقيقين من أجمل أهل زمنهما ، دون أن يملك أحد – حتى الملك هنرى الرابع ، صاحب السلطان المطلق – انقاذهما !

ان الحقائق التى وردت فى هذه القصة ، من النوع الذى يأبى العقل أن يصدقه ، ولو انها وردت فى سياق قصة خيالية ، لقيل ان الكاتب قد أسف وأسرف .. ومع ذلك ، فهى – كما قلت لك – « حقائق » وقعت فعلا ، وستلمس بنفسك مدى غرابتها ..

بيتان من الشعر فى مقبرة

• فى ركن من المقبرة الملحقة بكنيسة « سان جان أن جريف » ببلدة (تورلافيل) – باقليم (نورماندى) بفرنسا – يصادف المرء قبرين متلاصقين ، اقيمت عليهما لوحة واحدة ،

لم تحمل ما ينم عن شخصيتى صاحبى القبرين .. كل ما حملته تمثل فى بيتين من الشعر :

« هنا ثوى الاخ واخته ،

« فلا تسل ، أيها العابر ، عن سبب موتهما ،
« بل احن الرأس خاشعا ، ودع السر دفينا ،
« وامض فى طريقك .. سائلا لروحيهما الرحمة » !

ولكن النفس البشرية جبلت على الفضول .. وهذان البيتان الغامضان خليقان بأن يحفزا كل من يراهما على البحث والتنقيب .. وما أغرب المأساة التى ينجلى عنها نبش الماضى !

تاريخ مخضب بالدماء

• فى بقعة من أجمل بقاع اقليم (نورماندى) بفرنسا ، وبين مدينتى (شربورج) و (فالونى) ، ترى حتى اليوم معالم قصر سادة (تورلافيل) ، الذى مرت عليه السنون وهو صامد فى مكانه ، وقد ضم جوانحه على مأساة من أغرب المآسى .. بل ما أكثر المآسى التى شهدها هذا القصر ، مذ أقيم على أطلال قلعة اقطاعية قديمة ، وعمرته أسرة انحدرت من سلالة فارس كان من رفاق « جان دارك » فى حصار (أورليان) ، وفى معركة (باتاى) ! .. أسرة عرفت بغرابة أطوارها ، وتأجج عواطفها وشهواتها ، حتى لتروى عن كثير من أبنائها قصص تكاد تبلغ مبلغ الخيال .. قصص عن سطو على أعراض ، وقصص عن تعذيب وفظاعات ، وقصص

عن اغتيالات سافرة وجرائم خفية .. تاريخ حافل بالقسوة والدماء !

هكذا كانت سيرة الاسرة عندما آلت زعامتها الى « جان دى رافاليه» ، وزوجته «مادلين ديلا فينى» ، فى عهد لويس الرابع .. فى أواخر القرن السادس عشر .

أصغر الاخوة .. وكبرى الاخوات

• **ولقد** عاش الزوجان فى دعة وهناء : الزوج منصرف الى رعاية أراضيه ، واستثمار الغابات الملحقة بها .. والزوجة توزع وقتها بين العناية بصغارها العديدين ، وبين قراءة القصص ، وممارسة الموسيقى والرسم .. وكلاهما يجد مجتمعه المفضل فى الاسرة التى اشتركا فى تكوينها ، والتى كانت تتألف من سبعة أبناء : أربعة من الذكور ، وثلاث من الاناث .

ولم يكن فى الابناء السبعة ما يميزهم عن سواهم من ابناء الاسرات الراقية ، ولا ما يوحى بأن القدر قد أعد لهم أكثر مما أعد لأندادهم من بنى طبقتهم . **ومن ثم فانه لم يخطر ببال أحد أن التاريخ كان يرمق أصغر الصبية وكبرى البنات بنظرة خاصة ، وقد افسح لهما بين دفتى سجله فراغا شاء أن يختصهما به !** . كل ما لاحظه الأبوان ، هو أن «جوليان» و «مرجريت» قد أبديا ــ منذ صغرهما ــ تعاطفا وودا قربا بينهما ، فاذا كل منهما يختار الآخر زميلا ورفيقا ، دون بقية الاخوة .

ومع أن أربع سنوات من العمر كانت تفصل بينهما ـ اذ كان الاخ يسبق اخته فى العمر ـ الا انهما كانا من التشابه فى الميول والآراء والاذواق، بحيث أصبح كل منهما يستطيب صحبة الآخر . وقد أخذ التقارب بين الشقيقين يزداد ، وهما يدرجان معا فى مدارج العمر ، حتى باتا ينأيان عن صحبة اخوتهما لينفردا فى ركن قصى أو غرفة نائية ، فيقضيان الوقت فى مسامرة ، ولعب ، وضحك ، وقبلات .

وكان الابوان يرمقان هذا الود بين كبرى بناتهما وأصغر ابنائهما فى اغتباط ، ويشجعانهما ، ويحترمان حبهما للعزلة، حتى لقد سمحا لهما بأن يغيرا من نظام حجرتيهما امعانا فى الحرص على أن يكونا متلازمين دائما ، فجعلا من احدى الحجرتين مخدعا مشتركا لهما ، واتخذا الاخرى مسرحا لجدهما ولعبهما ، فهما يقضيان فيها أوقاتهما ، ويمارسان بين جدرانها هواياتهما المحببة .

فراق وعهود بين الشقيقين

• **ومضت** السنون ناعمة هادئة ، حتى تجاوز الصغيران مرحلة الطفولة ، فتفتح جمالهما ، وتجلى حسنهما .. ومن عجائب المصادفات ، أن الشبه كان وثيقا بينهما ، حتى لقد كان من العسير أن يميز أحد أيهما الغلام وأيهما الصبية ! .. فقد كانا سواء فى دقة القسمات ، ولين الاعطاف ، ورقة البشرة ، وشقرة الشعر ، وامتشاق القوام .. وهكذا كانت الطبيعة تأبى الا أن تقرب بينهما فى كل شيء !.. وقد شاع هذا عنهما ، حتى كان مثار عجب أهلهما ، وخدم القصر ،

وأصدقاء الاسرة واعجابهم ! .. ولم يزدهما هذا الاعجاب الا تلازما ، وتعلقا .. كل بالآخر .

وفى صيف سنة ١٥٩٤ ، بلغ « جوليان » الثانية عشرة من عمره ، فرأى أبوه ان الوقت قد حان لاعداده للمستقبل اللائق به ، وقرر أن يوفده الى (كوتانس) ليلتحق بمدرسة راقية فيها ، كما فعل أشقاؤه من قبله .

وكان لهذا القرار وقع أليم على قلب الغلام واخته . اذ رأيا فيه نذيرا بالفراق ، فهلع قلباهما ، وانقلبت أحاديثهما — فى خلواتهما — الى شكوى وتمرد ، وتحول ضحكهما الى بكاء ونواح .. **ولعل وقوفهما على أعتاب المراهقة قد أوحى اليهما بشىء من خيال العشاق ، فتعاهدا على أن يبقى كل منهما وفيا للآخر لا ينساه ، ولا يشغل عنه بصديق من جنسه أو من الجنس الآخر !**

حتى اذا حانت ساعة الوداع ، تعلقت « مرجريت » بعنق شقيقها ، وطبعت على وجهه قبلة بثتها من الحرارة فوق ما كان يحتمل أن تنطوى عليه جوانح فتاة مثلها — فى الثامنة من عمرها — حتى لقد اضطربت مشاعر الغلام كما لم تضطرب فى أى يوم من الايام !

أشعار وقصص غرامية

• **ورحل** « جوليان » ، الى حيث بدأ حياة الدرس والتحصيل .. بينما انصرفت « مرجريت » بدورها الى الاخذ عن أمها بأصول القراءة ، والموسيقى ، والرسم ، وكل ما يليق ببنات النبلاء أن يحصلن عليه من أسباب المعرفة ..

على أن ميلها الى القراءة كان أقوى وأشد منه الى بقية الفنون وفروع العلم .

ولم تلبث أن استولى عليها شغف بقراءة الاشعار والقصص الخيالية ـ التى كانت شائعة فى تلك الايام ـ لا سيما الغرامية منها .. فلم تكن تشغل عنها الا بالخطابات التى راحت تتلقاها من شقيقها «جوليان» بانتظام ، فكانت تتلوها مرارا ، ثم تعكف على الرد عليها . وبين خطاب وخطاب ، كانت تتسلى بقراءة الخطابات السابقة ، التى كانت تعنى بالاحتفاظ بها فى حرص واعتزاز .

وأشفق الابوان على « مرجريت » من الأسى الذى استولى عليها منذ رحيل « جوليان » ، فراحا يسريان عنها ، ويحاولان أن يصرفاها عن الامعان فى التفكير فى العزيز الغائب ، وهما قريران بأن يكون بين اثنين من أبنائهما كل هذا الود والوفاء !

وانقضت سنوات أربع على هذه الحال ، أتم فيها «جوليان» دراسته فى مدرسة (كوتانس) ، وآن له أن يعود الى (تورلافيل) ، ريثما يرى أبوه رأيا فى المرحلة التالية من مراحل الدراسة .. **وكان قد أصبح فى السادسة عشرة من عمره ، شابا باهر الجمال ، موفور الفتنة ، تتطلع اليه انظار الحسان فى لوعة ورجاء ..** ولكنه ظل منطويا على نفسه ، عازفا عن المجتمعات ، بعيدا عن الغواية .

أما « مرجريت » ، فكانت قد بلغت الثانية عشرة ، ولكن نموها المبكر كان يسبق سنها ، فالتف عودها ، وبرزت مفاتنها ، وفاق جمالها كل ما كان عارفوها يتوقعون !

أحاديث الزواج وأخطار المراهقة

• **ولم تكن** الزيجات المبكرة بالشىء النادر فى ذلك العهد . كما ان الاساس الاول للزيجات ، كان يقوم - فى أغلب الحالات - على المصلحة ، وعلى رغبة الاسرات النبيلة فى أن توثق علاقاتها ، وتعزز نفوذها ، عن طريق المصاهرة . لذلك بدأت تشيع فى أحاديث الاسرة أقاويل عن زيجات ملائمة لمرجريت ، لاسيما وأنها كانت كبرى بنات والديها . ولكن الفتاة كانت تقول ، كلما اتخذت هذه الاقاويل اتجاها جديا : « لقد عقدت العزم على ان لا اتزوج اطلاقا ! »

وماكان أبواها ليحملا هذا القول منها على أكثر من انه لون من ألوان خفر العذارى وخجلهن ، لاسيما وانها لم تكن تبدى سببا لهذا العزم منها .. لذلك مضيا فى استعراض من كانوا يليقون للزواج من ابنتهما ، وفى دراسة كل عرض - فى هذا الصدد - دراسة جدية .. بيد أن الفتاة ظلت منصرفة عن دراساتهما هذه ، بل انها ازدادت انصرافا منذ عودة « جوليان » ، فعادت صلاتهما السابقة ، وخلواتهما ، وتعلق كل بالآخر ..

ولكن السيد « دى رافاليه » وزوجته ، لم يلبثا أن فطنا الى الاخطار التى بدأت تحف بهذه العلاقة بين الشقيقين .. **أخطار بحكم السن ، وقد أصبح الاثنان فى وقدة المراهقة .. وأخطار بحكم الخيال والمشاعر التى كانت تلهبها لدى اليافعين تلك الروايات والاشعار العاطفية التى أقبلا على قراءتها .**

وراح الابوان يراقبان ابنيهما عن كثب ، حتى اذا اشتد لديهما الشك ، رأيا أن الحذر أولى ، وأن من الخير أن يباعدا بين جوليان ومرجريت من جديد .. ومن ثم قرر السيد « دى رافاليه » ايفاد ابنه الى باريس ، ليدرس اللاهوت وفقه الدين ، فى كلية « نافار » . فقد كانت المراكز الكنسية ــ فى ذلك العهد ــ مرقاة الى أعلى مناصب الدولة .. وكان لرجل الدين سلطان كبير فى عالم الحكم والسياسة والشئون الدنيوية .

أما الزواج .. واما الدير !

• **وجزع** الشقيقان لهذا الفراق الجديد ، وكانت لوعتهما ــ فى هذه المرة ــ تفوق لوعتهما فى المرة السابقة بمراحل . وبرح الاسى بمرجريت ، ولكن جوليان لم يجد مندوحة من الرضوخ لرغبة والديه ، فما كان ثمة سبيل للمراوغة أو للتمرد .. ومرة أخرى ، تبادل الشقيقان العهود على أن يحتفظ كل منهما بوفائه للآخر ، **وعلى أن لا يشغل عنه بود صديق من أى الجنسين ، الى أن يقدر لهما أن يتغلبا على حكم الظروف ، وأن يعودا الى اللقاء !**

وفى أواخر سنة ١٥٩٩ ، رحل « جوليان » الى باريس مزودا بالتوصيات الى اصدقاء ومعارف الاسرة من أهل العاصمة . وسرعان ما اندمج فى سلك الدراسة ، فأبدى من الجد والذكاء ما جعله موضع رعاية اساتذته واعجاب زملائه . بيد أن شيئا لم يشغله عن العهد الذى قطعه لشقيقته الحبيبة ، فكان يغالب شوقه اليها وأساه لبعدها ، بتبادل

الرسائل معها ، وقد اتخذا لهما رسولا خادما من خادمات القصر ، كانت شديدة الوفاء لمرجريت .

وفى اوائل العام التالى تلقى « جوليان» خطابا من أخته أثار قلقه واضطرابه . **فقد روت له « مرجريت » ـ فى هذا الخطاب ـ انباء زواج أصر والداهما على أن يفرضاه عليها ..** وقد انذراها بأن يلحقاها بأحد الاديرة ، لتعيش رهينة جدرانه ما بقى لها من عمر ، اذا هى أبت الا أن تمضى فى رفضها وابائها . واختتمت الفتاة رسالتها بأنها لم تكن ترى ـ ازاء هذا الوعيد ـ بدا من الرضوخ والانصياع .

« عريس » كهل .. ولكنه غنى !

• **ولو أن** اختيار الوالدين كان قد وقع على شاب جميل المحيا ، لكان من المحتمل أن يبدو الزواج مقبولا ، وان ينفسح الرجاء فى أن تقرب المعاشرة بين قلب الفتاة النافرة ، وقلب هذا الزوج المفروض عليها .. ولكن القدر شاء الا أن يكون « جان ليفيفر » ـ الذى ارتضاه الوالدان لمرجريت ـ رجلا على النقيض تماما من الفتاة ، وبالتالى من « جوليان » ـ ألم نقل أن الشقيقين كانا شديدى الشبه ، أحدهما بالآخر ؟

كان « ليفيفر » بعيدا عن الجمال ، موشكا على توديع مرحلة الشباب ، اذ كان فى الخامسة والاربعين من عمره !

وانما أغرى الوالدين باختياره زوجا لابنتهما ـ التى كانت فى الثالثة عشرة من عمرها ـ انه كان واسع الثراء .. كان سيد ضيعة (أوتبيتوا) ، وصاحب الحق فى تحصيل الضرائب من أهل (فالونى) .. فقد كان لبعض سادة الاقطاع ـ فى ذلك العصر ـ حق فرض الضرائب وتحصيلها

فى المقاطعات التى أوتوا السيادة عليها . وما كان الوالدان ليرجوان لابنتهما زوجا خيرا من هذا ، يكفل لها مكانة رفيعة، وسيادة ، وثروة تهيىء لها مستقبلا طيبا .

وكان أول ما خطر ببال « جوليان » ـ حين بلغه هـذا النبأ ـ أن يسارع الى (تورلافيل) ، ليعارض هذا الزواج، ويقف الى جوار « مرجريت » فى وجه والديهما .. ولكنه ادرك أنه لا قبل له بأن يتمرد على سلطان أبيه . ولعله شعر بأن ليس فى وسعه أن يهيىء لاختـه الحبيبة مستقبلا خيرا من هذا الذى أعده لها ابوهما ، فلم يلبث أن رجع عن عزمه وتهوره، وآثر أن يلوذ بالصمت، وأن يرتقب تطور الاحداث، وليس له من عزاء سوى البكاء !

العروس السجينة فى مخدعها

• **وسرعان** ماأعلنت الخطبة، ووقع السيد «دى رافاليه» عقد الاتفاق مع صهره المختار ، اذ كان الزواج يعزز ــ فى تلك الايام ــ بعقد يضم الشروط المتفق عليها .. كأنه صفقة تجارية .

وفى شهر يونيو من ذلك العام ، انتقلت « مرجريت » الى قصر « جان ليفيفر » فى (فالونى) ، لتبدأ حياتها الجديدة .. الحياة التى كانت كارهة لها من البداية ! .. ولا يدرى أحد ما جرى بين الزوجين ــ غير المتـكافئين ــ فى ايامهما الاولى ، ولـكن بوادر عدم الوئام لم تلبث أن ظهرت جلية لكل من فى القصر ، فلم يعد أحد يجهل أن الزواج لم يـكن موفقا .

وزاد الامر سوءا ، أن « جان ليفيفر » لم يقدر صغر سن عروسه ـ ولو بالنسبة الى سنه هو ـ ولم يرع ما كانت عليه من جهل بشئون الحياة ، ومن عدم خبرة ، ونقص حكمة .. وبدلا من ان يترفق بها ، وهو الذى كان فى سن أبيها ، أبدى لها من القسوة ما قلب نفورها الى كراهية زادها تغلغلا فى فؤادها أنه كان شحيحا ، مستبدا برأيه ، شديد الرقابة عليها . **فان الفارق الكبير بين عمره وعمرها لم يوح اليه الا بالشكوك والغيرة ، فراح يحصى عليها حركاتها وسكناتها !**

واذ اشتد العناء بمرجريت ، أوحى اليها العجز والقنوط أن تضن بجسمها ـ وليس بقلبها فقط ـ كمظهر للتمرد على هذا الزوج المستبد . ولكن لياليهما الاولى كانت قد خلفت ثمرتها . فلم ينقض عام حتى وضعت مرجريت ـ فى اغسطس سنة ١٦٠١ ـ طفلة . ولكن مولد الطفلة لم يغير من معاملة « جان ليفيفر » لعروسه ، بل انه ازداد تعسفا ، حتى أصبح يمعن فى ايذائها وتعذيبها . وتطورت شكوكه وغيرته ـ ازاء تمنعها عليه ـ فسجنها فى مخدعها ، وأحكم اغلاق الابواب دونها .

شائعات فى القصر الكبير

● **وانقضى** عام آخر ، انهارت فيه « مرجريت » فلم تعد تقوى على الاحتمال ، ولا على المقاومة . ولكن هذا لم يكن يمنعها من أن تفكر فى الخلاص من هذا السجن الرهيب ، فراحت ترسم الخطة وتحكمها .. الى أن سنحت لها الفرصة

دات يوم، فهربت من القصر ، ورحلت الى ابويها، تناشدهما أن يحمياها من جور زوجها وتعسفه .. وكان لابد لقلبى الابوين من أن يلينا ، اذ رأيا ما حل بابنتهما من سقام ، وأسى ، وذلة .

وكان « جوليان » قد عاد بدوره الى قصر والديه ، بعد اذ مل الدراسة ، فقنع بما حصله من علم ، وآب الى مقر والديه ليعيش فى فراغ وجدة ، شأن أبناء علية القوم .

وما أن التقى الشقيقان ، حتى استأنفا تقاربهما وتعلق كل منهما بالآخر، اذ لم ينل الفراق ولا الزواج من عواطفهما. بل ان الاحداث التى مرت بمرجريت ، والتعاسة التى عانت وطأتها ، زادت من حرارة العواطف المتبادلة بينهما ، فكثرت خلواتهما ، وأمعنا فى النأى عن بقية أفراد الاسرة .. **وبدأت الشائعات تسرى همسا فى القصر الكبير ، لا سيما حين زعم أحد الخدم أنه فاجأ الشقيقين — فى مخدع مرجريت — وقد تعانقا فى وجد يفوق كل ما كان ينبغى أن يقوم بين أخ وأخته !**

وازداد جو القصر اكفهرارا ، حين أرسل الزوج المهجور الى السيد « دى رافاليه » ينذره بأنه لن يتورع عن أن يتهم زوجته بالخيانة والهجران ، وان يرفع الامر الى مجلس البلاط الملكى — بوصفهما من النبلاء — اذا لم تعد «مرجريت» منصاعة ، ذليلة ! .. ولم يكن عجيبا أن يجزع الاب من الوعيد ، فان مثل هذا الاجراء كان خليقا بأن يثير فضيحة تكتنف اسم اسرته ، ولو قضى مجلس البلاط لصالح ابنته .

فى حمأة الحب المحرم

• **وأيقن** الشقيقان العاشقان من أن بقـاءهما فى القصر كان كفيلا بأن يحرم كلا منهما من الآخر مرة أخرى ، وربما الى نهاية العمر .. وقررا ـ فى هذه المرة ـ أن يعيش كل منهما للآخر ، وأن لا يدعا قوة تفرق بينهما ،**فلم يترددا فى أن يخرقا كل شرعة وعرف ، وفى أن يقطعا كل صلة رحم ، وفى أن يتخلصا من كل قيد يقف حائلا دون بقائهما معا !**

وفى احدى الليالى الداجية ـ من شهر ديسمبر ـ تسللا على صهوتى جوادين ، وانطلقا نحو مقاطعـة (بريتانى) .. وبعد أيام قضياها فى الرحيل، متجشمين كل عناء لكى يلتزما الطرق غير المأهولة ، استطاعا أن يبلغا بلدة (فوجير) ، وأن يستأجرا غرفة فى نزل البلدة .

واذ اطمأنا الى انهما قد قطعا كافة الاسباب بينهما وبين الماضى، كما خيل اليهما، تركا لعواطفهما العنان ، كى تكشف النقاب عن حقيقتها ، وكى تسفر عن واقعها .. **وعاشا معا كما يعيش أى عاشقين !**

وسرعان ماشعرت « مرجريت » بأن علاقتهما المحرمة ، قد أودعت فى جوفهـا بذرة ثمرة لن تلبث أن تنضـج على مر الايام !

ولكن ، هل تراهما أحسا بأية سعادة ، وقد أطلقا العنان لهواهما ؟

لقد كان خليقا بالخوف من اكتشـاف امرهما ـ أن لم نطمع فى يقظة ضميرها ـ أن يعكر عليهما صفو حياتهما

الجديدة ، وان يقض عليهما هناءهما .. ولكن الواقع كان على النقيض من ذلك تماما . ولعل كبتهما للمشاعر ـ التى كانا يدركان أنها محرمة ـ جعلهما أكثر إندفاعا فى غيهما ، فراحا يدوسان كل واجب ، وكل قانون خلقى ، وكل شريعة دينية !

من مجلس البلاط الى محكمة الجنايات

• **وفى تلك** الاثناء ، لم يكن « جان ليفيفر » قد تخلى عن غيظه من مسلك زوجته ، وحقده عليها ، لا سيما وقد بدا جليا انها تحدته بفرارها من سجن قصره ، ثم من قصر أبيها .. فاشتدت رغبته فى أن يثأر لكرامته . ولم يقنع بأن يرفع الامر الى مجلس البلاط ، بل انه استعدى سلطات البوليس على زوجته ، حتى لا يدع سبيلا الى نفوذ حميه كى يخفف من وطأة اجراءات البلاط ضد الزوجة الناشز .

وما ان استشرت الشائعات ، التى كانت قد انبعثت همسا ـ فى بادىء الامر ـ من قصر (تورلافيل) ، حول العلاقة بين الشقيقين ، حتى أصبح « جوليان » هو الآخر مطلوبا .. **واتخذ اهتمام السلطات بالقضية اتجاها آخر ، وقد تبدت خطورة الامر ، فاذا به لم يعد من اختصاص مجلس البلاط ، وانما أصبح من اختصاص محكمة الجنايات .**

وتناهت الانباء الى العاشقين ـ فى مكمنهما بمقاطعة (بريتانى) ـ بعد ستة أشهر ، فراحا يتدبران أمرهما . ولم يجدا مناصا من أن يهربا من جديد ، وأن ينشدا مخبأ آخر

.. وخيل اليهما انهما ما كانا ليجدان مخبأ أكثر أمنا من (باريس) ذاتها ، لسعة رقعتها ، وكثرة سكانها ، و .. لسبب بديهى بسيط ، هو أن أحدا لن يخطر بباله أن يكونا من الجرأة بحيث يقيمان فى العاصمة !

جواسيس الزوج وراء العاشقين

• **وهكذا** انطلق العاشقان الهاربان الى (باريس) ، فبلغاها فى ٧ سبتمبر سنة ١٦٠٣ . وهبطا على نزل « سان لو » ، بشارع (سان دينى) ، على مقربة من كنيسة ودير خيل اليهما أن بوسعهما أن يلوذا بهما، وان يلجآ الى حماهما فى ساعة الخطر ، جريا على تقليد كان متبعا فى الماضى ، وكان يبيح للكنيسة أن تغيث أى لاجىء اليها ، فلا تقوى يد السلطة المدنية على أن تمتد اليه .. وغاب عنهما أن هذا التقليد كان قد عفى عليه الزمن ، وانه ما كان لينطبق عليهما ــ ولو لم يكن قد ألغى ــ **لان الجرم الذى ارتكباه ، كان أشد شناعة فى نظر السلطات الدينية منه فى نظر السلطات المدنية .. فقد كان اجتراء على كل شريعة مقدسة !**

ولكنهما لم يطمئنا تماما الى موقفهما ، فشاءا أن يضاعفا من حيطتهما، وأن يمعنا فى تضليل مطارديهما. ومن ثم قررا أن لا تبرح «مرجريت» الغرفة ــ لا سيما وأن الحمل أصبح يثقلها ــ وأن يحرص « جوليان » على التنكر كلما اضطر الى الخروج .. ثم رأى الشاب ــ فى الليلة التالية ــ أن من الافضل أن لا يقيما معا فى نزل واحد ، فانتقل الى نزل

« بيتى بانييه » ، بشارع (تيرشاب) .

ولكن هذه الاحتياطات جميعا لم تكن مجدية ، فان الزوج الحاقد الغاضب ، لم يأل جهدا فى السعى لارضاء شـهوته الى الانتقام ، حتى انه لم يقنع بالجهود التى كانت السلطات تبذلها ، بل أطلق عيونا من لدنه تتجسس أنباء الشقيقين العاشقين. واستطاع أن يستدل على المكان الذى كانا يقيمان فيه ، فى (فوجير) . ثم استطاع جواسيسه أن يعرفوا أن الشابين قد بارحا تلك البلدة الى (باريس) .. وما لبثوا أن اهتدوا الى مخبأهما فى العاصمة .

تتهم بريئا للتخلص من مأزقها

• واسرع « جان ليفيفر » الى (باريس) ليقدم شكوى جديدة ، حدد فيها الوكرين اللذين لاذ بهما غريماه .. ولم يتطلب الامر أكثر من ايفـاد ضابط وأربعـة من الجنود ، لاعتقال الشقيقين ، فاقتيدا الى (الجران شاتيليه) ، حيث ابتدأ التحقيق معهما .

ولم يكن من المرتقب أن يستغرق التحقيق وقتا طويلا فان «جان ليفيفر» كان قد اتخذ للامر عدته، وحشد أكبر عدد من الشهود. ولكن غريميه كانا قد وطدا العزم على أن يدافعا عن نفسيهما، ما استطاعا الى ذلك سبيلا . وأصر «جوليان» على أن موقفه من شقيقته لم يكن سوى موقف الاخ الذى أشفق على أخته من المعاملة القاسية التى كانت تلقاها من زوج تجرد من كل شعور انسانى .. وأصرت « مرجريت » بدورها على انه لم يكن بينها وبين شقيقها سوى ما يكون

عادة بين أى شقيقين !

غير انه كانت ثمة قرينة لا سبيل لدفعها ، لسوء الحظ .. قرينة مادية ، ثابتة ، لم يعد من سبيل الى الخلاص منها . اذ ان الجنين الذى كان فى احشاء « مرجريت » ، بات وشيك النزول الى الحياة .. **وكانت الادلة والتواريخ تثبت ان من المستحيل ان يكون « جان ليفيفر » أباه .. فكيف يتصرف العاشقان ؟**

وفى غمرة اليأس والحيرة ، أقدمت «مرجريت» على حيلة جديدة لدفع الشر عن اخيها، وليس عن نفسها . فلم تتردد فى أن تضحى بسمعتها وكرامتها ، ولم تتورع عن أن تتهم بريئا بوزر أخيها . اذ زعمت أن الوليد كان ثمرة علاقة انساقت اليها — فى لحظات جمحت بها عواطفها خلالها — مع صانع للازياء فى بلدة (تورلافيل) يدعى «روبير آنييه» . ونسج خيالها قصة حب طريفة ، ادعت فيها انها كانت تلتقى بذلك الشاب فى الغابات المحيطة بقصر أسرتها !

ثمرة الحب المحرم

• **وبدت** القصة معقولة للمحقق ، وان لم تكن مما يليق بابنة اسرة عريقة من سادة الريف . على أن المحقق لم يكن فى موقف الواعظ أو اللائم ، وانما كان كل همه منصرفا الى البحث عن القرائن التى تجلو غوامض القضية ، وتصل بها الى نهاية يتدبرها القضاة . لذلك أصدر أمره بالقبض على « آنييه » فى بلدته ، واحضاره الى (باريس) .

وفى ٢٥ سبتمبر ، وضعت « مرجريت » طفلها ، فانتزع

من أحضانها ، وفقا للتقاليد التى كانت متبعة فى السجون اذ ذاك . وأودع فى أحد الاديرة ، لتكفله الراهبات .

ولما كانت مرجريت شابة موفورة الفتوة ، فانها لم تلزم الفراش طويلا بعد المخاض . ومن ثم فقد تسنى استئناف التحقيق فى أوائل شهر نوفمبر . وقدر لجوليان و مرجريت أن يلتقيا فى أحدى المرات ، وهما فى طريقهما الى المحقق ، فجددا العهود والمواثيق على أن يذود كل منهما عن الآخر ما استطاع ، وأن يتحمل فى سبيل ذلك كل ما قد يصب عليه من ألوان العنف والتعذيب .

الزوج يتدخل فى اللحظة الاخيرة

• **ولم** يستطع المحقق أن يفوز من صانع الازياء المسكين بطائل ، فقد أصر الشاب على دفع الاتهام عنه فى حرارة واستبسال الموقن من براءته . ورأى المحقق أن الغموض عاد يكتنف القضية من جديد .. وفى غمرة الحيرة ، لجأ الى ما كان شائعا — فى ذلك العهد — من تعذيب لانتزاع الحقيقة من صدور المتهمين . وجمع الشقيقين وصانع الازياء فواجه كلا منهم بالآخرين ، ثم أمر بتعذيبهما الى أن يعترف أحدهم بالحقيقة كاملة .

وارتجفت أوصال « آنييه » البائس ، ولكنه لم يكن يعرف شيئا عن الموضوع حتى يعترف به .. بل أنه لم يكن يعرف عن « مرجريت » أكثر من أنها كانت ابنة سيد المقاطعة ، وما كان لمثله أن يطمع فى حبها ، ولو فيما بينه وبين نفسه .

أما الشقيقان ، فان مرأى الجلاد وأدوات التعذيب لم يزدهما الا تجلدا وصمودا . والتفت كل الى الآخر يشجعه فى صمت كان أبلغ من كل كلام ! .. وانتظرا - فى رباطة جأش - أولى عمليات التعذيب . ولكن « جان ليفيفر » تدخل فى اللحظة الاخيرة ، وقد أدرك أن أية قوة لن تستطيع أن تحمل الشقيقين العنيدين على الاعتراف . وكان القانون يعفيهما - اذا لم يعترفا تحت وطأة التعذيب - من كافة الاجراءات ، ويقضى باطلاق سراحهما ، واعتبارهما بريئين . لذلك افضى الحقد بليفيفر الى أن يتجنب اتاحة فرصة كهذه لغريميه ، وقد رأى قوة جلدهما ، ومدى صمودهما .

وكان القانون يبيح له أن يطلب عدم تعذيبهما ، فلم يجد المحقق بدا من الرضوخ ، ورد المتهمين الى سجنيهما . ثم أمر بنقلهما منه الى سجن محكمة (تورلافيل) ، حيث تقرر أن تجرى المحاكمة .

اسبوعان أمام القضاء

• **وبدىء** فى نظر القضية فى ١٥ نوفمبر . وقد تألفت هيئة المحكمة من اثنى عشر مستشارا يرأسهم القاضى (موليه) . وأمام هذا العدد مثل الشقيقان ، وصانع الازياء السيىء الحظ . والحق أن أحدا لم يحفل بهذا التعس ، اذ اتجهت جميع أنظار الحضور والقضاة الى الشابين اللذين ضاعف الأسى والمحنة من جمالهما ، واسبغ على حسنهما قناعا شفافا من الحزن هفا بالقلوب ، والان أشدها صلابة ، حتى وقع فى يقين الجميع أن مثل هذين الجميلين

لا يعقل أن يأتيا ذنبا ، وان براءتهما لن تلبث أن تظهر واضحة .

وانقضى اليوم الاول دون أن يسفر عن جديد ، فقد صمد جوليان و مرجريت للاسئلة التى وجهت اليهما ، واستطاعا أن يجيبا عنها اجابات شافية معقولة .. ولم يجد القاضى « موليه » خيرا من تأجيل القضية ريثما يفرغ من بقية القضايا التى كانت معروضة أمامه ، حتى تنصرف هيئة المحاكمة بكامل جهودها الى تمحيص هذه القضية غير العادية .

وفى ٢٧ نوفمبر ، مثل المتهمون الثلاثة أمام الهيئة من جديد .. وفى هذه المرة ، استدعى الشهود ، **فاذا «ليفيفر» لم يدخر وسعا فى احكام الحلقة حول غريميه ، واذا أقوال الشهود ـ ومعظمهم من الخدم والوصيفات ـ تكبلهما بأغلال راحا يكافحان جاهدين فى سبيل تحطيمها .**

بيد أن الكفاح ازداد صعوبة ، اذ شقت أقوال الشهود طريقها الى رؤوس القضاة .. أما « روبير آنييه » فلم يكن فى حاجة منهما الى جهد ، اذ أن الاقوال ذاتها كانت كافية لتعزيز انكاره ، ولتأييد براءته .

وأخيرا .. صدر الحكم !

• **وفى** ٢ ديسمبر عقدت الجلسة النهائية ، وأعلن القاضى «موليه» الحكم الرهيب الذى انتهى اليه رأى المستشارين . وكان هذا الحكم يقضى بأن تقطع رأسا المتهمين « جوليان »

و « مرجريت » على مشهد من الملأ – فى ميدان (جريف) – جزاء لهما على انتهاك حرمات أكسبها الدين والقانون قداسة عليا ، وان يصادر كل مالهما من ثروة لصالح «جان ليفيفر» كتعويض له عما أصابه من أضرار .. مع تبرئة ساحة « روبير آنييه » .

ولم يجزع الشابان لهذا المصير بقدر ما جزع والداهما ، اللذان كانا قد تداعيا تحت وطأة الفضيحة المشينة .. على انهما استمدا من الرزق والضعف قوة ليبذلا جهدا أخيرا . وقررا **أن يسعيا لدى الملك فيتوسلا اليه بشباب المذنبين ، عسى أن يبقى على حياتيهما ، ويكتفى بالقاء « جوليان » فى غياهب الباستيل ، والحاق مرجريت بأحد الاديرة ..** فقد كان مجرد وجودهما على قيد الحياة ، كفيلا بأن يبقى فى نفسى الوالدين المحزونين قبسا من الامل .

واستطاع السيد « دى رافاليه » أن يحظى بالمثول بين يدى الملك هنرى الرابع ، فارتمى على قدميه ، وراح يضرع اليه، والدموع تنهمر من عينيه .. وكان الملك على استعداد لان يستجيب لرجاء الاب المنكود ، لولا أن الملكة مارى – التى كانت حاضرة – نبهت زوجها الى ما قد يثيره رجال الدين من احتجاجات اذا هو تدخل فى قضية كهذه ، ارتكب المذنبان فيها أشنع جرم ، وانتهكا أقدس الشرائع .. وكان غضب رجال الدين كفيلا بأن يذكى غضبة الرأى العام . ومن ثم كان الخير فى أن تتخذ العدالة مجراها ، لا سيما وأن القضاء قد أصدر حكما ، وقدسية القضاء توجب احترام هذا الحكم .

ولم يجد الملك فى وسعه شيئا سوى أن يسرى عن الاب التعس، وأن يجود عليه بعبارات المواساة والعزاء .. ولكن ، متى قدر للكلام أن يعالج نفسا قسا عليها القدر وأمعن فى التنكيل بها ؟ !

وهكذا لم يعد ثمة ما يمسك يد الجلاد عن فريسته ، وحدد يوم ٢٠ ديسمبر لتنفيذ الاعدام ، وكان الاشفاق الوحيد الذى أبدته السلطات نحو الآثمين التعيسين ، أن أخفت عنهما هذا الموعد ، وأن أوعزت الى الحراس أن يذكوا الامل فى نفسيهما بأن جهود أبيهما لانقاذ حياتيهما قد تلقى لدى الملك اذنا مصغية !

الى الموت .. فى خير ثيابهما !

• وفى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ٢٠ديسمبر ، قيل للمسكينين أن ثمة قداسا سيقام من اجلهما فى كنيسة السجن، وسمح لهما بحضوره، وبأن يرتديا خير ثيابهما بهذه المناسبة . فلبس « جوليان » حلة أنيقة من قماش رمادى ، وشيت حوافها بالقصب ، وطرح على كتفيه معطفا قصيرا .. أما « مرجريت » فقد ارتدت ثوبا من الحرير – كان هو الآخر رمادى اللون – تناثرت فيها نقوش بخيوط من الذهب ، وياقة وكمين من « الدانتيلا » الفاخرة ، وجوربين من الحرير الاحمر ، وحذاءين من المخمل الاسود .

أبدا لم تشهد عيون الذين حضروا هذا القداس ، شبابا مشرقا ، وجمالا متألقا يبهر الابصار، كذلك الشباب والجمال اللذين تبدى بهما الشقيقان الآثمان ! .. **وتولى**

طقوس القداس الاب ((انتوان فوسى)) الذى كان أستاذا لجوليان فى كلية ((نافار)) ، والذى كان يعطف عليه ، وقد ازداد عطفا فى هذه المحنة الاليمة .

حتى اذا انتهى القداس ، اقتيد الشابان الى ساحة السجن ، حيث قرىء عليهما الحكم ، واطلعا على أن ساعة التنفيذ قد حانت .. وسرعان ما قيد الجلاد يدى جوليان – ثم يدى مرجريت – خلف ظهريهما .

تسلم رأسها الى الجلاد بشجاعة

• **وحمل** الشابان الى عربة خاصة ، انطلقت بهما – بين صفين من الجند – خلال الشوارع ، فى تؤدة وبطء .. وتجمع الناس فى طريق الموكب الحزين ، وهم يصعدون زفرات الحسرة والاشفاق .. وكانت الاصوات تتصاعد من كل مكان : ((يا لشبابهما !.. ما أجملهما !.. الرحمة !))

وكان ميدان (جريف) قد ضاق على سعته بالناس ، حين بلغته العربة أخيرا ، وزخرت النوافذ والشرفات بالمتفرجين . وثارت المشاعر عندما نزل الشابان من العربة ، فاقتيدا الى منصة الاعدام . وسادت الجمع الحاشد سكينة رهيبة ، لم تكن تتخللها سوى زفرات مشفقة ، أو شهقات باكية .. **وما لبثت ((مرجريت)) أن صعدت درجات المنصة بقدمين ثابتتين ، وركعت مسلمة رأسها للنطع فى جلد ، وقد تهدلت خصلات شعرها الاشقر الناعم الطويل ..**

ولم يشأ الجلاد أن يطيل انتظارها أو ترقبها .. وقبل أن تفطن الى شىء ، هبط حد البلطة على عنقها البض بضربة

باترة .. وتدحرج الرأس الجميل ، بعيدا عن الجسد الذى كان يحمله باعتزاز !

.. وامتزجت دماؤهما !

• **ولم** يتمالك الأب « فوسى » ان وقف بين « جوليان » والنطع ، ليحجب عنه هذا المنظر الاليم ، ولكن الشهقات الجزعة التى تصاعدت من المتفرجين ، كانت أقسى على قلب الشاب من المنظر .. على انه تمالك نفسه بجلد عجيب ، جبار .. حتى اذا أزيلت جثة «مرجريت» عن النطع ، تقدم فى دعة واستسلام ، وصعد الى المنصة ثابت الجنان .. **وأبى أن يساعده أحد ، بل تقدم فركع الى جانب النطع ، وأسلمه رأسه فى سكون وشجاعة .. وسرعان ما امتزج دمه بما كان على النطع من بقايا دم اخته وعشيقته !**

ولم تدفن الجثتان فى المقابر التى كانت مخصصة للمجرمين ، فان الملك لم يستطع من مظاهر العطف سوى أن يجنب السيد « دى رافاليه » هذه الحسرة الجديدة ، فأمر بأن تسلم الجثتان الى الأب «فوسى» ليثويهما فى مقرهما الاخير ..

نحن فى
ركب الأدب



ظهر
فى المكتبة
العربية

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب الذى نتناول فيه بالعرض بين الحين والآخر كتابا من الانتاج « العربى » الحديث ، قدمت لك فى اعداد سابقة :

أبو نواس : العقاد
الهوى والشباب: بشارة الخورى
هذا أو الطوفان : خالد محمد خالد
حوار العباقرة : محمد بديع الشريف
هؤلاء علمونى : سلامة موسى
محمد عبده : عثمان أمين
شهداء فى قبرص : ابراهيم موسى
سيكلوجية الضمير : محمد كامل النحاس
فن كتابة المسرحية : ايجرى
« الله يتجلى فى عصر العلم »

واليوم أقدم لك فى هذا الباب كتابا كان أقسى ما صاحب صدوره ، النهاية المفجعة لمترجمه .. وهو كتاب : « يوميات آدم وحواء » .



بقلم : اسماعيل الحبروك

عزيزى القارىء :

فى العدد الماضى من « كتابى » ، لخص لك **((فرج جبران))** الكتاب الذى اخترناه لك من « المكتبة العربية » ، وهو كتاب : **((الله يتجلى فى عصر العلم))** .

وفى هذا العدد ، يقدم لك « اسماعيل الحبروك » كتابين ترجمهما « فرج جبران » ، ويلخص لك واحدا منهما ، هو « يوميات آدم وحواء » .. ولكنه قبل هذا وذاك ، يحدثك عن **((المرحوم))** فرج جبران ..

فما كان ليخطر ببال أحد أن يختطف الموت « فرج جبران » ، فيما بين ظهور العدد الماضى وهذا العدد من « كتابى » .. وكانت مفاجأة أليمة .. وكان الحادث الذى صاحبها أكثر ايلاما .. وليس يعزينا عن فقد « فرج » ، سوى انه ترك وراءه ثروة من الاعمال الادبية ، ستظل تحبى ذكره ما عاشت « المكتبة العربية » ..

فرج جبران

فى لحظة خاطفة .. وفوق قمة الغيب والمجهول .. انتهى فرج جبران ..

و « فرج جبران » يعرفه كل الجيل المعاصر .. كان من هواة الكتابة ومحترفى الوظيفة .. وكان يكتب فى كل كبريات الصحف .. وعمل مع التابعى فى « آخر ساعة » ، فكان واحدا من أربعة يصدرونها .. وظل على وفائه لآخر ساعة، وكان يقول لى : « كلما أحسست بشبابى يوشك أن يضيع

منى ، كتبت مقالة لآخر ساعة ، فأشعر بأننى ما زلت فوق قمة جبل الشباب ! »

وعند ما قابلته فى روما — للمرة الاخيرة — قال لى أن بين يديه عشرة كتب ينوى أن يترجمها ويكتبها ويقدم سلسلة من أدب الرحلات .. وهو ذلك الادب الذى ينقص أدبنا الجديد .. وكان يهتز فرحا بأنه سيركب طائرة ، فقد كان يحب ركوب الطائرات .. وعند ما مات اختار له القدر أن يموت فى طائرة .. لا يعرف أحد حقيقة مصيره — على وجه التحديد حتى الآن !

لقد عاش بسيطا ، واضحا ، سهلا ، مفهوما .. وعند ما مات ، مات لغزا .. لا أحد يعرف أين مات ، ولا كيف مات .. واذكر اننى قابلت « فرج جبران » فى مكتب الاستاذ حسن جلال العروسى ، مستشار مؤسسة فرانكلين .. وكان أيامها يعمل فى تقديم تحفة مارك توين : « يوميات آدم وحواء » .. وجلس الصديقان القديمان — فرج جبران وحسن جلال العروسى — يستعرضان ذكرياتهما المشتركة .. وأخذ فرج جبران يروى قصة الناقد الكبير ، الذى كان يقرأ له فى الصحف وهو بعد طالب ، وكان الادباء يهتمون بكتاباته والنقاد بآرائه .. وكان « فرج » يتمنى أن يقابل هذا الناقد الكبير ، ليتحدث اليه . وظل يبحث عنه .. وأخيرا ، عثر عليه معه فى المدرسة ، تلميذا يرتدى البنطلون القصير .. كان معه فى المدرسة ، وكان يبعث بمقالاته بالبريد ، فتهتم الصحف بها وتنشرها فى صدر صفحاتها .. وكان « حسن جلال العروسى » الكاتب الكبير ،

هو نفسه حسن جلال العروسى التلميذ الصغير فى المدرسة .. وأخذا يستعيدان معا ذكريات العمر .. وقال فرج جبران أنه سعيد اذ يقدم بالعربية « يوميات آدم وحواء » . وكان آخر كتبه التى نقلها الى العربية - الى جانب «يوميات آدم و حواء» - هى مختارات من القصة الامريكية .. اختارها لألمع كتاب القصة فى امريكا ، وترجمها باسلوبه السهل البسيط الواضح .. وقد انتهت المطابع من الكتابين، فى نفس الوقت الذى انتهت فيه الحياة من «فرج جبران» ! ذهب هذا الى العالم الآخر ، وبقى الكتابان ينزلا الى السوق يحملان اسمه ، ويحملان رائحة الانسان الطيب ، والكاتب اللبق ، والفنان الذى عاش حياته يحب الناس ويقدم اليهم كل ما يعترض طريقه من فكر ، ويسهم بنصيب وافر فى معركة الثقافة والمعرفة التى يخوضها شعبه ..

عشر قصص امريكية

• **وكتاب** « عشر قصص امريكية » يضم مجموعة من القصص الامريكية لجماعة من أكبر كتاب أمريكا ، هم «مارك توين » ، « وجيمس ثربر ، « وجون شتاينبك » ، « واديث هوارتن » ، « وهاملن جارلند » ، « وأيدورا ويلتى » ، « وكنراد أيكن » ، « وكاثرين آنبورتر » ، « وانبروز بيرت »، « ووليام مارش » .. وكلهم من مشاهير كتاب القصة القصيرة ، حتى ليكاد يكون الكتاب صورة بالالوان الطبيعية للقصة القصيرة فى الادب الامريكى .

وحرص « حسن جلال العروسى » على أن يقدم بنفسه

كتاب هذه القصص، فقدمهم الى القارىء بتاريخهم وانتاجهم وحياتهم .. بهذا سبقت الكتاب دائرة معارف صغيرة تضم حياة هؤلاء الكتاب .. ثم تمضى القصص وتتتابع، وكلها لمسات انسانية غاية فى البراعة والدقة والاصالة .. ولا تكاد تنتهى من الكتاب ، حتى تشعر أنك عشت فى عالم من الواقع الذى لا يغيب عنه خيال .. ولكنك تخرج منه بأن العالم ـ مهما يتسع ـ صغير ، وعواطف الانسانية وأحاسيسها وانفعالاتها واحدة مهما تكن الامور !

يوميات آدم وحواء

• **وبعد ذلك** عاش فرج جبران فى « يوميات آدم وحواء » لمارك توين وقدم بقلمه اللبق ترجمة مطابقة للكتاب ، برغم دقة عبارات « مارك توين » .. فقد حرص على أن تبقى سخريات « مارك توين » بمنتهى الوضوح والبساطة ..

ويبدأ الكتاب بمذكرات آدم ..

ان آدم يبدى سخطه على ذلك المخلوق الجديد ، ذى الشعر الطويل ، الذى يضايقه بكثرة حركته، وبتتبعه له .. بينما يتمنى هو الوحدة والبعد عنه !

لقد كان يحلو لهذا المخلوق الجديد « حواء » كل ما يثير « آدم » .. فهى ـ مثلا ـ تهوى تسمية الاشياء بأسمائها ، ولا تعطيه الفرصة لكى يفكر .. انها تطلق على الشلالات اسم « نياجرا » .. لماذا ؟ .. انه يعتبره صفاقة منها ! .. وتقحم كلمة «نحن» فى كلامها معه، وهى من اختراعاتها الغريبة ..

وهكذا تسلل الى آدم السأم من حواء .. وبنى لنفسه مخبأ يقيه المطر ، ويقيه حواء .. ولكن دون جدوى . فلما حاول طردها ، أخرجت ماء من ثقبى وجهها اللذين تنظر منهما (العينين) ، وبدأت تصدر أصواتا تشبه أصوات الحيوانات الاخرى عند ما تحس بالاسى !

ويبدو على آدم الندم ، فهو لم يتعمد أن يمس كرامتها ، ولكنها هى التى تصر على تعكير السكون بهذه الاصوات ! ..

ويعود آدم الى التذمر والاحتجاج على اسرارها على تسمية الاشياء . فهو — مثلا — يحتفظ باسم جميل للمنطقة التى يعيش فيها — « حديقة عدن » — ولكنها تخالفه ، وتدعى انها مجرد غابات وصخور ومناظر طبيعية .. وتسميها دون استشارته : « متنزه شلالات نياجرا » !

ويؤكد آدم أن حياته لم تعد سعيدة كما كانت من قبل ، فالمخلوق الجديد يأكل الفاكهة بشراهة ، ويخرج فى الصباح والضباب متكاثر ، لا يهمه نوع الجو ، ثم يعود الى المخبأ وقدماه ملوثتان بالطين ، ويأخذ فى الكلام ، حتى تضيع على آدم فرصة الاستمتاع بالهدوء والراحة .

وتمر الايام ، ويفزع آدم فى أحدها ، حين يرى حواء تحاول تسلق شجرة التفاح المحرمة .. وكان ذلك فى يوم راحته .. ويعجب آدم — فى نفس الوقت — من اصرارها على أن يناديها بكلمة : « هى » .. ولا يجد فائدة من الاعتراض فيضطر الى موافقتها طالما ظلت بعيدة عنه ، وكفت عن التحدث اليه ..

وفى يوم آخر — من مذكراته — يقول ان حواء أخذت

تتوسل اليه ليكف عن الذهاب الى الشلالات ، بحجة انها ترتعد فرقا لهذا .. ويتساءل آدم : لماذا يفزعها هذا العمل .. انه يرطب جسده وينعشه . وفعلا لم يستمع لها ، وسبح عبر الدوامة وقفزفى كل مكان، حتى تلفت«ملابسه!»، وبدأ يسمع شكواها من اسرافه .. ان هذا يضايقه !

وهرب آدم ، وبنى له مخبأ آخر فى مكان منعزل ، وأخفى آثار أقدامه .. ولكنها اقتفت أثره ، اذ استخدمت حيوانا استأنسته واسمته « الذئب » .. وجاءت اليه وهى تصدر أصواتا تدعو الى الاشفاق ، وأخذت تذرف الماء من فتحتى وجهها اللتين تنظر منهما ، فاضطر الى أن يعود معها .. ولكن على أن يهرب عند سنوح أول فرصة !

انها تشغل نفسها بأشياء تافهة .. تحاول أن تدرس أسباب اقبال الحيوانات المسماة بالسباع والنمور على أكل الحشائش ، فى حين ان هذه الحيوانات ذات أسنان يدل شكها على انها خلقت — على حد قولها — لكى يأكل بعضها البعض .. ويسخف آدم هذه الفكرة ، لان هذه الحيوانات لو فعلت هذا ، فسيظهر ما يسمى « الموت » .. والموت لم يدخل « حديقة عدن » بعد !

ويرى آدم — فى أحد الايام — حواء وهى تحاول تسلق الشجرة المحرمة مرة أخرى .. ويجذبها الى الارض وهى تعارضه ، فليس هناك من يرقبها .. ويقول آدم : « كأن فى ذلك تبريرا كافيا لكى تقوم بهذه المغامرة .. لقد قلت لها ذلك .. ولقد أثارت كلمة « تبرير » اعجابها وغيرتها أيضا .. انها كلمة فخمة ! » .. وأثناء ثرثرتها ، أخبرته انها خلقت

من ضلع أخذ من جسمه .. وهو يشك فى هذا لانه لم يفقد ضلعا واحدا من ضلوعه !

وفى أحد الايام ، سقطت حواء فى البركة ، بينما كانت ترنو الى نفسها على صفحة الماء .. وكانت على وشك الاختناق .. وتخرج لتبدى أسفها على المخلوقات التى تعيش فى الماء ، وتطلق عليها اسم « الاسماك » .. وقد استطاعت أن تحصل على عدد كبير من هذه الاسماك ، أحضرتها الى المخبأ ، ووضعتها فى فراش آدم لكى تشعرها بالدفء ! .. ولكن هذه المخلوقات سكنت عن كل حركة ، بعد فترة .. وعند ما أقبل الليل ، ألقاها آدم خارج المخبأ . فقد وجدها لزجة ، ولم يسترح فى نومه معها ..

ويسعد آدم بعد ذلك لان حواء اتخذت من احدى الحيات رفيقة لها ، ويقول : « اننى سعيد لان الحية تتكلم ، ولذلك استطيع الآن أن أحصل على شىء من الراحة » ! .. وتعود حواء اليه لتقول له أن الحية نصحتها بأن تجرب أكل ثمرة من تلك الشجرة ، وتذكر أن النتيجة ستكون الحصول على المعرفة العظيمة .. وحاول آدم أن يمنعها محذرا من ان «الموت» سيدخل فى عالمه .. ويقول آدم : « اننى أتوقع المتاعب .. وسأحاول أن أهرب » .. وفعلا هرب ، وركب حصانا طول الليل ، وكل أمله أن يخرج من المنطقة ويختبىء فى مكان آخر قبل أن تبدأ المتاعب .. ولكن ، بعد شروق الشمس بساعة ، وخلال مروره فى السهول التى تغطيها الزهور وترعى فيها الحيوانات ، اذا به فجأة يسمع أصواتا كالرعد .. وفى لحظة امتلأ السهل بثورة جنونية ، وأخذ كل

حيوان يفتك بجاره .. وعرف فى الحال أن « حواء » أكلت تلك الثمرة .. وجاء الموت الى العالم ، فأكلتُ النمور حصان « آدم » ، ولم تعر أوامره اهتماما ، وكانت على وشك الفتك به — هو نفسه — لولا انه هرب .. وبعد فترة جلس يستريح ، الا ان حواء اكتشفت مكانه ، وحضرت اليه . وكان معها كمية من التفاح .. وكان جائعا فأكل . ومع أن هذا العمل كان مخالفا لمبادئه ، الا انه قال : « ان المبادىء ليس لها كيان حقيقى الا عندما تكون معدة الانسان ممتلئة » !

جاءته حواء وقد اكتست بفروع الاشجار وأوراقها . وعندما سألها عن معنى هذا السخف ، بدأت تضحك ، واحمر وجهها خجلا .. وتعجب لهذا الخجل الذى لم يره من قبل ، الا أنه شعر بنفس الشعور ، وبدأ هو الآخر يجمع الفروع والاوراق ويغطى نفسه .. وبعد ذلك تسلل الاثنان الى حيث تقطن الوحوش ، وجمعا بعض جلودها لتغطية جسديهما ..

ويقول آدم عن حواء : « لقد وجدت فيها رفيقا ممتازا .. وشعرت بأننى سأحس بالوحدة والأسى بدونها ، بعد أن فقدت ممتلكاتى .. وهناك شىء آخر ، لقد ذكرت لى أن الاوامر صدرت بأن نعمل من الآن فصاعدا لكى نحصل على القوت .. وأخبرتنى بأنها ستقوم بالعمل ، وأتولى أنا الاشراف » .

***

ومضى عام على هذه الايام .. ورزق آدم بأول أبنائه — « قايين » — ولكنه لم يعرف كيف حضر .. واعتقد أن حواء اصطادته عندما كان غائبا فى المراعى ، فهكذا أخبرته

هى .. ويرى آدم فى « قايين » شبهـا كبيرا بهما ، ولكنه يختلف فى الحجم .. ويؤكد آدم أنه حيوان جديد ، وربما كان سمكة ، حتى لقد حاول وضعه فى الماء ليختبره ففطس، وقفزت حواء فى الماء والتقطته قبل أن يتحقق آدم من التجربة .. بل انها رفضت أن يجرى تجارب أخرى عليه .. ولذلك لم يعرف آدم عن هذا المخلوق الجديد شيئا .. وفى نفس الوقت أخذت حواء تفكر كثيرا فى هـذا المخلوق .. بل ان تصرفاتها تغيرت ، حتى أوشكت أن توحى باصـابتها بالخلل .. فهى تحمل هذا المخلوق على ذراعيها الليل كله أحيانا ، عندما يصرخ .. وفى بعض الاحيـان يخـرج الماء من الثقبين اللذين ينظر منهما .. وهى تربت بيدها ظهر هذه السمكة ، وتطلق من فمها أصواتا ناعمة لكى تهدئها ، فتضحك « السمكة » .. ويفكر آدم مرة أخرى ، ويقـول أن هـذا المخلوق ليس بسمكة، لأنه يطلق أصواتا شيطانية غريبة عندما يكون غاضبا .. وهو ليس بطائر لأنه لايطير ، وليس بثعبان لأنه لايزحف .. انه لايعمل شيئا سوى الرقاد !

وبعد ثلاثة أشـهر ، زادت حيرة آدم . فقـد بدأ المخلوق يحبو على أقدامه الاربع ، ولكنه يختلف عن جميع الحيوانات .. ذلك لان قدميه الاماميتين قصيرتان للغاية . واعتقد انه من فصيلة « القنغارو » ، فسماه « قنغر آدم » !

وكبر « قنغر آدم » ، وأصبح خمسـة أضـعاف حجمه الاول .. وزاد صوته قوة وازعاجا ، وحواء العنيدة لاتحاول أن تمنعه من الصراخ ، بل انها تحاول ارضاءه باعطائه أشياء سبق أن تعهدت بألا تعطيهـا له .. ويتعجب آدم من اصرار

حواء على أنها وجدت هذا المخلوق فى الغابة ، بينما أجهد هو نفسه ليجد مثله فلم يوفق أبدا !

وتمر ثلاثة أشهر أخرى ، والمخلوق لايزال ينمو باطراد .. ويستمر آدم فى تعجبه لهذا الحيوان، فرأسه يغطيها فراء يشبه القنفر ، بل يشبه شعره هو .. وبعد خمسة أشهر ، يعدل آدم عن فكرته الاولى ، فيقرر أنه ليس بقنفر ، لأنه يستطيع الآن الوقوف على قدميه والسير بضع خطوات على ساقية الخلفيتين .. ويشك فى أنه نوع من الدببة ، ولكنه لم يؤت ذيلا أو فراء .. ان هذه الحالة غريبة ! ..

وقضى آدم أربعة أشهر بعيدا عن حواء وقايين ، ثم عاد ليجد « الدب » يسير على قدميه ، ويقول : « بابا » .. و « ماما » . وهكذا بدأت فكرة الدب تبتعد عن مخيلة آدم ، وقرر أن يذهب فى رحلة بعيدة الى الغابات ، عسى أن يعود بعدها بحيوان من نفس الفصيلة . وفعلا رحل ، ولكنه لم ينجح فى مهمته .. وعند عودته ، كانت هناك مفاجأة تنتظره . فقد استطاعت حواء — دون أن تفارق المنطقة — أن تصيد حيوانا آخر من نفس الفصيلة .

ويقارن آدم بين المخلوقين ، فيجد أنهما متشابهان ، الا أن الحيوان القديم أصبح اكثر ألفة من الجديد الذى أسمته حواء « هابيل » ..

ومرت الاعوام .. وبعد عشرة منها ، أدرا آدم أن المخلوقين ولدان .. وأن حيرته كانت نتيجة عدم التعود على رؤيتهما .. كما أصبح له ولحواء بنات أيضا .. ويصرح آدم بعد ذلك بقوله : « لقد كنت مخطئا في حق حواء فىبادىء الامر ، فخير

لى أن أعيش خارج الجنة وهى بجانبى ، من أن أعيش فى داخلها بدون حواء » !

***

ثم تبدأ ــ من هنا ــ مذكرات « حواء » ..

انها لا تتذكر امسها ، فقد وصلت اليوم .. فليس لها أمس . وهى تفكر فى تدوين مذكراتها ، لأن عزيزتها « الحية » توحى لها بأنه سوف تكون لهذه التفاصيل أهميتها للمؤرخين يوما ما .. ذلك لأنها تحس بأنها أشبه باحدى التجارب .

وتتساءل حواء : اذا كانت هى تجربة ، فهل هى كل التجربة ؟.. قطعا لا ، فهى جزء منها .. وهناك جزء آخر له نصيبه فيها . وتعتقد حواء أنها الجزء المهم لانها دائما يقظة مترقبة .. واليقظة هى ثمن التفوق !

وتتأمل حواء العالم حولها ، فتجد الجبال والسهول ، والنجوم والقمر .. ولكنها ترى القمر يترك مداره ويختفى، فتحزن وتود لو أمكن تثبيته فى مكانه جيدا ، فهى تحب الاقمار لانها جميلة وساحرة ، وتتمنى لو أن عندها خمسة أو ستة منها ..

كذلك النجوم الجميلة ، تتمنى حواء لو تعلق بعضا منها فى شعرها . وتتبين أن هذا مستحيل ، عندما تحاول اسقاطها بعصا من الخشب .. وهذا مما حيرها ، حتى أنها جربت أستعمال الرمح دون جدوى .. وبكت !

وبدأت حواء ــ بعد ذلك ــ تعرف تقدير المسافات ..

وهى تود أن تمسك كل شىء جميل، ولكنها كانت ـ أحيانا ـ تمسك الشوك الذى يتخللها ، فتعلمت درسا ، كما أطلقت مثلا من تأليفها .. وهو أول مثل قالته : « لابد أن تقاسى الشوك حتى نحصل على .. التجربة التى عقدنا العزم على الحصول عليها » !

واقتفت حواء أثر « التجربة » الاخرى بعد ظهر يوم من الايام ، وكانت تسير على مسافة قريبة منها ، لترى ماذا تكون .. وقالت حواء : « اننى أظن ان التجربة هى الرجل» .. ولم تكن قد رأت فى حياتها رجلا ، ولكن « التجربة » تشبه الرجل .. انه احساس داخلى .. وهكذا اهتمت به أكثر من أى حيوان آخر !

لقد شعرت بالخوف فى بادىء الامر ، وأخذت تعدو كلما رأته ، لانها كانت تظن أنه سيطاردها .. ولكنها اكتشفت أنه يحاول الابتعاد عنها ، ولذلك لم تعد تشعر بالخوف أو الاستحياء ، بل أخذت تقتفى أثره عدة ساعات ، وهى على مسافة عشرين ياردة منه .. مما جعله حزين عصبى المزاج ! .. بل لقد ظهر عليه بعض القلق ، فتسلق احدى الاشجار . وانتظرته طويلا حتى سئمت فعادت الى بيتها ..

وتكرر نفس الامر فى اليوم التالى .. وتبينت حواء انه يعرف « اللغة » ، فداخلها اهتمام جديد .. اذ كانت هذه أول مرة تسمع فيها كلاما غير كلامها .. وفرحت ، فهى ستجد من تستطيع التحدث معه .

وحاولت فى أحد الايام التعرف اليه .. وتتبعته ، وكان عليها أن تبدأ الحديث ، لانه ـ كما تعتقد ـ خجول ..

وتقول انه كان يبدو عليه السرور لانها تحوم حوله .

وتمر الايام ، ويتعارفا ، ويتآلفا .. فهو لم يعد يحاول تجنبها ، مما يدل على أنه يحب البقاء معها ، فازدادت سرورا .. وحاولت أن تفيده بكل الوسائل الممكنة . ففى الفترة الاخيرة ، أخذت تسمى الاشياء بأسمائها ، وبذلك أراحته ، اذ أن هذه الملكة تنقصه ! ..

ويأتى يوم تذكر فيه حواء انها أحست بالأسى ، لان آدم تجنبها .. واعتقدت أن هناك سوء تفاهم ، مع انها لم ترتكب شيئا يغضبه .. وأخيرا اتضح لها أن المسألة جدية ، فتركته وجلست وحيدة فى المكان الذى رأته فيه لاول مرة ، مما أثار عندها ذكرى حزينة ، اذ أن كل شىء صغير فيه يذكرها به .. كان شعورا جديدا عليها .. وعندما جاء الليل ، ذهبت اليه لتصلح خطأها ، ولكنه تركها وحدها فى المطر خارج المخبأ ..

ثم يأتى اليوم الذى احست فيه بالسعادة بعد الايام السابقة الكالحة . فقد حاولت الحصول على بعض تلك التفاحات من أجله . وتقول : « ان هذه التفاحات محرمة ، وهو يقول لى انها ستسبب الأذى .. ولكن اذا كان الأذى من أجل السعادة ، فماذا يضير أن يصيبنى الأذى ؟ ! »

وتعود حواء لتقول انه قليل الكلام ، وتظن أن ذلك راجع الى انه قليل الذكاء .. والذكاء فى نظرها لا أهمية له ، فوزن الانسان يقدر بقيمته الروحية ، والقلب الطيب المحب هو ثروة وغنى .. والذكاء بدون قلب يعتبر فقرا !

وكان من عادة حواء أن تذهب الي حافة الجدول ، وتضع

قدميها فى الماء .. فهى عند ما تفتقد الصحبة ، تبحث عمن تنظر وتتحدث اليه .. وكا ت ترى الجسم الابيض الجميل المرسوم على صفحة الجدول ، وتفضله على الوحدة الكاملة، فهو يتكلم كلما تكلمت ، ويحزن عند ما تحزن .. انه صديق الوحدة .. فان أقبل الليل ، ذهب وتحطم قلبها ..

وفكرت بعد ذلك فى أن تبتعد عن آدم ، حتى اذا ما أحس بالوحدة عاد اليها . ولكنه لم يفعل .. فذهبت تعدو وراء النحل والفراشات ، وتستمتع بالزهور ، وتأكل التفاح، وتنتظره . ولكنه لم يحضر .. وتعزو ذلك الى انه لا يحب الزهور ، ولا السماء ، ولا أى شيء جميل .. لا يحب سوى أن يبنى ملجأ يقيه المطر ، ويفتش عن الفاكهة ليأكل ..

وأخيرا جلست تفكر ، ثم وضعت عصا جافة على الارض .. وحاولت أن تثقبها بعصا أخرى لتنفذ مشروعا مر بخاطرها ، ولكنها أصيبت بهلع كبير ، اذ انطلق من هذا الثقب شريط شفاف رفيع يميل الى الزرقة ، واندفع الى أعلى .. وفى الحال ألقت بكل شيء وهربت ، فقد كانت تعتقد أنه عفريت !.. ولكنه لم يتبعها ، فلم تلبث أن عادت ، وهى خائفة .. وعند ما اقتربت من المكان ـ لكى تكشف الأمر ـ طرأ على ذهنها اسم هذا الشيء انه : « النار » ..

وكانت على وشك أن تضمها الى صدرها ، ولكنها امتنعت .. وهنا ابتكرت مثلا جديدا : « التجربة المحترقة تهزأ بالنار » .. وأخذت تحاول اشعالها من جديد .. وعندما حصلت على كمية كبيرة من تراب النار ، أفرغته فى حفنة من الحشيش البنى الجاف ، وفى نيتها حملها الى

البيت ، والاحتفاظ بها .. ولكن الريح هبت عليها فتناثرت واشتعلت النار فى الغابة ، وتصاعد « الدخان » .. هذه الكلمة الجديدة التى اطلقتها على العفريت الازرق المتصاعد !

وتمر الايام .. وتقول حواء انها رأت آدم لفترة قصيرة ، وكانت كبيرة الأمل فى أن يكيل لها المديح لانها أدخلت عدة تحسينات على المزرعة .. ولكنه لم يظهر أى سرور ، بل تركها .. وكان يبدو عليه الغضب لسبب آخر ، اذ انها حاولت أن تحول بينه وبين الذهاب الى الشلالات .. ذلك لأن النار قد كشفت لها عن احساس جديد .. احساس « الخوف » ، وهى عاطفة كريهة ندمت على أن تكشفت لها !

***

ونعود مرة أخرى الى « مذكرات آدم » ..

انه يردد أن حواء فتاة غريرة ، يجب مراعاة ظروفها .. فهى ممتلئة حماسة وحيوية ، والعالم بالنسبة لها سحر وأعاجيب وألوان .. الصخور البنية .. والرمال الصفراء .. والحشائش الخضراء .. والقمر الشاحب .. كل هذه الاشياء ليس لها قيمة عملية فى نظره ، ولكن حواء تفقد عقلها من أجلها ..

ويتمنى آدم لو أن حواء تصمت قليلا .. لو انها فعلت ، لاستطاع أن يستمتع بالنظر اليها .. لانها مخلوق جميل جدا .. فهى رشيقة ، ملفوفة ، خفيفة الحركة ..

انها تهتم بكل شىء .. تحب الحيوانات ، وتعتقد انها جميعا كنوز .. ترحب بها ، حتى انها رأت «البرنتوسوس»

البرى – وهو يسير بخطى واسعة متجها نحوها – فاعتبرته كنزا جديدا .. واعتبره آدم كارثة ، لانه مخلوق ضخم مخيف ! .. وحاولت هى أن تستأنسه بالمعاملة الطيبة ، ولم تقتنع الا بالتجربة ، فهى لا تؤمن بالنظريات التى لم تتم البرهنة عليها ! ..

***

وتعود المذكرات الى « حواء » :

انها تصرخ فى ألم ، فقد قضت أياما لم تر آدم فيها .. وطالت أيام وحدتها .. وتقول : « من الافضل لى أن أبقى وحيدة ، عن أن أحس بأننى غير مرغوب فى رفقتى » !

ولهذا اضطرت أن تبحث عن رفيق ، فلم تجد خيرا من الحيوانات .. فهى لطيفة ورقيقة ، لا تغضب أبدا .. تحرك ذيولها ، وتسير وراءها الى أى مكان .. فأخلاقها كريمة .. وهكذا أحاطت نفسها بها ، فأصبح حولها أسراب كبيرة منها ، تقف هى وسطها ، فوق الصخور ، فتحس كأنها وسط بحيرة .. والطيور فوقها تلمع ، وتعكس أشعة الشمس فى بريق خاطف ..

وقامت حواء برحلات طويلة مع الحيوانات .. وشاهدت جزءا كبيرا من العالم .. فهى أول رحالة تركب الفيل أو النمر .. وبينها وبين جميع الحيوانات علاقة ودية وألفة غريبة .. تتحدث معها وتفهمها ! ..

وكانت حواء – فى بادىء الأمر – لا تستطيع أن تكتشف لماذا خلقت ، ولكنها تعتقد الآن انها خلقت لكى تكشف

أسرار هذا العالم المدهش ، ولكى تسعد به ، ولكى تشكر الخالق الذى ابتدع كل ما فيه .. وعن طريق الملاحظة ، علمت أن النجوم لن تدوم الى الابد .. ففريق منها ينكدر ويهوى فى السماء .. وسيأتى اليوم الذى تنكدر جميعها فيه ، فتهبط فى ليلة واحدة .. وهذه هى النهاية المحزنة التى لابد أن تتم .. وهكذا فهى تنظر اليها كلما كانت متيقظة ، وتحاول الاحتفاظ بهذه اللآلىء فى ذاكرتها ، حتى اذا جاءت النهاية ، استطاعت هى – بقوة خيالها – أن تعيد اللآلىء الجميلة الى السماء السوداء .. وتضاعف من عددها خلال دموعها !

. . . .

بعد الطرد من الجنة :

الى هذا الحد من المذكرات ، ترى حواء أن الجنة كانت حلما لذيذا .. ولكن هذا الحلم ضاع !

وتقول : « ضاعت الجنة ، ولكننى وجدته .. هو .. وانى قانعة بذلك .. انه يحبنى بكل ما فيه من قوة .. وأجد معه قوة طبيعتى العاطفية .. وهو شىء يتناسب مع شبابى وجنسى » ! .. وتتساءل حواء : لماذا تحب آدم ؟ .. ولم تجد جوابا ، بل انها لم تهتم بمعرفة هذه الاجابة .. فهى تعتقد أن هذا النوع من الحب ليس نتيجة من نتائج التعليل والاحصاء ، مثل حب الانسان للحيوانات الاخرى !

انها لا تحب آدم من أجل غنائه ! .. لا ، فانه كلما غنى قل اعجابها بغنائه . ومع ذلك ، فهى تطلب منه أن يغنى ،

لانها تعود نفسها على محبة كل شيء يهتم به ! ..

وهى لا تحبه من أجل نصيبه من الذكاء .. لا ، فهو ليس المسئول عن نصيبه من الذكاء ، بل انه جاء كما خلقه الله ، وسيتحسن بمرور الوقت .. وهى ليست على عجل ، فهو يعجبها كما هو !

كذلك هى لا تحبه بسبب أساليبه الرشيقة .. لا ، فهذا ينقصه فعلا ، ولكنه سيتحسن ..

وليست تحبه بسبب شهامته .. لا ، فهو يسيطر عليها ، ولا تستطيع لومه .. فالسيطرة من خصائص جنسه ، ولا يمكن أن يلام على ذلك .. وهى لا تسمح لنفسها بالسيطرة عليه ، بل تؤثر الموت على ذلك ! ..

اذن ، فلماذا تحبه ؟ ..

وتقول حواء فى مذكراتها : «أعتقد أننى أحبه لأنه مذكر» ! .. وترى فى أعماقه قلبا طيبا .. وهى تحبه من أجل ذلك .. بل انها تستطيع أن تحبه ، ولو لم يتحل بهذه الصفة .. حتى اذا ضربها أو أهانها ، فستستمر فى حبه .. انها مسألة جنس ! .. انه قوى وجميل وتحبه من أجل ذلك ، بل وفى امكانها أن تحبه ولو لم تكن له هذه الصفات .. حتى لو كان شكله عاديا ، لأحبته .. حتى لو كان حطام رجل ، لاحبته ، واشتغلت من أجله ، وسهرت عليه بجانب فراشه حتى تموت !

وتعود لتقول انها تظن أن حبها له راجع الى مجرد انه ملك لها ، ولأنه مذكر .. فليس هناك سبب آخر .. انه حب يأتى ، ولا يعلم أحد من أين أتى ، كما لا يستطيع أحد

تفسير كنهه .. وليست هناك حاجة لذلك ..

انها تؤمن بكل هذا ، وبأنها أول فتاة كشفت عن هـذا الامر .. وقد تظهر الايام خطأ رأيها بسبب جهلها ونقص خبرتها !

. . . .

بعد ذلك بأربعين عاما :

ان حواء تدعو الله أن تخرج من هذه الحياة مع آدم .. وهى صلاة لن تغيب عن هذه الارض ، بل ستجد لها مكانا فى قلب كل زوجة تحب زوجها وتحمل اسم « حواء » ، حتى نهاية العالم .. وتقول حواء : « فاذا قدر لأحدنا أن يترك الحياة قبل الآخر ، فاننى أرجو أن أكون أنا التى تمضى وتسبقه . فهو قوى ، وأنا ضعيفة ، ولذلك فاننى لست ضرورية له .. فى حين أنه ضرورة لى .. ان الحياة بدونه لا تسمى حياة ، فكيف استطيع تحملها ؟ .. »

. . . .

وفى نهاية المذكرات ، نجد على قبر حواء كلمة آدم :

« اينمـا وجدت حواء ، وجدت الجنـة »

ظهر حديثا..

عزيزى القارىء :

لعل أهم ما يستلفت انتباهك فى المجموعة التى اخترناها لك هذه المرة ، من الكتب التى ظهرت حديثا فى المكتبة العربية ، كثرة المسرحيات المترجمة ، والكتب التى تنتمى الى الأدب المسرحى .. وهذه ظاهرة توحي بتطور فى الوعى العام لدى قراء العربية .. فضلا عن انها تمثل اتجاها كان لابد منه ، ونحن نعمل على انهاض المسرح العربى . اذ أن نهضته تتوقف ــ أولا ــ على تنمية الميل الى التمثيليات ، عن طريق القراءة .. فاذا ما تولد الوعي التمثيلى ــ نتيجة لهذه القراءة ــ نمت عند الجمهور الرغبة فى مشاهدة مايقرأ ، وهو ينقلب الى حركة حية وأقوال مسموعة على خشبة المسرح .

وهناك ظاهرة أخرى ، هى ازدياد الكتب المبنية على أسس علمية . وهذا ان دل على شىء ، فانما يدل على ازدياد الثقافة لدى جمهور القراء ..

فتعال نستعرض معا كتب هذا الشهر !

رواد الصواريخ (٢٧٠ صفحة)

تأليف : الدكتور محمد الشحات
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

ليس فى وسع أحد أن يحصر تماما جميع رواد الصواريخ ، ممن لهم فضل السبق فى هذا المضمار فى الماضى ، الا أن هناك بطبيعة الحال فئة من الرجال لم ينسهم التاريخ ، ممن بلغوا

من العبقرية درجة مكنتهم من عمل اضافات جوهرية ـ نظرية أو تطبيقية ـ فى هذا الميدان .

ويبدأ الكتاب ، بالسير وليام كنجريف ، وهو عالم أذهل نابليون واعوانه بصاروخه الحربى ، الذى يعتبر أساس « البازوكا » التى ظهرت فى القرن العشرين . ويأتى من بعده « جول فيرن » الذى ولد فى نفس السنة التى مات فيها كنجريف ، وقد كتب عن السفر عبر الفضاء ، كما بين سفن الفضاء فى رواياته . وقام « قسطنطين زيولكوفسكى » ـ عالم الرياضة والطبيعة ـ بمعالجة الجانب النظرى فى هذا الموضوع ، منتهيا الى أن سفن الفضاء لا يصلح لدفعها إلا المحركات الصاروخية . وعندما جاء « روبرت هتشنجز جودارد » ـ أبو الصواريخ الامريكية ـ وصل تلك الفجوة التى كانت قائمة بين النظريات العلمية والناحية التطبيقيه ، بأن صنع فعلا بعض الصواريخ وأطلقها . وقام « هرمان أوبرث » بتصميم أول سفن الفضاء ، الا أنها لم تبرح الارض قط . اما « فيرنر فون براون » ، فقد صنع الصاروخ المدمر « ف ـ ٢ » ، الذى فاقت سرعته سرعة الصوت .

والكتاب نوع فريد من كتب تاريخ العلوم ، فيه كثير من المعلومات المبسطة .

أما المترجم فأستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة وحائز لجائزة الدولة فى العلوم سنة ١٩٥٠ .

روائع المسرح العالمى

الناشر : الشركة التعاونية للطباعة والنشر

تمثل هذه السلسلة الشهرية المنتظمة ، المجهود الذى تساهم به وزارة الثقافة والارشاد ـ بالاقليم الجنوبى ـ لتنمية الوعى المسرحى بين القراء .. وفيما يلى آخر ثلاث صدرت منها :

مروحة ليدى وندرمير (١٦٠ صفحة)

تأليف : اوسكار وايلد ـ ترجمة : عباس يونس

وليست هذه المسرحية بجديدة على قراء « كتابى » ، فقد سبق ان قدمناها لهم ملخصة فى « كتابى » . على ان هذه الترجمة كاملة ، وقد عنى بمراجعتها خبير بالأدب والمسرح معا ، هو الاستاذ « عبد الرحمن صدقى » ، وقدم لها بعرض مسهب لسيرة المؤلف ، وتطوره الأدبى ، ومحاولاته المسرحية .. مع دراسة تحليلية للمسرحية وشخصياتها .

بنياوبى (٢٣٠ صفحة)

تأليف : سومرست موم ـ ترجمة : مفيد الشوباشى

وهذه أيضا ليست بالجديدة على قراء « كتابى » ـ اذ لخصناها لهم فى عدد سابق ـ ولكن الجديد ان سلسلة « روائع المسرح العالمى » قدمتها كاملة ، مع سيرة المؤلف ، ودراسة بارعة لأدبه وانتاجه . والواقع ان الذى يقرأ المسرحية بعد المقدمة الطويلة ، لا يملك الا أن يلاحظ أن « موم » وان كان قد آثر أن يهجر المبضع ـ وهو الذى درس الطب ـ وان يفضل عليه القلم ، الا أن دراسة الطب طغت على أسلوبه الفكرى ، فأصبح القلم بين أصابعه مبضعا يشرح به نفوس البشر ومجتمعهم فى براعة تبهر القارىء .

الغربان (٢٥٦ صفحة)

تأليف : هنرى بيك ـ ترجمة : الدكتور محمد محمد القصاص

تدور المسرحية حول أرملة وبناتها الثلاث ، كان رب أسرتهن من كبار رجال الاعمال ، ثم مات فانقض الطامعون يحاولون استلاب ماخلف وراءه ، وتجريد الاناث المستضعفات

من كل شيء .. ومع المال المسلوب منهن ، يبدأ الناس فى الانفضاض من حولهن.. واذا خطيب البنت الكبرى ينصرف عنها بعد أن سلبها عفافها .. واذا البنت الوسطى تفشل فى الحصول على عمل - كموسيقية أو مغنية - بعد أن سخر أستاذها من كفاءتها .. ولم يبق للاسرة سوى أن تضحى بابنتها الصغرى ، فتزوجها من شريك أبيها الراحل ، وكان رجلا كهلا ، قبيح الشكل ، بخيلا ..

وأطرف ما فى هذه المسرحية ، أن مؤلفها متمرد على المدارس الادبية غير متقيد بالاوضاع والمصطلحات المسرحية .. وان الكتاب صدر بمقدمة رائعة للاستاذ عبد الرحمن صدقى ، تناول فيها الادب عامة ، والادب الرومانتيكى خاصة ، ثم تكلم عن الواقعية والطبيعية ، فى دراسة سريعة ، ولكنها شاملة .. وانتهى بتحليل مسرحية « الغربان » ، وسيرة مؤلفها .

عالم الغد (٢٤٢ صفحة)

تأليف : جورج سول - ترجمة : الدكتور يوسف صلاح الدين نامق
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين

.. **وهذا** واحد من الكتب التى يحاول فيها الاقتصاديون أن يرسموا صورة للمستقبل ، لا بالتكهن ، وانما بالاعتماد على التقديرات والاحصاءات ، وعلى الايمان بالعلم وما يمكن أن يأتيه من قوة خارقة ، جعلته وشيك التغلب على الطبيعة ذاتها .

وقد خصص « سول » - وهو من أساتذة الاقتصاد المعروفين فى أمريكا - الجزء الاول من كتابه ، للتعريف

بالدور الذى لعبته « المعرفة الفنية » فى الارتفاع بالانسان الى مستوى الحياة الحالى ، واثرها على الانتاج الزراعى .. كما تحدث عن العوامل والجهود التى تعمل على رفع متوسط الاعمار .. مبينا كيف أن محصول الزراعة من المادة الغذائية يربو على الحاجة الضرورية لسكان العالم - برغم تزايدهم - اذا أحسن استغلال هذه المادة واستهلاكها ، واذا تسنى القضاء على الحشرات والاوبئة الزراعية ..

ثم تحدث - فى الجزء الثانى - عن امكانيات المعرفة الفنية ، وما يمكن أن تؤديه للانسانية من خدمات فى المستقبل ، راسما بذلك صورة للغد عن طريق المعرفة الفنية والتقدم الآلى الانتاجى .. واستغلال الامكانيات الهائلة للطاقة النووية والطاقة الشمسية فى سبيل السلام

مكتبة الفنون الدرامية

الناشر : مكتبة مصر

وهذه سلسلة أخرى من الاعمال المسرحية ، لا تستهدف ترجمة المسرحيات فقط ، بل تشمل رسالتها « كل مايتصل بالفنون الدرامية والاذاعية ، من تمثيل وكتابة واخراج » .. وقد أصدرت حتى الآن ست مسرحيات من الادب الانجليزى ، والامريكى ، والروسى ، والنرويجى .. أما كتاباها السابع والثامن ، فهما :

عيوب التأليف المسرحى (٣٥٠ صفحة)

تأليف : وولتر كير - ترجمة : عبد الحليم البشلاوى

وهذا كتاب صدر فى أوانه . فما كان الوعى المسرحى ليستقيم بمجرد نشر المسرحيات ، بل لابد للقارىء من أن يلم كذلك بالتأليف المسرحى وأصوله .. واذا كان مؤلف هذا

الكتاب ـ وهو من أعظم نقاد المسرح الامريكيين ، فضلا عن انه مخرج مسرحى ـ قد تناول عيوب التأليف فى بلاده ، الا ان القارىء لا يملك سوى ان يرى انها جميعا تنطبق على مسرحنا العربى ، بالرغم من الفارق بين النشاط المسرحى عندنا ، ومثيله فى أمريكا ..

على أن المهم فى الكتاب ، هو أن القارىء يدرس أصول التأليف المسرحى ، عن طريق دراسة عيوبه .. فضلا عن انه درس ممتع فى النقد ، وأدب النقد .

ثلاث تمثيليات للتليفزيون

تأليف : بادى تشايفسكى ـ ترجمة : صلاح عز الدين

وكذلك صدرهذا الكتاب فى وقته . فقد صدر والتليفزيون العربى يبدأ عهده فى القاهرة ودمشق . ومن ثم فان الكتاب مساهمة فى خلق وعى تليفزيونى ، وكاتب تليفزيونى .

ويبدأ المؤلف ـ وهو من أشهر كتاب التليفزيون والاذاعة والسينما فى امريكا ـ بمقدمة يبين فيها الفارق بين كتابة المسرحيات ، وتأليف التمثيليات التليفزيونية ، **على ضوء** خبرته وتجاربه .. ثم يورد ثلاث تمثيليات من تأليفه ، كنماذج تحتذى ، وعقب على كل منها بدراسة مستفيضة تتناول ناحية من نواحى الكتابة للتليفزيون .

قصة فرديناند ، الثور العجيب (٧٤ صفحة)

تأليف : مونرو ليف ـ ترجمة : كميل محمد فريد
الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين

هذه تجربة طريفة .. وليست طرافتها فى أن الكتاب مساهمة طيبة فى تزويد مكتبة الطفل العربى بكتاب أنيق الطبع ، يضم مالا يقل عن ٣٥ لوحة فنية بديعة .. وانما

طرافته فى أنه يقدم للاطفال قصة بلغتين .. باللغة العربية ، وباللغة الانجليزية فى آن واحد .

والقصة - بعد ذلك - مما يروق للاطفال .. فهى عن ثور يدعى « فرديناند » ، كان يحب العزلة - فى صغره - ويأوى الى شجرة يجلس تحتها ، بعيدا عن أقرانه ، مما جعل امه « البقرة » فى قلق من أجله .. الى أن كان ذات يوم ، اذ وقع لفرديناند حادث عند الشجرة ، افضى به الى مغامرة طريفة .

فلسفة الحياة العامة (٢٥٤ صفحة)

تأليف : والتر ليبمان - ترجمة : عثمان نويه
الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين

والتر ليبمان من أشهر المعلقين السياسيين فى عالم الصحافة الامريكية ، وقد عرف بأنه باحث يلقى الاضواء على موضوعاته ، ويبسط العميق من أبحاثه .

والكتاب بحث طريف يتناول علل الديموقراطية فى عصرنا ، وما آل اليه تطورها فى كثير من البلدان من انكار للاسس التى قامت عليها ، واغفال للدعائم التى تستند اليها .. كل هذا يتناوله « ليبمان » بتفكير نافذ ، ومنطق واضح ، وخبرة طويلة ، وثقافة واسعة .. فهو يفتح أمام القارىء أبوابا جديدة لتفهم التطور التاريخى فى حكم الجماعات الانسانية ، والاسس الفلسفية والعملية التى قام عليها النظام الديموقراطى فى صوره المتعددة ، فى مختلف العصور والبلدان .